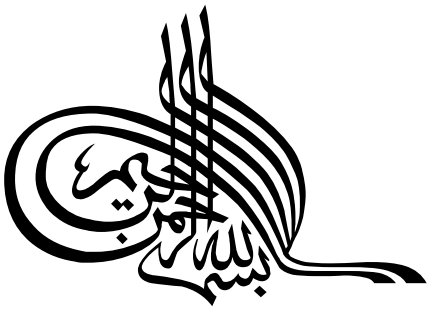
بسم الله الرحمن الرحيم

مع المؤتمرات الدولية

حـــول

الوحدة والتقريب

محمد علي التسخيري

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

سرشناسه : تسخيري ، محمد علي.
عنوان ونام پديدآور : حول الوحدة والتقريب / محمدعلی التسخيری.
مشخصات نشر : تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، ١٤٣٣ق، = ٢٠١٢م = ١٣٩١.
مشخصات ظاهری : ٢٠٨ ص.
شابک : 964-7994-05-2 ٨٠٠٠٠ ريال.
يادداشت : عربی.
يادداشت : بالای عنوان: مع المؤتمرات الدوليه.
يادداشت : کتابنامه به صورت زيرنويس.
موضوع : وحدت اسلامی.
موضوع : تقريب مذاهب
شناسه افزوده : مجمع جهانی تقريب مذاهب اسلامی. مديريت انتشارات و مطبوعات.
رده‌بندی کنگره : ١٣٩١ ٩٦ح ٥ ت/٢٣٣/٥ BP.
رده‌بندی ديويی : ٢٩٧/٤٨٢.
شماره کتابخانه ملی : م ٣٤٧ - ٨٢.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

اسم الكتاب: **حول الوحدة والتقريب**

المؤلف: **محمد علي التسخيري**

الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية – ادارة النشر والمطبوعات

الطبعة: الثانية – ١٤٣٣ هـ.ق ٢٠١٢ م

الكمية: ١٠٠٠ نسخة

السعر: ٨٠٠٠٠ ريال

ردمك: ٢ – ٠٥ – ٧٩٩٤ – ٩٦٤ ISBN: 964 – 7994 – 05 – 2

العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران / طهران

ص . ب : ٦٩٩٥ – ١٥٨٧٥

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لقد بات من الواضح أن مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد صفوف الامة أمام أعداء الإسلام أمل من الآمال التي يتطلع اليها كل المصلحين الذين ظهروا في العالم الاسلامي، ولايخفى حجم مسؤولية اولي الامر في الدول الاسلامية والدور الذي يمكن ان تلعبه الحكومات في تحقيق التعايش الاخوي بين المنتمين الى المذاهب المختلفة، وتحد من انتشار ظاهرة التعصب المذهبي وحصرها في حدود ضيقة لاتسيء الى سمعة الاسلام، وتحقق المصلحة الجماعية للمسلمين.

ومما لاشك فيه ان نقل صورة مثلى للاسلام يحتاج الى تعاون بين مختلف العلماء من مختلف المذاهب الاسلامية. وقد بذل بعض القادة والعلماء والمفكرون جهودا مشكورة كبيرة في هذا السبيل.

وقد بذلت – خلال السنوات الاخيرة – جهودا كبيرة في سبيل تحقيق هذا الهدف المبارك. فعقد الكثير من المؤتمرات والندوات التي تناولت هذا الموضوع.

والكتاب الذي بين يديك – عزيزي القارىء – هو عبارة عن مجموعة من المقالات التي قدمها الامين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية (سماحة آية الله الشيخ محمدعلي التسخيري) وألقاها في عدد من المؤتمرات الدولية؛

وقد تناول فيها موضوع الوحـدة الاسـلامية ببحـث علمـي وشـرح واف، ومفـصل، مسلطا الضوء على المسائل الاساسية بهذا الشأن ومن اوجه متعددة.

وتطلعا منها في تحقيق الاهداف التي يصبوا المجمع الى تحقيقها؛ فقد ارتأت مديريـة الطبع والنشر التابعة له، أن تقوم بمهمة طبعه ونشره؛ عسى ان تكون قد شـاركت في هذا النهج المقدس سائرة على طريق تحقيق اهداف التقريب بين المذاهب الاسـلامية والله الموفق.

المقــدمة

الوحدة الاسلامية، اطروحة تعبر عن هدف ايديولوجي وزمني مقـدس، كمـا انهـا اطروحة شاملة ذات ابعاد متعـددة، الا ان الملابـسات التاريخيـة والاجتماعيـة الخاصـة اضفت عليها نوعاً من التحديد فـصارت ـ الوحـدة الاسـلامية ـ عبـارة يفهـم منهـا البعد المذهبي والعلاقات المذهبية بين المسلمين خاصة، مع انها في الأصل عبارة شاملة تستوعب مختلف جوانب الحياة الاسلامية، ثقافية وسياسية واجتماعية... الخ.

صحيح ان حل المسألة المذهبية له دور أساس في اقامـة الوحـدة الاسـلامية، لكـن الظـروف الجديـدة، جعلـت الجوانـب الاخـرى مـن الوحـدة، كالجانـب الـسياسي والاجتماعي والثقافي لا تقل اهمية عن الجانب المذهبي.

فالوحدة السياسية على صعيد البناء الداخلي للدولة، وعلاقات الاسـلاميين فيمـا بينهم، والوحدة الاجتماعية على صعيد العلاقات القومية والوطنية، والوحدة الثقافية على صعيد الفكر وابعـاده المختلفـة في الحيـاة الجديـدة ضـرورات اساسـية لا يمكـن التحدث عن الوحدة الاسلامية دون الاستجابة لها وتنفيذ متطلباتها.

الامر الذي يحتم تطوير آفاق البحث في الوحدة الاسلامية وإشراك خبراء السياسة والاجتماع والثقافة فيه اضافة الى خبراء المذاهب.

تطور فكرة الوحدة في الجمهورية الاسلامية

الوحدة الاسلامية فكرة صاحبت الثورة الاسلامية منذ أيامها الاولى، وانبثقت من عمق جذورها الفكرية والسياسية والاجتماعية. الامر الذي انعكس على مرحلة ما بعد الانتصار في صورة اعطاء اكبر ما يمكن من الجهد في مجال السعي لتحقيق الوحدة بين المسلمين، وتحويل الشعارات الى واقع حي متحرك بزخم وفاعلية كبيرين وخطوات عملية متلاحقة. ففي البدء، اعلنت الفترة الواقعة بين (١٢ ـ ١٧ ربيع الاول) من كل عام هجري اسبوعاً للوحدة الاسلامية، يحتفل فيها المسلمون بذكرى الميلاد النبوي الشريف، ويعيشون الوحدة الاسلامية فكرياً وروحياً هماً عميقاً يملك عليهم أبعاد وجودهم. فالنبي الاعظم (ص) هو المؤسس لهذه الامة، ومن الطبيعي ان يستذكر المسلمون وحدتهم عند ذكرى ولادته (ص)، خلافاً لما كان عليه الحال قبل الثورة الاسلامية حيث كان اختلاف المؤرخين في تحديد يوم ولادة النبي (ص) بين الثاني عشر والسابع عشر من شهر ربيع الاول مظهراً من مظاهر الاختلاف بين المسلمين (السنّة والشيعة).

وضرورات الوحدة الاسلامية جعلتها تتصدر أولويات هموم المسلمين، وتفرض نفسها اساساً لاعادة بنائهم، الذي صدعته الخلافات الفكرية، والعقيدية وما أفرزته من اجتهادات متباينة. الا ان الوحدة باعتبارها مشروعاً لا يمكن ان تتحقق مصداقيتها على أرض الواقع ما لم تتوافر على آلية متقنة وادوات فاعلة، اضافة الى اجراء مراجعة تفصيلية لبعض مقولات المذاهب الاسلامية، واعادة النظر في بعض فواصل نظامهم المعرفي، ومن هذا المنطلق باتت مؤتمرات الوحدة الاسلامية تسير بهذا الاتجاه، حيث أخذت تطرح محاور فكرية تعالج اشكاليات مذهبية مستعصية من خلال دراسات تفصيلية وشاملة، فقد سلط المؤتمر العالمي الثامن للوحدة الاسلامية ـ مثلاً ـ

الضوء على ثلاثة محاور مهمة هي:

ـ الكتاب.

ـ السنة.

ـ الثابت والمتغير في ضوء الكتاب والسنة.

جاء هذا الاسلوب الجديد في الطرح ايماناً منه بضرورة الوحدة الفكرية اساساً لوحدة المسلمين العملية.

والوحدة الاسلامية بمفهومها الحقيقي، الذي يتجاوز كل الفوارق الطبقية، والعنصرية، واللونية والجغرافية وغيرها هو حلم المسلمين اليوم في شتى أقطار الارض، وهو نداء القرآن العزيز يهز كل الغيارى أينما كانوا ليسعوا الى تحقيقه، وهو بالتالي الهاجس الذي يقض مضاجع الاستكبار العالمي، ويرعبه وهو حلم فكيف به اذا تحقق، واستيقظ هذا العملاق الغافي (كما تصفه بعض كتابات المفكرين الاستعماريين) الممتد من المحيط الى المحيط والذي له قدرة هائلة تمتلك كل عناصر القوة؛

فأرضه اكثر من ٣٥ مليون كيلو متر مربع، ونفوسه تتجاوز المليار انسان مضح يؤمن بان الموت في سبيل الله سعادة، له من الخبرات العاملة ما يتجاوز الـ(٢٥٠) مليون يد عاملة، وله من القدرات العسكرية الظاهرية ما يقارب الـ(١٠) ملايين انسان مدرب، ولديه أكثر من مائة ميناء استراتيجي على مختلف البحار والمحيطات، ويسيطر على أكثر مصادر النفط، والنحاس واليورانيوم وغيرها.

كل هذا في الجانب المادي، ناهيك عن الجانب المعنوي الضخم الذي تمتلك هذه الامة متمثلا في رسالتها العظيمة التي تمتلك أعظم اطروحة لحل مشكلات البشرية والقضاء على التناقض بين المصالح الفردية والمصالح الاجتماعية، وهو أمر عجزت

عنه كل تلك الانظمة الوضعية الخاوية، فانها زادته حدة وسعاراً.

نعم، ان الاستكبار العالمي يخشى هذه الوحدة التي تبشر بها هذه الصحوة الاسلامية الكبرى، وعلينا نحن المسلمين ان نعد لهذه الخشية فنزداد اصرارا على المسير ونزيد من عزائمنا في سبيل هذه الوحدة الكبرى.

ومن هنا، جعلت الثورة الاسلامية شعار تحقيق الوحدة الاسلامية الكبرى في طليعة شعاراتها وراحت تعمل بكل جهد على تحقيقها متجاوزة كل ما يزرعه الكفر العالمي في طريقها من عقبات، هازئة بكل التهم والدعايات، وكل ما يقوم به عملاء الاستكبار من اثارة للعنعنات والطائفيات وما تروجه الاقلام العميلة من روح قومية ممزقة، وشعارات وطنية مفرقة، وغير ذلك.

ولهذا، وجدنا قادة الثورة الاسلامية ممن يتبنون هذا الخط المبارك ويدعون له بكل قوة من خلال لقاءاتهم وكتاباتهم وخطبهم ومواقفهم في الاوساط الفقهية والسياسية وعقد المؤتمرات واقامة المؤسسات المتخصصة منطلقين بذلك من وعيهم للاسلام العظيم، ولخصائص الامة الاسلامية، وللظرف المحيط بهذه الامة، واهتمامهم العالمي بالانسان والاسلام اينما كان. وما تأسيس القائد الكبير آية الله الخامنئي لمجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية الا خطوة على هذا الطريق اللاحب.

واذا رأينا هذا الهجوم الشامل على الثورة وقادتها فانما يعبر ذلك عن حقد الكفر العالمي عليهم وعلى هذه الرسالة العالمية الكبرى التي اضطلعوا بحملها وتأكيدها.

اننا نعتقد ـ بكل وضوح ـ ان سبيلنا الحقيقي هو سبيل الوحدة الاسلامية الكبرى ولذا فلن نضعف عن الدعوة اليها والاستجابة لنداء الامام القائد الكبير لتحقيقها، وكلما زاد أوار الحملة ضدنا فلن يزيدنا ذلك إلا اصراراً على اللقم وصبراً على مضض الألم وإلا إيماناً بالنصر المؤكد.

ان المسلمين جميعاً ينطلقون من اصول العقيدة الاولى، ويرجعون الى المنبعين الرئيسيين، الكتاب الكريم، والسنة الشريفة، ويؤمنون بالاسلام منهج حياة. وما أروع هذه المنطلقات الواسعة اذا استوعبتها الامة واذا صممت على تحويل الايمان بها الى واقع قائم، وبالتالي لتكوين اللقاء الموحد في مختلف المجالات.

فليعمل المفكرون والمسؤولون، والواعون المتألمون لقضايا امتهم، العاملون على دفع مسيرتها الى الامام على تحقيق هذا الهدف الكبير عبر تعميق هذه الاسس المشتركة في وجود الامة وتوضيح مقتضياتها العملية.

ولتسكت كل صرخة مفرقة، لانها لا تصدر الا من شيطان، أو جاهل، او متعصبب مقيت.

وما هذا الكتاب ـ عزيزي القارئ ـ الا مجموعة مقالات كتبت في فترات مختلفة وربما بمناسبة انعقاد بعض المؤتمرات الدولية، تحاول استعراض تلك المحاولات الجادة والآراء المستحكمة في نفوس الامة الاسلامية والنزعات الجاهدة الجادة الى تحقيقها طلباً لمرضاة الله واصلاح الامة الاسلامية في وسط هذا الزحام المتراكم من الافكار والهجمات الثقافية المركزة والمتواصلة من قبل الكفر والاستعمار العالمي.

داعين الله ان يحقق آمال الامة الاسلامية وطموحاتها نحو الخير والصلاح والله الموفق الى سواء السبيل.

الفصل الأول

الاسـلام والوحـدة

عوامل الانتصار الأول

(هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم).

(الأنفال، ٦٤، ٦٣)

يمكننا بالتأكيد أن نعرف من هذه الآية الكريمة العوامل الرئيسة التي حققت ذلك الانتصار الاسلامي الرائع في عصر مطلع الإسلام.

ولكن قبل التأمل في هذه العوامل ومعرفة آثارها ينبغي الألتفات الى أهمية ذلك الانتصار الأول وأبعاده.

أهمية الانتصار الأول

إننا إذا تأملنا الوضع العالمي الذي كان قائماً في القرن السابع الميلادي: الانحطاط الاخلاقي الفضيع يغرق العالم، والاستبداد السياسي القاتل يسخر الشعوب لمصالحه والانحراف الديني يقلب وظيفة الدين رأساً على عقب، والكهنوت بكل مظاهره اللاإنسانية يستفيد من الدين لضرب انسانية الإنسان.

هذا من جهة ومن جهة أخرى إذا ركزنا على الوضع المتردي في الجزيرة العربية، خلقياً وسياسياً ودينياً بل وحتى شعوراً بالشخصية الاجتماعية، نجد الانسحاق

الكامل. ونقصد بذلك أن الانسان العربي آنذاك لم يكن يشعر بأية رابطة اجتماعية اللهم إلا التعصب القبلي وقد يكون الحال كما يقول الشاعر:

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

إنه بهذا البيت يعبر عن الروح الوحشية المعتدية على كل أحد مهما كان وهو بالتالي يعبر عن الوضع النفسي الواطئ للانسان العربي آنذاك.

إذ لاحظنا هذا وقارناه الى الوضع الذي صنعه الاسلام خلال بضع عشرة سنة ـ وهي فترة لا تعد شيئاً في عمر التاريخ ـ أدركنا عظمة ذلك الانتصار الاسلامي الاول. إننا نلاحظ الوضع بعد هذه الفترة الوجيزة من عمر التاريخ على النحو التالي:

نور ينطلق من غار حراء المظلم فتشرق به الأرض كلها، وأفراد لم يكونوا يشعرون بوجودهم تحولوا الى أمة عقائدية مضحية تمشي على قمم الزمان وتقدم للعالم أروع الصور الأخلاقية والانسانية (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ودولة اسلامية متكاملة تخضع لها الجبابرة وتنهزم امام حضارتها كل الحضارات الأرضية القائمة، وأمام جيوشها العقائدية كل الجيوش الكسروية والقيصرية الجرارة، ومبدأ اسلامياً يزحف الى القلوب ويغير الأمم رأساً على عقب ويعطيها الشخصية الجديدة.

هذه بعض معالم ذلك الانتصار الكبير فهل بعد ذلك من مزيد؟!

عوامل الانتصار العظيم

ولنرجع الى الآية الكريمة لنعرف عوامل ذلك الانتصار الرائع أولاً ثم لنسحبها على واقعنا الاسلامي اليوم. إن العوامل التي اشير اليها باختصار رائع هي كما يلي:

اولاً: التأييد الإلهي

فالله تعالى كريم لطيف، تام اللطف والتأثير فإذا توفرت في أي شعب او مجموعة قابلية التأييد ـ باعتبار كونها تسير باتجاه الكمال الإنساني وهو الهدف العام من الخلقة ـ جاء التأييد الإلهي على عجل.

والآيات القرآنية الكريمة والشواهد التاريخية المتتابعة كلها تؤكد هذه الحقيقة الكبرى.

ثانياً: شخصية القائد الشجاع الحكيم (أيدك بنصره)

ولا نرانا بحاجة للاسهاب في عرض الأبعاد القيادية لشخصية الرسول الأعظم (ص) فهي مما اجمع عليه المؤرخون والعظماء.

ثالثاً: صفات المؤمنين الأوائل من أصحاب الرسول الكرام (رض)

بعد أن كانوا مثال الايمان والارتباط بالعقائد والتعلق به، والتضحية في سبيل العقيدة وتطبيق النظام الإلهي بعد عملية وعي كبرى يقل نظيرها في التاريخ.

رابعاً: وحدة القلوب وتآلفها

وهذا العامل يمكنه ان يندرج في العامل السابق ولكن الآية الكريمة أكدت عليه لأهميته ولتبدي سر العظمة فيه فلنتأمل سر قوة هذا العامل لندرك أثره التاريخي.

الوحدة الحقيقية

إن القرآن يشير الى الوحدة الحقيقية معرضاً عن كل انماط الوحدة الزائفة التي يجمعها عنوان: (وحدة الأبدان والمصالح المادية) وهي من قبيل:

الوحدة على أساس المصالح السياسية.

الوحدة على أساس العروق القومية.

الوحدة على أساس التعصب القبلي.

الوحدة على أساس العامل الجغرافي.

الوحدة على أساس التاريخ المشترك.

الوحدة على أساس الحضارة المادية.

الوحدة على أساس المصالح الطبقية.

الى غير ذلك من أنواع الوحدة من هذا القبيل.

إن القرآن لا يرى في أي من هذه الأشكال عاملاً حاسماً للنصر. وفي المقابل يؤكد على (وحدة القلوب) تلك الوحدة التي لو أنفق ما في الأرض على تحققها بالعوامل المادية ما تحققت فما هي أسس وحدة القلوب هذه يا ترى؟

إن لها باختصار أساسين:

العقيدة الحية الواقعية.

والعاطفة القائمة على أساس عقائدي.

فلا العقيدة لوحدها بقادرة على تجميع القلوب وتآلفها مهما كانت واقعية قوية، ولا العاطفة لوحدها بقادرة على ذلك. ولو أمكن تحقيق ذلك لنجحنا على المدى الطويل في شد الأفراد بعضهم الى البعض الآخر، ودفع الأمة للسير الحثيث نحو الكمال.

أما المؤثر الحقيقي فهو الإيمان الواعي النافذ الى الأحاسيس والمالئ للوجود والمرتبط بالله الحقيقة الكبرى في الوجود.

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون). (الحديد: ١٦)

وعندما يعمل الإيمان والعاطفة المؤمنة على شد القلوب ويرفدها توفيق الله ومدده فلن تنفصم هذه الوحدة، وهي بالتالي تصنع الأعاجيب والمعاجز كما صنعتها في عصر صدر الاسلام وهي تصنعها في عصر عودة الاسلام من جديد في ايران الاسلام والثورة.

محور الوحدة الاسلامية

إن القرآن الكريم إذ يحبذ الوحدة الاسلامية يضع خطة شاملة كبرى عملية لتحقيقها تحتوي على مبادئ سامية مستمدة من قيمه الحياتية التي يؤمن بها.

ولسنا هنا بصدد التعرض لجمل هذه الخطة الكبرى وإنما نحاول الإشارة الى شيء من ملامحها ومبادئها تحقيقاً لهدفنا المنشود من هذا البحث:

أ. بيان محور الوحدة

إنه يبين المحور الأساس الواضح للوحدة، والملاك القويم الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يبعض ولا يمزق على أي حال وفي أي مجال متصور.

إنه بتعبير القرآن: حبل الله، والوسيلة لتحقيق مرضاته، إنه الإسلام والقرآن نفسه. وكل خط لا يتطرق الخطأ إليه.

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا).

(آل عمران: ١٠٣)

ب. التذكير بآثار الوحدة

وذلك لابقاء الاحساس بضرورتها حياً دائماً في النفوس دافعاً إياها الى تجاوز الخلافات الوقتية (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله

لكم آياته لعلكم تهتدون).

(آل عمران: ١٠٣)

جـ. التأكيد على وحدة الأصل والمسير والهدف

إنه يؤكد على أن الأصل واحد (خلقكم من نفس واحدة) ويؤكد على أن المسير واحد.

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه).

(الشورى: ١٣)

ويؤكد على أن الهدف واحد (وما خلقت والإنس إلا ليعبدون).

(الذاريات: ٥٦)

وبالتالي يدعو للدخول المجموعي في إطار التسليم الكامل لله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان).

(البقرة: ٢٠٨)

د. غرس الأخلاقية والتضحية بمصالح الذات

ذلك إن من الواضح أن من شروط الوحدة والسير المشترك ونسيان الكثير من المصالح الذاتية والعمل لصالح المجموع الواحد. والاسلام العظيم إذ يشكل المبدأ الوحيد الذي يحل المشكلة الاجتماعية (مشكلة التعارض بين الذاتيات ومصالح المجموع) ضمن خطة رائعة فإنه يضع أساس الوحدة.

ومن ضمن خطة الاسلام غرس الروح الاخلاقية في النفوس، روح الايثار (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) روح العمل في سبيل الله (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً). روح اتباع رضوان الله. ومن

الواضح ان هذه الروح إذ تسري في الأفراد تذهب بكثير من عناصر التمزق والتفرق والشقاق.

هـ. تصوير الهدفية السامية والوظائف الكبرى

ومن أساليب القرآن الكريم انه يصور للامة اهدافها السامية، ويمنحها وظائف حضارية كبرى من مثل قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس).

(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً).

ومن الواضح انه كلما تجلت الأهداف السامية في خلد الأمة اندفعت بشكل طبيعي الى الوحدة والتآلف والعمل المجموعي. لأن الأهداف الكبرى لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال ذلك وعلى نفس هذا النسق يبين القرآن وحدة المصير إذ يقول: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة).

و. حذف مقاييس التفاضل المزقة

أشرنا من قبل الى أسس مطروحة للوحدة، وانها أسس باطلة غير قوية وان الاسلام اذ رفضها اسساً للوحدة رفضها اسساً للتفاضل الاجتماعي وأعطى مقياساً انسانياً عاماً له ما يضمن الجو الصالح لقيام الوحدة ودوامها.

فملاك التفاضل الذي يصوره القرآن هو الأمور التالية:

أولاً: التقوى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

ثانياً: العلم: هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

ثالثاً: الجهاد والعمل: فضل الله المجاهدين على القاعدين.

ومن الواضح ان هذا الملاك إذا طبقه المجتمع عاد في تماسك ما بعده تماسك.

ز. الدفع نحو التأكيد على نقاط الالتقاء

وهو منهج قرآني أصيل لا بين المسلمين أنفسهم فحسب بل وحتى مع معتنقي اقرب الأديان الى الاسلام وهم أهل الكتاب، انها خطوة عملية في مواجهة الالحاد.

(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اراباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

(البقرة: ٦٤)

وعمل كهذا لابد أن يهيئ أرضية صالحة للتفاهم والوصول الى الحقيقة.

إن هذا المنهج يجب أن يدفعنا نحن المسلمين للتأكيد على نقاط الالتقاء بيننا وسنجد أنها اكثر مما يتصور حتماً انها تشمل كل المجالات بلا ريب.

والغريب ان البعض منا مستعد لأن يتعايش مع شيوعي ملحد ويناقشه بهدوء مثلاً في حين انه غير مستعد احياناً للنظر الى مسلم يختلف معه في بعض النظرات الجزئية، أليس هذا من عمل أعداء الله؟!

ح. التربية على اسلوب المحاورة البناءة

إن القرآن يطرح اسلوباً موضوعياً رائعاً للمحاورة مع أعدائه فضلاً عن أن يطرحه بين أبنائه.

فها هو يعلم الرسول الأكرم (ص) ان يقول للكافرين رغم ايمانه الشديد بما يعتقد (وانا أو أياكم لعلى هدى او في ضلال مبين).

(سبأ: ٢٤)

إنها الموضوعية الكاملة في النقاش، وانه الاسلوب الأمثل للوصول الى نتيجة

صحيحة من خلاله. اما السب والشتم والطرد وأمثال ذلك فهي امور لا تفيد في النتيجة ولا تؤثر فيها وربما أثرت العكس كما هو واضح.

فالنقاش الهادي الموضوعي بين طرفين هما بمستوى النقاش يتوخيان الحقيقة حتى لو خالفت مسبقاتهما ويعتمدان الحجة والبرهان المنطقي الأصيل، كل هذا يضمن الوصول في كثير من الأحيان الى قناعات مشتركة تشكل اساساً للوحدة ومجالاً للتعاون المشترك.

ط ـ وهناك أساليب قرآنية في هذا المجال منها طرح المعالم والخصائص المميزة لهذه الأمة ومنها تكتيلها ضد عدوها المشترك وتذكيرها بأنه متحد ضدها وغير ذلك.

إلا إننا نكتفي بما قلنا لنتحدث عن واقعنا الممزق اليوم والعوامل التي ساعدت عليه وأساليب التخلص منه.

الواقع الممزق

قد يقال قبل كل شيء ـ لماذا هذا التصوير المتشائم للواقع؟ ألسنا نمتلك منظمات اسلامية كبرى واتحادات مشتركة، ومؤتمرات قمة اسلامية وتوجهات مشتركة وأمثال ذلك فلم هذا التشاؤم؟!

والحقيقة: إننا يجب أن لا نخدع أنفسنا فالتفاؤل المفرط أشد ضرراً من التشاؤم المفرط وإلا؛ فلماذا هذه الاتجاهات المختلفة في العالم الاسلامي؟ ولماذا عدم التوحد حتى على قضية هامة كقضية فلسطين؟ ولماذا هذا الاختلاف الكبير في مستوى المعيشة والقدرات والامكانات فبين جزء اسلامي لا يجد ما يأكل وجزء اسلامي متخم من كثرة الأكل والترف؟

ولماذا لا نملك اليوم معالم الأمة الواحدة الشاهدة والتي هي خير أمة أخرجت للناس؟ إن هذه المنظمات خطوات صغيرة وربما كانت احياناً للتغطية السياسية

والتمويه والتخدير. ولماذا تروج بيننا الدعوات الممزقة، القومية والوطنية، والجغرافية الضيقة، والعلمانية وأمثال ذلك؟ لماذا لا نملك على الأقل ان نحسس كل المسلمين بقضايانا الكبرى في فلسطين وغيرها فنخرجهم من حالة اللامبالاة؟ لماذا لم ندرك لحد الآن جميعاً ان القوى الكبرى وفي طليعتها اميركا المجرمة لا تريد بنا الا شراً؟

لقد بلغ بنا الحال الى حد يسعى فيه البعض الى مد اليد الى الصهيونية عدوة الاسلام! إن واقعنا ممزق بلا ريب وعليه ان يعي عوامل هذا التمزق فما هي:

عوامل التمزق اليوم

إن أهم عوامل التمزق اليوم هي:

الاستعمار والاستكبار العالمي والذي يستفيد من ارضية ملائمة للتمزق هي أرضية (التعصب، والجهل، والمصالح الضيقة).

إن الاستكبار العالمي اليوم يحس بأن الأمة الاسلامية تمتلك كل عناصر النهوض، رسالة واقعية انسانية، وعناصر مادية وبشرية، وقيادة حقيقية قدمت تجربة رائعة، وتأييد الهي موعود، ومقومات واقعية للوحدة. ولما لم يكن ليستطيع تغيير أي عنصر سوى الوحدة فهو يركز جل اهتمامه وتآمره على تمزيق هذه الوحدة مستفيداً كما قلنا من جهل بعض المسلمين، ومن تعصب الآخرين، ومن مصالح الخاضعين لسياسته الجائرة.

وهو يسخر لهذا الهدف أساطيله الاعلامية، وعقوله المخططه وعملاء في المنطقة سواء العملاء الفكريون او الجواسيس والمتسلطون.

فما العمل على ضوء هذا؟

إننا نعتقد ان الشعوب الاسلامية اليوم في يقظة عظمى وفي شوق كبير لتحقيق الوحدة الحقيقية وهذه اليقظة هي مقدمة العمل الكبيرة.

فعلينا إذن:

١ـ أن نفضح مخططات الاستكبار العالمي وهو أمر سهل فيكفي مجرد عرض بعض المواقف الاميركية ليكتشف المسلم الواقع.

٢ـ كما ان علينا ان نعرض حقيقة التزييف الوحدوي المطروح على الساحة ونري أفراد الأمة بالأرقام المحسوسة كذبه وافتراءه.

٣ـ ومن ثم ننطلق باسم القرآن الكريم لنعمق أساليب القرآن العاملة على الوحدة في الأمة المسلمة اسلوباً اسلوباً فنذكر بمحور الوحدة الاسلامية ـ (حبل الله).

ونذكر بآثار الوحدة هذه.

ونركز على وحدة الأصل والمسير والهدف.

ونغرس الأخلاقية في النفوس.

ونصور للامة اهدافها ووظائفها السامية.

ونشيع مقاييس التفاضل الأصيلة.

ونؤكد على نقاط الالتقاء.

ونتبع الاسلوب الأمثل للمحاورة البناءة.

وأخيراً يجب أن لا ننسى الدور الذي يمكن أن يؤديه تكتيل الأمة حول قضاياها المشتركة في فلسطين وغيرها.

إننا أيها المسلمون!

نمتلك كل عوامل الوحدة الحقيقية على الصعيد العقائدي والعاطفي والأخلاقي والسلوكي فيجب أن لا تمنعنا بعض الاختلاف في الرأي والاجتهاد من أن نلتحم بوجه العدو.

إننا بالاضافة لما سبق نملك بلا ريب استراتيجية واحدة وتتوقف مصالحنا

السياسية على هذا الموقف الواحد ضد الاستكبار العالمي.

وبعد كل هذا نقول:

إن عقيدتنا تدعونا الى الوحدة الاسلامية.

وإن نظامنا يدعونا الى الوحدة الاسلامية.

وان استراتيجيتنا السياسية تدعونا الى الوحدة الاسلامية.

فلماذا هذا التواني؟! ولماذا التحير؟ انها فرصة الوحدة الاسلامية الكبرى فلننطلق لتحقيقها تحت لواء القرآن الكريم ولنستمع بعد ذلك الى النداءات المخلصة التي يطلقها القادة والمفكرون ونغض الطرف عن كل ما يشين ويمزق هذه الوحدة بعد أن نمتلك المقياس الذي نشخص به الموجهين الحقيقيين عن الأشخاص المزيفين وأدعياء الوصاية على الدين وهم محكومون لمخططات الكفر والاستكبار.

وحدة المسيرة المؤمنة عبر التأريخ

وحدة المسيرة المؤمنة عبر التاريخ. هذه العبارة حقيقة يؤكدها الاسلام ويركزها في خلد الانسان المسلم ليذكره انه جزء من سلسلة تاريخية ممتدة من عمق الزمن من جهة، وستمتد الى العمق الآخر الى الغد الممتد من جهة ثانية.

فالانسان المسلم ليس وحيداً، ولا يعيش في إطار خاص، وفي دائرة ضيقة، ولا حتى في دائرة مكانه او قطره او أرضه كلها، ولا حتى في دائرة زمانه الخاص. الانسان المؤمن ـ في الوقع ـ حلقة من سلسلة ممتدة كلها متراصة تضع خطواً على خطو، وتستهدف هدفاً واحداً، منطلقة من منطلق واحد وفي إطار مسيرة واحدة.

هذا المفهوم يركزه الاسلام في ذهن الانسان المسلم، وفي خلده وفي نفسه، وفي روحيته، من خلال مظاهر شتى:

الأول:

يركزه بشكل مباشر فبعد ان يعدد أو يذكر مسيرة الأنبياء ـ مثلا ـ يطرح هذه الحقيقة، قائلاً:

(ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون).

يعني بعد ان يذكر الانبياء، واحداً بعد الآخر، ورسولاً بعد رسول، ينظر للمسيرة الممتدة، للكل الانساني المؤمن، قائلا:

(ان هذه امتكم امة واحدة، وانا ربكم فاعبدون) أو في آية أخرى:

(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم)[١] و(ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون)[٢].

هذا اسلوب يشير فيه القرآن الى وحدة المسيرة المؤمنة بشكل مباشر.

والثاني:

يطرح هذه الوحدة من خلال وحدة المسير، يقول للمؤمنين:

(مسيرتكم واحدة، شريعتكم واحدة).

قد تتفاوت الشرايع ـ من حيث الاجمال والتفصيل ـ قد تتفاوت من حيث تحريم بعض الاشياء وتحليلها، ولكن اصول المسيرة ومعالم المسيرة العامة تبقى واحدة دائما.

القرآن يقول:

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه، الله يجتبي اليه من يشاء، ويهدي اليه من ينيب)[٣]. والآية واضحة جداً في بيان وحدة المسيرة، حتى أننا نجد ان بعض الآيات التي تذكر تشريع بعض العبادات في الاسلام تؤكد ان هذ العبادة ليست أمراً مبتكراً في هذه الشريعة، وانما كتب مثل هذه العبادة على أمم سابقة مؤمنة.

الآية القرآنية تقول:

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)[٤].

---

(١) المؤمنون: ٥١.

(٢) المؤمنون: ٥٢.

(٣) الشورى: ١٣.

(٤) البقرة: ١٨٣.

او على لسان النبي عيسى (ع) حيث يقول:

(ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم).[١]

فهناك شيء من التفاوت، ولكن الاصول والمعالم العامة واحدة في كل الشرايع.

اذاً: المسيرة المؤمنة ـ هنا ـ تركز من خلال وحدة المسير ومن خلال وحدة الشريعة. كما نجد ان هذه المسيرة تركز في خلد الانسان المسلم عبر نظرية تقسيم المراحل الانسانية في القرآن الكريم.

القرآن يقول:

(كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم).[٢]

كما تركز (وحدة المسيرة المؤمنة) من خلال وحدة السنن الإلهية في التاريخ، السنن الإلهية التي تتحكم في المسيرة الانسانية عموماً، هذه الوحدة تنعكس ايضاً على المسيرة المؤمنة.

القرآن يقول:

(سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً).[٣]

(سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً).[٤]

ويتم التركيز على وحدة الاصل ووحدة الهدف، ووحدة المسؤولية، ووحدة المصير:

---

(١) آل عمران: ٥٠.

(٢) البقرة: ٢١٣.

(٣) الاسراء: ٧٧.

(٤) الاحزاب: ٣٨.

ففي مجال وحدة الأصل، نجد القرآن يركز أنه:

(خلقكم من نفس واحدة).[١]

وفي مجال وحدة أصل الهدف. القرآن يقول:

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون).[٢]

وعن وحدة المسؤولية: نجد القرآن يركز على ان المسؤولية الانسانية ملقاة على النوع الانساني: (اني جاعل في الارض خليفة).[٣]

الخليفة هنا هو الانسان بنوعه.

وعن وحدة المصير يقول: (انا لله وانا اليه راجعون).[٤]

وقد روي ان احد اصحاب الامام امير المؤمنين علي(ع)، قد هزه الفرح عندما انتصر الامام في احدى معاركه، وتألم أيضاً لان أخاه لم يوفق لان يشهد المعركة ويرى هذا النصر العلوي الزاهر.

يأتي هذا الانسان الى الإمام ويظهر فرحه من جهة ويظهر أيضاً تألمه لان أخاه لم يشهد هذا المعنى، ويسأله الامام ويقول: (أهوى أخيك معنا؟) هل هو على خطنا، هل هو على نفس المسيرة؟ فيجيبه ذلك الانسان: (نعم)، يقول له الامام: (فقد شهدنا، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان)[٥]. بهذا المستوى: ان الايمان سوف يقوى بهؤلاء، حتى وإن لم تلدهم أمهاتهم بعد، كما ان هؤلاء شاركوا عليا في مسيرته وفي حربه.

---

(١) الاعراف: ١٨٩.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٤) البقرة: ١٥٦.

(٥) نهج البلاغة ـ صبحي الصالح ص٥٥.

نحن نعلم ان ابراهيم كان هو الذي سمى أمة الرسول العظيم بالمسلمين.

(ملة ابيكم ابراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل) وهذا يعطي الانسان المسلم صورة متصلة من ذلك العصر وحتى هذا العصر، وبالتالي يمنح الانسان المسلم قوة واملاً عظيماً واصراراً على ذلك الخط العظيم. ثم ان الانسان الذي يطوف حول الكعبة ايضاً يقال له: انت تضع قدمك في المكان الذي وضع المؤمنون عبر التأريخ اقدامهم، الانسان المسلم ـ حساً ـ يضع قدمه في مكان وضع المؤمنون والانبياء والصالحون اقدامهم، هذا المعنى يمنح الانسان المؤمن حساً فيعيش هذا التصور، انه يعيش في مسيرة مسلمة واحدة، ويطوف حول بيت، يمتد من عهد آدم رمزاً للتوحيد، الانبياء كلهم يحجون، موسى يحرم ويطوف حول البيت وعليه قطيفتان قطوانيتان كما في الرواية، يلبي فتجيبه الجبال ابراهيم واسماعيل يبنيان هذه الكعبة، وهكذا يتصور الانسان الحاج عندما يطوف حول البيت أنه يقف مواقف أنبيائه ـ كما يعبر امير المؤمنين علي سلام الله عليه.

هذا المعنى او هذا الشعور يترك آثاراً على النفس الانسانية.

١ـ من الآثار التي يتركها هذا المعنى: أصالة المسيرة المؤمنة، وعمق هذه المسيرة من أول التاريخ الى نهايته، فليست هناك غربة وليست هناك وحدة وانعزال.

٢ـ ومن الآثار: الاعتبار من المسيرة الأولى وهو يعني ان الانسان المسلم يجعل كل مراحل هذه المسيرة مدارس، وما مرت به هذه المسيرة عبراً يستفيد منها. قتل قابيل لهابيل، عبرة لها دلالاتها، حتى حركة وتصرف المرأتين اللتين واجههما موسى عند البئر، وحتى مشية هذه المرأة (تمشي على استحياء) يمكن ان تخلدها العقلية المعتبرة ان المرأة ـ هنا ـ جاءت تمشي على استحياء لموسى. امرأة فرعون وموقفها من فرعون يصبح مثالاً يضرب للذين آمنوا عبر التأريخ.

(وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لـي عنـدك بيتـاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله).[١]

امرأة في مسيرة تاريخية بعيدة تضرب مثالاً لكل المؤمنين عبر التاريخ.

كل التاريخ يصبح عبرة للانسان من خلال وحدة هذه المسيرة التاريخية. اليس هذا يقوم من فكرة وحدة المسيرة المؤمنة؟

٣- ضخامة المسؤولية الملقاة على عاتق المؤمن وسعة افق هذا الانسان المؤمن.

والشيء الآخر:

تلاحم خطى الأمة المسلمة ومسؤولية كل انسان عن المستقبل والعمل له.

ومن هنا استطيع ان أقول ان رسالة الاسلام العالمية رسالة تـرتبط بهـذا المفهـوم بشكل وثيق لا يمكن انفصاله.

---

(١) التحريم: ١١.

صلاة الجمعة.. مجتمع إسلامي مصغر

من معالم المجتمع الإسلامي

(الإسلام): هو ـ اليوم ـ الدين الوحيد الذي يمتلك اطروحة الترابط بين كلّ شيء في وجود الإنسان، وواقعه الحياتي الواسع الأبعاد.

هوالترابط بين واقعه الفطري الداخلي وتصوراته العامة عن الكون والحياة، وسلوكه العملي، فنجد أروع تلاحم بين العوالم الثلاثة في وجوده: (عالم الفطرة)، و(عالم النظرة للكون) و(عالم الآيديولوجية والسلوك).

واطروحته هي الوحيدة التي تأخذ بعين الاعتبار كلّ خصائص العوالم المذكورة بشكل طبيعي، بعد أن كانت هي بنفسها نتيجة حتمية لبناء عقائدي متين. وحصيلة تنظيمية تضمن للإنسان ـ الفرد والمجتمع ـ ديمومة السير على خط التكامل المطّرد.. خط الفطرة الأصيل.

وباعتبار هذه الظاهرة العامة في الإسلام ـ الظاهرة الواقعية ـ فهو يعمل على ربط السلوك الإنساني الإرادي بالله منبع الوجود، ومالك الكون، وخالق الإنسان، والرحيم العليم بما يصلحه ويفسده، والغاية القصوى التي يكدح إليها.

وبهذا تتم عملية التسامي الانساني متجلّية في التلاحم بين المسجد والحياة، بين العبادة والسلوك، فإذا بالمسجد يسع الحياة، وإذا بالحياة تنبض بروح المسجد، فيمتلئ الوجود الإنساني بنور الله، لينطلق متضرعاً لله يسأله الهدى التشريعي المواكب للهدى التكويني.

بهذا المنظار ندرك معالم المجتمع الإنساني الحقّ.

إنّه مجتمع رباني منشدٌّ بالسماء في تحركه التشريعي.

وهو مجتمع يتبع أثر القيادة الالهية وتشده الولاية إليها بكلّ وعي.

وهو مجتمع واحد منسجم (وأمرهم شورى بينهم) وغير ذلك.

صلاة الجمعة .. مجتمع اسلامي مصغر

إذا تأملنا معالم المجتمع الإسلامي، رأيناه يتمثّل في نموذج عبادي اسبوعي هو (صلاة الجمعة) إذ تتلاحم فيها الصلاة والحياة أو الهيام في الله والتعامل الاجتماعي وشخصية الإمام المطاع، والمجتمع الواعي المحاسب.

ذلك إننا نجد فيها:

أولاً: تجمّع الفئات المختلفة على صعيد واحد.

ثانياً: توجه الجميع إلى الكعبة رمز التوحيد.

ثالثاً: التبعية العبادية لحركات الإمام.

رابعاً: استعراض الإمام للقضايا الإجتماعية أمام المأمومين الأُمة.

خامساً: يضمّ الجميع أطار تربوي متمثل في قصد القربة، وفي المواعظ الاخلاقية العملية التي يقوم بها الإمام، وفي الأدعية المعتبرة التي يدعو بها المصلّون، وغير ذلك.

فصلاة الجمعة إذن صورة عملية لمجتمع إسلامي مصغّر يعرضها الإسلام كلّ أُسبوع، ليذكّر الأُمة المسلمة بخصائصها، ويخلق فيها الداعي للعودة إلى مثل هذه المعالم إذا فقدتها يوماً ما.

ولكي يعطي هذه الصورة تأثيرها العميق في النفوس، فانّه يحيط هذه الصلاة بهالة من التقديس، ويعظمها في النفوس، ويعد عليها بالثواب العظيم، وينزل فيها سورة قرآنية كريمة، ويطلب من الأُمة أن تترك كلّ ماليديها من عمل وتجارة وغير ذلك، ويحثّها للسعي نحو ما عند الله فهو الخير المطلق، وهو العطاء الجزيل.

إذ يقول تعالى: (يا أيّها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون).

(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون).

(وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين).

وقد جاء في الخبر عن الإمام الصادق(عليه السلام) قوله:

(ما من قدم سعت إلى الجمعة إلاّ حرّم الله جسدها على النّار)[1] وبهذا يحس المسلم انّه بسعيه إلى الجمعة يسعى إلى الجنّة.. الجنّة في الحياة الدنيا، والجنّة في الحياة الآخرة.

ويأتي أعرابي يقال له (قُليب) إلى الرسول(صلى الله عليه وآله) فيقول:

(يارسول الله اني تهيأت إلى الحج كذا وكذا مرة فما قُدّر لي).

فيقول له الرسول العظيم: (يا قُليب، عليك بالجمعة فانّها حج المساكين)[2].

وهذا شعور آخر يعطيه الإسلام للمسلم وهو يتجه إلى صلاة الجمعة، انّه شعور الراحل إلى الحج ليطوف حول مركز التوحيد ورمزه، وليسعى ما بين الحدين، وفي اطار الحدود الالهية، وليرمي الشيطان، فيعلن غضبه على الطاغوت.

وإذا تذكرنا أن عملية الحج هي عملية تربية لمثلي البشرية كلّها على نمط السلوك الذي يريده الإسلام للإنسان ـ الفرد والمجتمع ـ أدركنا بكلّ وضوح معنى تركيزنا على أنّ صلاة الجمعة هي صورة رمزية عملية للمجتمع الإسلامي.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ص ٣٩.

(٢) وسائل الشيعة، ج ص ٥.

وهنا تبدو لنا رواية تربط بروعة بين عملية التسابق إلى الجنّة يوم القيامة، وعملية التسابق في هذه الحياة إلى صلاة الجمعة، فيقول الإمام الصادق(عليه السلام):

(وانكم لتتسابقون إلى الجنّة على قدر سبقكم إلى الجمعة)[١] أليست الحياة الآخرة انعكاساً للحياة الدنيا؟ وأليس السلوك بل والشكل الذي يحشر عليه بنو آدم ينسجم مع نوعية السلوك في الحياة الدنيا؟

وفي الرواية عن الإمام علي أمير المؤمنين(عليه السلام):

(ضمنت لستة على الله الجنّة، منهم: رجل خرج إلى الجمعة فمات فله الجنّة)[٢].

ألم تؤكّد الروايات من قبل انّه في طريق الجنّة؟ إذن فهو يصل إلى القصد المطلوب.

وزيادة في التكريم وإعطاء الجو النفسي المؤثر، يأتي الحديث عن: (فضل يوم الجمعة وحقّه).

و روى الصدوق بسنده عن الصادق(عليه السلام) أنّه قال: (إنَّ للجمعة حقاً وحُرمة، فإياك أن تُضيّع أو تُقصّر في شيء من عبادة الله والتقرب إليه بالعمل الصالح، وترك المحارم كلّها، فان الله يضاعف فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات، ويرفع فيه الدرجات.

قال: وذكر أن يومه مثل ليلته، فان استطعت أن تُحييها بالصلاة والدعاء فافعل)[٣].

وعن الرضا (عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): (إنَّ (يوم)

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٦.

(٣) نفس المصدر، ص٦٣.

الجمعة سيد الأيام، يضاعف الله فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات، ويرفع فيه الدرجات، ويستجيب فيه الدعوات، وتُكشف فيه الكربات، وتُقضى فيه الحوائج العظام، وهو يوم المزيد، لله فيه عتقاءً وطلقاءً من النار.. وما استخفّ احد بحرمته وضيّع حقّه إلاّ كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أن يصليه نار جهنم إلاّ أن يتوب)[١].

وهناك مجموعة، من الأدعية الوارد استحباب قراءتها ليلة الجمعة ويومها.

وقد عَلَّم القادة أتباعهم أن يتهيأوا للجمعة وعباداتها، ويعدّوا لها العدّة النفسية المطلوبة. ففي الرواية أنّ الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) كان يتهيأ يوم الخميس للجمعة[٢].

وهكذا تزيد الرواية التالية الموقف إجلالاً حين تقول:

(ما طلعت الشمس بيوم أفضل من يوم الجمعة)[٣].

ولكي يمكن ضمان التوجه، وبالتالي ضمان تأثير التعليمات الأخلاقية والاجتماعية التي تتضمنها هذه الصلاة، كان أي حديث أثناء الخطبة ممنوعاً، وأوجب الإسلام الاستماع الواعي المعبّر عنه أحياناً بـ (الحضور القلبي).

يقول الإمام الصادق (عليه السلام):

(إذا خطب الإمام يوم الجمعة فلا ينبغي لأحد أن يتكلّم حتّى يفرغ الإمام من خطبته).

هذا وبعد أن تهيأت كلّ الأجواء النفسية والشكلية اللازمة، تأتي الروايات، لتتحدّث عن مضمون الخطبتين، والأهداف التي ينبغي تحقيقها منهما.

---

(١) نفس المصدر، ص ٦٣.

(٢) نفس المصدر، ص٨.

(٣) نفس المصدر، ص٦.

ونحن هنا نكتفي بذكر الرواية الواردة عن الإمام الرضا(عليه السلام) التي تبيّن بكلّ وضوح الغاية المطلوبة فتقول:

(إنّما جعلت الخطبة يوم الجمعة؛ لأن الجمعة مشهد عام، فأراد أن يكون للأمير سبب إلى موعظتهم وترغيبهم في الطاعة، وترهيبهم من المعصية، وتوقيفهم على ما أراد من مصلحة دينهم ودنياهم، ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفات ومن الأهوال التي لهم فيها المضرّة والمنفعة، ولا يكون الصابر في الصلاة منفصلاً، وليس بفاعل غيره ممن يؤم الناس في غير يوم الجمعة، وإنّما جُعلت خطبتين واحدة للثناء على الله والتمجيد والتقديس لله عزّ وجلّ، والأخرى للحوائج والإعذار والإنذار والدعاء، ولما يريد أن يعلمهم من أمره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد)[1].

والرواية تركز على أُمور كثيرة:

أولاً: إنّ صلاة الجمعة، تجمّع عام ليس كمثل تجمع صلاة الجماعة، ومن هنا نجد أنّ فقهاء مذهب أهل البيت يفتون بعدم صحة صلاتي جمعة فيما دون الفرسخين.

ثانياً: فإنّ الذي يؤم المصلّين فيها هو الأمير، وهو من امتلك سلطة تنفيذية، وكان له حقّ اصدار الأمر في شؤون منطقته، مما يُعطينا الصبغة السياسية التي تملكها هذه العبادة من جهة، ويوضح أن الأمير يجب أن يكون على المستوى الخاص من حسن السلوك بحيث تصح الصلاة خلفه.

ثالثاً: إنَّ الصلاة ترغيب في الطاعة، وترهيب من المعصية، فهي تذكير للأُمة بلزوم تطبيق شريعة الله، والحذر من أية معصية وانحراف. وهذا يعني استعراض خطوات الشعب، وتقييمها بهذا المنظار الإلهي.

رابعاً: تقديم تقرير عن خطط الحاكم المستقبلية لتعيها الأُمة، وتقدم بالتالي

---

(١) نفس المصدر، ص٣٩.

النصيحة اللازمة.

خامساً: استعراض الموقف السياسي العام وما تتعرض له الأُمة من أهوال وحوادث ضارة أو نافعة.

وهكذا تتوالى هذه التعاليم السياسية الاجتماعية.

صلاة الجمعة في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

يرتبط تاريخ هذه الصلاة في مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) بدور هذه الصلاة نفسها.

ذلك إننا من خلال ما رأيناه نُدرك أنّ صلاة الجمعة عبادة سياسية ترمز إلى تركيز نوعية العلاقة الاجتماعية فيما بين الأفراد أنفسهم من جهة، وبينهم وبين قيادتهم من جهة أخرى، فمصيرها مرتبط بمصير القيادة الإسلامية المؤهلة العادلة تمام الارتباط.

ولذا نجد هذه الصلاة تفقد شرط قيامها لدى الكثير من علماء هذه المدرسة عندما تسلّم الحكم أمثال: ويزيد، والسّفاح، والمتوكل من الطغاة المتحكّمين ظلماً بالعباد..

وكان هذا المعنى مع وجود شيء من الاختلاف في النصوص، العامل الذي جعل العلماء ينقسمون إلى طوائف:

فطائفة ترى وجوب هذه الصلاة تعييناً، وأخرى ترى أنّها تتحول إلى واجب تخييري، مثلها كمثل صلاة الظهر يوم الجمعة. في حين ترى طائفة ثالثة أنّها تسقط عن الوجوب.. وهكذا.

وكان هذا الاختلاف عاملاً في عدم عمومية إقامة هذه الصلاة بين أتباع هذه المدرسة. كما قد يكون من العوامل التي دعت ـ ولو من بعيد ـ للعمل على تهيئة أرضية الوجوب من جديد، أي إعادة الحكم الإسلامي إلى الواقع التطبيقي، ليؤم

الحاكم العادل أو من يعيّنه المصلّين يوم الجمعة.

ومن هنا نقول أيضاً:

إنّ من أكبر نتائج نجاح الثورة الإسلامية الظافرة في إيران بقيادة قائد النهضة الإسلامية الحديثة الإمام الخميني (قدس سره) عودة صلاة الجمعة، رمز المجتمع الإسلامي المصغّر، إلى الظهور كعامل ثوري ضخم، يشدّ الجماهير إلى بعضها البعض، ويشدّها جميعاً إلى قيادتها الحكيمة، ويعرب فيها الشعب عن اصراره على تطبيق الإسلام، ويتحدث فيها إمام الجمعة عن كلّ شيء بصراحة، يربّي فيها الأُمة، ويُطلعها على الموقف الاجتماعي والسياسي، ويستشيرها في اتخاذ المواقف المستقبلية.

دور الحج في تنشيط الوحدة الاسلامية

(الوحدة الاسلامية) هي احدى خصائص الامة الاسلامية المهمة ولا يمكن ان نتصور أمة اسلامية متكاملة الشخصية دونما تصور لهذه الخصيصة وبدونها تكون الامة قد فقدت الكثير من خصائصها الاخرى وربما تكون قد فقدت خاصية الايمان الصادق بالله العظيم وبطريقها الاسلامي الواحد.

ولا تعني الوحدة الاسلامية قولبة كل الافكار ووحدة كل الانماط الفكرية والذوقية وامثال ذلك فان ذلك من المستحيل وانما تعني الاستجابة للبرنامج الاسلامي المخطط وتكوين امة تقيم التوازن بين خطين اساسيين:

احدهما ـ هذا الاختلاف الطبيعي بين الاذواق والامكانات والمستويات العلمية، وزوايا النظر، والثقافات والادلة وكيفية الاستنباط والقناعات التحقيقية وامثال ذلك من الاسباب الطبيعية التي تنتج الاختلاف وقد بحثها علماؤنا الاجلاء منذ القرون العديدة.

وثانيهما: لزوم الموقف الموحد في مجالات عديدة اهمها:

أ ـ الاصول الاسلامية الاولى التي تقع موقع البديهيات الاسلامية فيجب ان تشكل المساحات الفكرية المشتركة.

ب ـ الاخلاقية العامة التي تشكل الخصيصة المشتركة الاخرى بل يتعدى الامر هذه المساحة الى حيث يشغل كل الخصائص العامة للامة الاسلامية فيجب ان يعمل كل المسلمين على التحلي بهذه الخصائص او على ان تتحلى أمتهم بها.

ج ـ تطبيق الشريعة الاسلامية على كل الحياة ويمكن ان يعد هذا من البديهيات الفقهية للاسلام باعتباره اطروحة حياتية جاء الانبياء جميعا ليعدوا البشرية لتقبلها وتطبيقها.

د ـ الموقف السياسي الموحد من القضايا العالمية وخصوصا في قبال اعداء القضية كلها وهم المشركون والمنافقون والمستكبرون والعمل على الدفاع عن بيضة الاسلام.

هذه ـ اجمالاً ـ هي المجالات التي يجب ان تتوحد فيها الامة فاذا تم هذا عدنا الى ما قلناه من ان الامة الاسلامية يجب ان تحقق هذا التوازن بين الخطين فتضمن من جهة تدفق الافكار الجادة ونشاط الاجتهادات المفيدة في نفس الوقت الذي تضمن فيه الموقف الموحد في المجالات الآنفة. وقد أشرنا الى البرنامج الاسلامي الواسع لتحقيق هذا التعادل ولا نستطيع ان نتناول كل اطرافه هنا فهو واسع الابعاد والحقيقة ان من يلحظ الامور التالية يدرك عمق التخطيط الاسلامي لتحقيق الوحدة الاسلامية وهي:

اولاً: ان الوحدة التي يسعى لها الاسلام تقوم على اساس العقيدة والعاطفة معا والتي يتم التعبير عنها بوحدة القلوب.

ومجمل العقيدة الاسلامية في اصولها، وبرنامج الشد العاطفي الاسلامي يتكفلان بما لا مزيد عليه بتحقيق ذلك باروع صورة.

ثانياً: ان النظام الاسلامي يوقف المسلمين جميعاً دونما أي تمييز امامه على حد سواء، ويشعرهم بلزوم تحمل مسؤولياتهم المشتركة تجاهه دونما أي تقصير، والا وجه اللوم للجميع على حد سواء.

ثالثاً: حذف الاسلام كل مقاييس التفاضل وابقى على المقاييس المعنوية فقط وهي (التقوى والعلم والجهاد والعمل) لا غير ووفر بذلك اروع ارضية للوحدة.

رابعاً: هناك مساحات فعلية تشعر المسلمين بوحدتهم من قبيل ما تقرره الشريعة من ملكية عامة لافراد الامة.

خامساً: ويقف نظام العبادات في طليعة النظم التي تؤدي الى تعميق الوحدة الاسلامية، حيث يقف المسلمون في كل بقاع الارض في وقت واحد ـ عرفاً ـ متجهين الى مكان واحد ومرددين ذكرا واحداً ومؤدين لعمل واحد وملتزمين بشروط واحدة. وحين تدخل الامة الاسلامية كلها في عملية تربوية كبرى في كل سنة شهرا واحدا وذلك بملء ارادتها فهي تتدرب على استرجاع انسانيتها وتعميق جذورها في النفوس.

وهكذا نصل الى الحج كعملية تربوية رائعة يجتمع فيها ممثلو الانسانية المسلمة من كل حدب وصوب ليتدربوا فيها على امور كثيرة جدا وليحققوا منافع كبرى لهم في حياتهم المعنوية والمادية.

فتنغرس في نفوسهم معاني الامة الواحدة العابدة الطائفة حول التوحيد والرافضة للنظم الوضعية والاخلاق الصنمية، والملتزمة بحدود الله وحرماته والنازعة لكل العناصر المفرقة ماديا بين البشر والمتبرئة من المشركين، والمحاسبة نفسها وحكامها على ما اكتسبوا، وغير ذلك من الفوائد الجمة.

ولكي يضمن الاسلام للحج ان يؤدي دوره الوحدوي العظيم في حياة الامة فقد قرن به امورا وخصه بخصائص كلها تعمل بتناسق على تحقيق اهدافه.

فهناك الظروف المكانية حيث بيت التوحيد الذي خصه الله بخصائصه يوم خلق الارض والذي بناه ابو التوحيد ابراهيم والذي يحمل في كل جنباته بصمات الانبياء وفي طليعتها بصمات الرسالة الاسلامية وقادتها العظام.

وهناك الظروف الزمانية حيث الشهر الحرام وحيث الأيام العشر التي يهبها الله

للبشرية لكي تستكمل استعدادها لقبول الرسالة الالهية ويتبع هذه الظروف.

هناك العديد يوم العودة الانسانية الى ربها والعودة الالهية بالرحمة للعبيد.

وهناك المناسك الرائعة المعنى وكل منها يرمز الى عطاء كبير ومضمون سخي كالاحرام والطواف والوقوف والنحر والحلق والرمي وغيرها من المناسك الجمة التعبير.

وهناك الاذكار والادعية التي تتناغم مع تلك المناسك غاية التناغم وتحقق الهدف المنشود.

ولكي تتم الرسالة الاسلامية الجو المنشود للتأثير طرحت فكرة القدسية والامان لهذا المكان وهذه الفترة فاكملت بذلك العطاء. وهاتان الصفتان تملكان مضامين اجتماعية كبرى لخصناها في تحقيق آخر بما يلي:

اولاً: الاشعار بان البيت الحرام وهذه البقعة المقدسة التي تحيط به هي مدار حركة الارض وان على البشرية اذا ارادت لنفسها الامان من الاهواء والالهة الوهمية والضياع في متاهات الضلال، ان تطوف حول هذا البيت وتعمل بالشريعة التي تبشر بها وتتأصل في وجودها معاني التوحيد التي يرمز اليها فالامان الحقيقي هو امان هذا البيت، والامان الحقيقي هو الامان الذي ينبع من الاعتقاد بالله العظيم والالتجاء اليه تعالى وهو القادر المطلق، والامان المطلق للخائفين والرحيم الودود بعباده، وحينئذ فلا خوف من المستقبل ولا حزن على الماضي.

انه امان اللجوء الى نظام الله والتخلص من ضلال النظم الوضعية وانه امان اللجوء الى رضا الله كمقياس موحد للبشرية والتخلص من المقاييس المادية الممزقة.

وانه أمان التلاحم بين القلوب المخلصة التي تعمل لتحقيق خصائص الامة الاسلامية.

وانه امان الاجيال الانسانية المتتابعة على خط واحد تترسم سبيل الانبياء وتنفذ اوامر الله تعالى كالملائكة المطيفين بعرش الله.

وانه امان الحاملين لعلم الله ولواء الاسلام الحنيف.

كل هذه المعاني يبعثها في النفوس هذا الحكم الالهي المهم.

يقول امير المؤمنين علي (ع) (وفرض عليكم حج بيته الحرام: الذي جعله قبلة للانام، يردونه ورود الانعام، ويألهون اليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته، واختار من خلقه سماعاً اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف انبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للاسلام علما وللعائذين حرما. فرض حقه واوجب حجه وكتب عليكم وفادته)[1].

ونحن نلاحظ في هذا النص الشريف التأكيد على:

أ ـ الارتباط العاطفي للانام بهذا البيت الحرام، تواضعا لعظمة الله.

ب ـ الاختيار والتوفيق الالهي لمجموعة من كل منطقة ليمثلوا كل الارض في هذه الدورة التدريبية السماوية الرائعة.

ج ـ ان هؤلاء يشعرون بانهم بهذا: يجيبون دعوة الله، ويصدقون بكلمة الله ويمشون على خط انبيائه (خصوصا بعد تصور حج الانبياء جميعا لهذا البيت).

ويتشبهون بملائكة الله الطائفين حول العرش (من حيث تنفيذ اوامر الله وجذب الكون كله لطاعة الله) ويستغلون هذا الموسم لانماء التكامل العبودي في وجودهم والحصول على المغفرة الالهية المنشودة.

ثانياً: الاشعار بضرورة ان يكون للناس مركز يقول فيه كل مسلم كلمته بكل

---

(١) نهج البلاغة/ ص٤٥.

حرية، ويتبادل المؤمنون فيه الافكار دونما سلطة من جبار او حاكم مهما كان لونه ومنزلته فيتحول الحج من خلال ذلك الى مؤتمر عالمي يتجمع فيه ممثلو الامم ويتدارسون احوالهم وما يحيط بمجتمعاتهم من مخاطر ومشاكل وما ينبغي ان يطرحوه من حلول، ويتعرفون على الوسائل التي ينفذ فيها كل فرد مسلم واجبه تجاه الآخرين، ويلاحظون الدسائس والمخططات الاستكبارية المعادية لمسيرتهم التوحيدية الخالصة ويندون بها ويتعرفون على اساليب الوقوف الموحد بوجهها.

وربما استطعنا ان نستفيد هذه المعنى من التقارن الآتي في الآية الكريمة (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً) وهذه حقيقة اشار اليها الكثير ممن درسوا هذه الشعيرة الاسلامية المهمة حتى سمي الحج بالمؤتمر الحر السنوي العام للمسلمين هذا وقد كان الحرم كما رأينا موضعاً مقدساً يقول فيه الناس آراءهم بكل حرية حتى في الجاهلية ـ كما رأينا ـ الامر الذي كان يستفيد منه الرسول (ص) ليعلن دعوته المباركة بكل حرية تماما كما استفاد من انتساب البيت لابراهيم (ع) لاحياء نداء ابراهيم التوحيدي ونفي شبهات اليهود والنصارى.

ثالثاً: الاشعار بالتلاحم بين القدسية والامان في ظل الحكم الالهي الاصيل.. وانه اذا كان الحرم لله ـ ولذا صار محلا للامن والقدس ـ فان كل الوجود لله وان اشعاعات هذه الحقيقة لتمتد الى كل الوجود ولذا فلا مجال لاي طغيان او تخويف او ارعاب المؤمنين بالله، فاذا لم تتحقق هذه الحقيقة في كل الارض فان على المؤمنين ان يعملوا على توسعة هذه الدائرة المقدسة الآمنة لتصل الى مرحلتها الشاملة.

رابعاً: كما قد تكون هاتان الخصيصتان (القدسية والامان) سراً من اسرار انجذاب القلوب الى هذه البقعة الطاهرة والتنعم بعطائها الكبير وهو ما لاحظناه في النص السابق عن الامام علي (ع) حينما قال (ويألهون اليه ولوه الحمام) ان القلوب ترد

هذه الاماكن الطاهرة بكل عشق وولوه وتتطهر في أجوائها المضمخة بالطهر الالهي النقي وترجع الى حياتها الاجتماعية بعيدة عن اوضار المادة سليمة طاهرة تتلقى العطاء الالهي بكل صفاء وتنشر الرحمة الود والعطف في ارجاء المجتمع موفرة الجو العاطفي المطلوب في المجتمع الاسلامي.

هذا بالاضافة الى ان الجو العاطفي الملتهب حبا يدع القلوب اكثر استعداداً واقبالا على العبادة واستماع الوحي والتعلق بالمضامين التي ترمز اليها عملية الحج، وما هي في الواقع الا تربية عبادية سياسية على اقامة المجتمع المسلم لله.

خامساً: ثم ان هذا الامان المعطى للانسان والحيوان والاعشاب والارض في هذه البقعة المقدسة ليعبر عن تلاحم طبيعي رائع بين عناصر الكون لتحقيق هدف الانسان الكبير.

وقد جاءت روايات تؤكد التوافق الطبيعي بين الانسان والطبيعة في عملية الحج بل في كل المسيرة الحياتية.

وقد جاءت الرواية عن الرسول انه (ص) عندما رجع من غزوة تبوك واشرف على المدينة قال: (هذه طابة وهذا جبل احد يحبنا ونحبه)[1].

وقد روى المرحوم الكليني باسناده عن جابر عن ابي جعفر (ع) قال: (أحرم موسى من رملة مصر قال: ومر بصفائح الروحاء محرما يقود ناقة بخطام من ليف عليه عباءتان قطوانيتان، يلبي وتجيبه الجبال)[2].

وروى عن الامام الباقر (ع) قال: (قال امير المؤمنين (ع): ما من مهل يهل بالتلبية الا اهل من عن يمينه من شيء الى مقطع التراب ومن عن يساره الى مقطع التراب

(١) سفينة البحار ج١ ص١٢.
(٢) وسائل الشيعة ج٩ ص٣.

وقال له الملكان ابشر يا عبد الله وما يبشر الله عبدا الا بالجنة).

وان هذه المعاني لتترك أثرها في نظرة الانسان الى الكون والحياة وتذكره بان الكون معه ان سار في خط الانبياء وراح يحقق مقتضيات الخلافة الالهية في الارض ويبني المجتمع العابد المسلم.

الفصل الثاني

محـــاور الوحـدة

قلنا ان الاسلام رفض كل الأسس المطروحة مادياً للوحدة وأكد على أساس وحدة العقيدة والتآلف القلبي.

وعلى هذا الأساس وحّد منابع الوحدة ومحاورها في الأمور التالية:

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ السنة النبوية الشريفة.

٣ـ المرجعية التفسيرية لأهل البيت (ع) للقرآن والسنة.

فمن الطبيعي التعرض لها بشيء من الإيجاز.

المحور الأول: القرآن الكريم

وهو أهم اسس الوحدة الاسلامية وعليه يقوم بناء الاسلام والأمة والتشريع وقد تواترت المحاولات المعادية للتشكيك في هذا الأساس ومنها محاولات بعض المستشرقين إلا إنها باءت بالخسران.

وأهم تشكيكين يطرحان من قبل بعض المغفلين في عالمنا الاسلامي هنا هما:

١ـ وجود المتشابه فيه.

٢ـ التشكيك في الحجية.

ونحن نتعرض باختصار لهذين التشكيكين.

أولاً: وجود المتشابهات في القرآن الكريم

إن أهم أشكال يمكن أن يورد على وجود المتشابه يلخص في تعبيرين:

الأول: إن القرآن الكريم، هدى، ونور، وذكر، وفرقان وحكيم، وما شابه ذلك في حين إن التشابه لا ينسجم مع هذه الصفات لأنه يوقع الانسان في حيرة من معرفة الحقيقة وربما كان بعض ما فيه لا يمكن معرفته مطلقاً.

الثاني: ما ذكره الفخر الرازي من ان وجود المتشابه في القرآن كان سبباً لاختلاف المذاهب والآراء وتمسك كل واحد منها بشيء من القرآن بالشكل الذي ينسجم مع مذهبهم ونضيف على هذا فنقول:

إن بعض الآيات التي يشير اليها المستشكلون قد تجعل ـ بل جعلت ـ ذريعة للتمسك بعقائد تتناقض تمام التناقض مع العقيدة الإلهية بل تقضي عليها من الأساس وهذا يعني نقض الغرض الذي جاءت من أجله الرسالة.. وهذا من مثل عقيدة التجسيم الذي يساوق تقديم صورة هزيلة عن الله تعالى مما ينتهي الى انكاره في الواقع وكذا من مثل عقيدة الجبر التي تنفي المسؤولية الاخلاقية وتوجد مشاكل كبرى، وعقيدة نفي العصمة عن الأنبياء التي تنتهي الى التشكيك في أقوالهم وغير ذلك.

وعليه فإن هذا الاشكال ـ بهذين التعبيرين ـ لا يمكن ان يدفع بالوجوه المذكورة كحكم لوجود المتشابه والتي مهما تصاعدت قيمتها فإنها قد لا تعادل هذا الخسران الأمر الذي يجر الأمة الى الضياع والتمزق ويقضي على العقيدة ويفقد القرآن ـ

والعياذ بالله ـ صفته الهادية، أو أن يقال بتعادل الربح والخسران.

وهذا يدعونا لأن نتطلب وجود ما يعصم الأمة من التفرق والتمزق والعقيدة من الانقلاب على أهدافها فما هو هذا المرجع الذي يجب الرجوع اليه؟

ما يبدو من الآية والروايات الشريفة أمران هما:

أ. الآيات المحكمات:

ويفهم الارجاع اليها من جعلها أما للكتاب، والأمية لا ريب تعني المرجعية فهي التي تنفي ادخال صور باطلة في تصور الانسان عن الآية او ادخال مصاديق باطلة للمفهوم منها، ويحتاج هذا الى رسوخ علمي في نفسه.. وما أكثر الآيات المحكمات الواضحة بما لا يقبل الشك في المقصود وبالتالي لا يبقى أي شك في المراد من المتشابه.

ب. الراسخون في العلم:

وهم المرجع الثاني والأكثر عمومية لحل التشابه، فهم الذين يفسرون الدستور الإلهي، ويعطون تفصيلاته ولهم يرجع في الفصل بين الحق والباطل، فهم محور وحدة الأمة وملجأ العلم ومنتهى السبل، ولكن من هم هؤلاء الراسخون في العلم؟ إن الروايات المتواترة معنىً عن النبي (ص) لتركز بصورة عامة على أهل البيت للأمة في كل ما يبدو لها من غموض في كل شيء ومن جوانب الغموض هذا التشابه الذي يلاحظ في بعض الآيات القرآنية وأهم هذه الأحاديث حديث الثقلين الذي سلمت به الفرق الاسلامية والذي أكد اقتران العترة بالكتاب ولزوم التمسك بهما معاً وان الرجوع اليهما معاً عاصم من الضلال وانهما لن يفترقا الى يوم القيامة. وهكذا الاحاديث النبوية المختلفة في علم الامام (ع) مثل حديث أنا مدينة العلم

وعليّ بابها. وقد أكد أهل البيت على مرجعيتهم في كل الأمور فهذا نهج البلاغة يصفهم بأنهم: موضع سر النبي، ولجأ أمره، وانهم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، وهم أزمة الحق، واعلام الدين، وألسنة الصدق، وهم كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم، وهم شجرة النبوة ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم وعندهم ابواب الحكم وضياء الأمر، وان نطقوا صدقوا، وان صمتوا لم يسبقوا، وهم عيش العلم وموت الجهل وان بهم عاد الحق الى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه.(١)

ويقول الامام في نص رائع يعين المرجع في الشبهة (فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الأجرب، والباري من ذي السقم، واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل. هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق).(٢)

وهذا ما سنفصل الحديث في المحور الثالث.

منابع التشكيك في الحجية:

حجية الظواهر القرآنية من الأمور المسلمة رغم ما حدث من تشكيك. ويمكننا ان نحصر هذه المنابع في أمرين طرحهما بعض الجامدين او الموتورين وربما تبعهم آخرون وهما:

---

(١) راجع ص ٧٣٤، نهج البلاغة، صبحي الصالح.
(٢) نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

أولاً: ما نسب الى بعض الاخباريين من دعوى التوقف عن العمل بظاهر القرآن لأحد أمرين:

الأول: حصول علم اجمالي بطرو مخصصات من السنة. وهذا العلم الاجمالي منجز لمتعلقه ومانع من جريان الأصول في أطرافه لنفي التخصيص. وحتى لو جرت هذه الأصول لتعارضت وسقطت عن الحجية. وهكذا يسري الاجمال لكل الظواهر ويتم التوقف عن العمل.

إلا أن جوابه واضح تماماً ذلك ان هذا العلم الاجمالي ـ بعد الفحص والعثور على المخصصات ـ ينحل الى علم تفصيلي بالعمومات المخصصة والمطلقات المقيدة، وشبهات ابتدائية في غير هذه الموارد تجري فيها الأصول.

الثاني: ما ورد من الأحاديث الناهية عن تفسير القرآن بالرأي إلا أن من الواضح ان العمل بالظاهر ليس تفسيراً بالرأي، فالتفسير انما هو للأمور الغامضة لا الظاهرة.

ثانياً: ما ذكر من شبهة التحريف بالنقيصة في بعض آياته الأمر الذي لا يفسح المجال للعمل بالظواهر القرآنية لاحتمال فقدان القرائن.

ومنبع هذه الشبهة بعض الروايات التي ربما يستدل بها لهذا الفرض وهي واردة في مختلف كتب الحديث السنية والشيعية، والقابلة لكونها مشيرة الى التحريف المعنوي.

إلا أن المسلمين عموماً من كلا الفريقين لم يرتضوا مطلقاً هذا الاستدلال استناداً للأدلة القاطعة الحاكمة بعدم تحريف القرآن وفي طليعتها الآيات القرآنية الدالة على حفظ القرآن من أي باطل.

وقد ذكر المحقق الكركي وهو من أكابر علماء الإمامية: (إن ما دل من الروايات

على النقيصة لابد من تأويلها او طرحها فإن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة، والاجماع، ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه).

وعلق السيد الخوئي على هذا بقوله:[١]

(أشار المحقق الكركي بكلامه هذا الى ما أشرنا اليه سابقاً، من أن الروايات المتواترة قد دلت على أن الروايات إذا خالفت القرآن لابد من طرحها فمن تلك الروايات ما رواه الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بسنده الصحيح عن الصادق عليه السلام (الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة. إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه).[٢]

وهكذا تندفع هذه الشبهة بعد حصول الاجماع الاسلامي على سلامة القرآن من التحريف بالزيادة او النقصان ولا مجال لما يبدو أحياناً من التهاتر الرخيص والذي يمهد السبيل لاعداء الاسلام كي يشككوا بالاستدلال بكتاب الله العزيز.

---

(١) البيان في تفسير القرآن، ص ٢٣٤.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٨، كتاب القضاء، ص ٨٦.

المحور الثاني للوحدة: السنّة النبوية[١]

ربما أمكن القول بأنه لم تواجه أي رسالة أو عقيدة ما واجهة المبدأ الاسلامي من هجوم شرس على مختلف الاصعدة، وبشتى الاساليب الممكنة خلال تاريخه الطويل؛ السيف، والعذاب، والتهم، والاشاعات، والتشويه، والتشريد، واللغو والتحريف، والتشكيك في كل شيء.

وكل ذلك أمر توقعه الاسلام وأعدَّ له عدته، ومن ورائه مدد الله وعونه.

وكذلك يجب ان يتوقعه كل عامل لصالح الاسلام واعادته الى واقع الحياة اليوم ويعد له عدته، على اساس ان ذلك سنة تاريخية:

(وما ارسلنا في قرية من نذير الاقال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون)[٢].

ولعلَّ اخطر ما في الحملات، التشكيك بالمنابع الاساسية لهذا المبدأ السامي وإضعاف الثقة به. ومن ثم اذابة كل ما يتوقع من خير تضيفه هذه المنابع لاحكام الصورة الاسلامية الاصيلة، وتعميقها في النفوس، ومنحها اصالتها التي بها تقارع وتقاوم ثم تبني وتتقدم.

ولسنا هنا بصدد عرض تاريخي بقدر ما نحن بسبيل مواجهة فعلية مع المشككين اليوم.

---

(٢) القى في المؤتمر السادس عشر للفكر الاسلامي المنعقد في تلمسان ـ الجزائر بتاريخ ٦ ـ ٣ شوال ١٤٠٢هـ.

(٢) سبأ: ٣٤.

لقد واجه المنبع الرئيس الاول للتصورات والتشريعات الاسلامية (القرآن) سيل التشكيك في نسبه السماوي اولاً، وفي مضامينه ثانياً، وفي حجية هذه المضامين ودورها وغير ذلك ولكنه كان اقوى من أي هجوم، وتقهقر التشكيك وصدق وعد الله(انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون) ولم نعد نسمع التشكيك في كتاب الله الا حسيساً لا قيمة له.

ومن ثم استعرت الحملة ـ والى يومك هذا ـ ضد المنبع الرئيس الثاني (وهو السنة النبوية المباركة) لكي تنال منها، ومن قدرتها على اعطاء الصورة الاصيلة عبر الدس اولاً والتشكيك بعد ذلك في مجموع الاحاديث التي تتحدث عن السنة ووصفها بعدم الجدية لوجود الدس والتعارض وامثال ذلك.

والواقع ان المسألة خطيرة مصيرية يجب أن لا نمر بها مرور الكرام، بل نقف عندها وقفة واع فقيه بالابعاد الخطيرة لها.

وقد آثرت في هذه الفرصة التعرض للشبه المثارة بشيء من التفصيل راجياً ان يكون حديثي هذا منطلقاً للاستيعاب الأكثر لجوانب الموضوع.

اتباع السنة والعمل بالحديث من الضرورة

لا أغالي اذا ادعيت أن الضرورة العلمية بين المسلمين قائمة على لزوم اتباع سنة الرسول(ص) الى يوم القيامة، بل والعمل بها من خلال مضامين الاحاديث الواصلة الينا... ومن هنا فكل تشكيك بذلك إنما هو مجرد شبهة في قبال ضرورة... وقد انصب التشكيك في الواقع على الوعاء الموصل للسنة الشريفة وهو الخبر وخصوصا الخبر غير المفيد للعلم ويدعى اصطلاحا بخبر الواحد. ولكن التأمل في المستندات المطروحة المنبهة على هذه الضرورة ينفي كل تشكيك فالتأمل في الآية الكريمة: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة

فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)[١]. وملاحظة مفهومها من عدم لزوم التبين اذا كان المخبر غير فاسق يؤدي الى حجية قول هذا المخبر.

وكذا التأمل في قوله تعالى: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)[٢]. وغير ذلك من الآيات، ولو لم يكن قولهم حجة لم يكن مجال للحذر.

وكذا التأمل في التواتر المعنوي الذي تشع به الروايات الكثيرة واخيراً التركيز على السيرة الاسلامية القطعية على العمل بخبر الثقة وان لم يفد علما كل ذلك ينبهنا لهذه الضرورة والبديهة.

دوافع المشككين

يمكننا أن نلخص دوافع المشككين على اختلافها بما يلي:

١ـ فسح المجال للاقتباس الفكري: ذلك ان السنة اذا كانت محكمة في التشريع والمفاهيم الى جنب القرآن الكريم اعطتنا صورة كاملة مفصلة عن النظام الكامل الشامل للحياة وبالتالي لم يكن هناك أي مبرر للتوجه الى النظم الاخرى لاستجدائها وتطبيقها، اما اذا اقصيت فقد انفتح الباب على مصراعيه، للآراء والأهواء المستوردة من قبل عملاء الغرب والشرق وهذه هي الطامة الكبرى التي ابتلي بها من يسمون بالمثقفين اليوم.

٢ـ العجز والضحالة في الفهم: فقد يؤدي هذا العجز، وقلة الثقافة وعدم التعمق، الى تبني مثل هذا الرأي لئلا يبتلي بالعواقب، وربما كان للشبهات المثارة دورها في تعميق هذا الاتجاه.

---

(١) الحجرات/ ٦.

(٢) التوبة/ ١٢٢.

٣ـ توحيد الموقف: فقد اغرى حب توحيد الموقف الاسلامي البعض للرضوخ لهذا الرأي ظانا انه به يستطيع أن يوحد الموقف بارجاع الجميع الى القرآن الكريم وحده ولكنه لا يدري انه كالمستجير من الرمضاء بالنار، اذ سيمزق الوحدة بشك فضيع. ويمكننا ان نذكر هنا بعض العوامل الأخرى.

بعض الشبهات المطروحة واجوبتها

ونحن هنا نذكر بعض الشبهات المثارة لنعرف مدى ضحالتها.

اولاً: ذكروا ان هناك بعض الروايات التي تتحدث عن الاكتفاء بكتاب الله عن غيره او تنهى عن كتابة الحديث وامثال ذلك.

ولكن المرء يكاد يجزم بأن هذه الروايات ـ لو صحت أسانيدها ـ انما هي بصدد بيان فضل كتاب الله وعظمته، وان لا وحشة على من كان معه القرآن، فهو خير أنيس للمؤمنين لا ان تكون بصدد جعله المصدر الوحيد للتشريع، كيف والقرآن نفسه يدعو الى الاقتداء والتأسي والطاعة لرسول الله والأخذ بما يخبر به المخبرون عن الاسلام وسيرة الرسول(ص).

أما الروايات التي ادعي فيها أن بعض الصحابة نهوا عن كتابة الحديث فلا علاقة لها بنفي العمل بالروايات وانما كانت ـ فيما اعتقد ـ تعبِّر عن تحوط من قبلهم لئلا يقع الخلط بين الحديث والقرآن. وبغضِّ النظر عن صحة هذا التحوط وعدمها فانها لا دلالة فيها على مايطلبه المشككون هؤلاء، خصوصاً إذا لاحظنا إن الناهين عن كتابة الحديث أنفسهم كانوا من العاملين بالحديث الشريف والداعين للعمل بسنته (ص).

وثانياً: ذكروا ان في الروايات ماهو معارض لغيره من الروايات نفسها ولما لم يكن من الممكن ان تتناقض السنَّة فيجب التوقف في المجموع.

ومن الواضح سخف هذا الاستدلال ذلك ان الروايات المتعارضة لها مساحة قليلة فاذا اريد التوقف فليكن في هذه الدائرة لا غير.

ثم انه كثيرا ما يكون التعارض ابتدائياً ـ أي بالنظر الأولي ـ ولكن بمجرد التأمل ينحل ذلك التعارض بحصول جمع عرفي ظاهر بين المتعارضين، اما بتخصيص أو تقييد أو تقدم لا حدهما على الآخر باعتباره قرينة والقرينة مقدمة على ذي القرينة أو باعتباره يرفع الموضوع أو يتصرف في الحكم مثل تقدم حديث (لا ضرر ولا ضرار) على غيره من الاحكام الاولية.

نعم اذا استحكم التعارض توقفنا عن العمل بهما معاً.

ويجب أن نلاحظ هنا ان التعارض طبيعي الوقوع فقد يكون في الاصل ناشئاً من عملية تدرج في اعطاء الاحكام، أو من سقوط شيء وغيابه عن الراوي مما يغير المدلول، أو من وجود خبر مدسوس لا نعلم بدسه فنتصوره حجة علينا.

ثالثاً: راح البعض يتحدث عن روايات تتنافى مع القرآن الكريم، ولكنه لم يستطع أن يذكر الا بعض الروايات. على أن الكثير مما يذكر كمصداق لذلك يرجع الى تخصيص أو تقييد لمطلق قرآني وهو أمر واقع بشروطه المذكورة في محلها. نعم اذا رأينا الخبر منافيا تماما لمضمون القرآن ضربنا به عرض الجدار ولم يكن الا زخرفا.

رابعاً: راح البعض يذكر أن الاحاديث كانت موجهة للمخاطبين بها بالفعل فلا تشمل غير عصرهم من العصور.

وهذه الشبهة هي من أوهي الشبهات: ذلك أن من المسلَّم به الواضح في خلد جميع المسلمين والموحي به من تعليمات القرآن أنه (ص) كان يتحدث لا مع عصره فحسب بل مع كل العصور، وأن حلاله حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة، وأنه أسوة حسنة لكل المؤمنين عبر التاريخ... مما أوجد لدى المسلمين آنذاك

قاعدة الاشتراك، أي اشتراك غيرهم معهم في الاحكام، فمتى ماشك في اختصاصهم هم بحكم، أو حتى اختصاص الرسول بحكم دونهم جاءت قاعدة الاشتراك حاكمة في البين.

خامساً: وراح هؤلاء يسوقون الأمثلة على تغير المصطلحات عبر الفترات الزمانية فمصطلحات (الوطن) و(الاشتراكية) و(الرعيّة) وغير ذلك قد تغيرت رأسا على عقب، ومن هنا فما أدرانا أن ما نفهمه من الروايات هو المقصود الواقعي منها.

ونحن لا نشك في أن بعض ظواهر اللغة والكلام متطورة عبر مؤثرات مختلفة لغوية وفكرية واشراطات تاريخية معينة، فيختلف المعنى الظاهر في عصر الصدور عن مايظهر في عصر آخر. والمعوّل عليه هو الظهور في عصر الصدور لا غيره.

إلا أن هناك أصلا عقلائياً ممضىً حتما من قبل الشارع المقدس بالاقرار يسمى بـ(أصل عدم النقل) أو كما يسميه العالم الشهيد السيد محمد باقر الصدر بـ(أصالة الثبات في اللغة) يحل المشكلة موضحا ان العقلاء يبنون على هذا الاصل باعتبار البطء في حدوث أي تغيير في المفهوم من اللفظ مما يجعله في نظرهم امراً استثنائياً. فمتى ما شككنا في تغير ما بنينا على عدمه ولا مشكلة في البين مطلقاً.

سادساً: وذكّروا ان هناك الكثير من الروايات المفتراة فكيف نتأكد من الصدور والحال هذه؟

والجواب على هذا واضح بعد الذي قدمناه اذ اننا بعد التجاوز عما يؤدي الى العلم بالمضمون من الروايات، نقول ان الشارع عبّدنا بمضمون اخبار الآحاد التي يرويها الثقات واكمل كشفها الناقص عن الواقع التشريعي (باعتبار كونها ظنية) تعبدا لا وجداناً فاعتبرها كالعلم بالواقع فنحن معذورون اذا عملنا بها وخالفت الواقع وهي منجزة علينا فليس لنا المخالفة فما علينا اذن الا الفحص والتمحيص

الدقيق في السند والمتن والمداليل، ومتى ما انتهى البحث فنحن معذورون امامه تعالى إذا كانت مخالفة للواقع وهذا هو مقتضى الحجية.

سابعاً: وربما طرح البعض شبهة تقول ان تعليمات الرسول خصوصاً في المجال الاجتماعي كانت تقتضي كونه وليا للأمر لا مخبراً عن الشارع المقدس، أو على الأقل يقال بوقوع الخلط بين ما يصدر بصفة الولي وما يصدر بصفة المشرع.

ولكن الواقع هو أنه كانت تصدر منه(ص) تلك التعليمات باعتباره حاكماً ولها جانب مؤقت ولكن كل تلك التعليمات كانت تحمل معها قرائنها اللفظية والحالية وهي أمور متميزة عند العلماء ولو من قياس حالها الى الحالة السارية عموماً. وهل يشك احد بأن الأمر بحفر الخندق مثلاً كان امراً وقتياً متناسباً مع تلك الحرب بظروفها.

ثامناً: وقد طُرحت فكرة اجتهاد النبي في الأُمور التي لا تعبر عن تشريع خالد. والذي نعتقده انه (ص) كان لا يعدو بيان الواقع التشريعي الخالد من خلال وصوله اليه بالوحي أو بيان التعليم الاجتماعي اليومي بصفته ولي الأمر، وفي المجال الثاني هذا كان يتم التشاور والعزم لا في المجال الاول، والفرق بين المجالين واضح للمتأملين. أنه(ص) كان ملتزماً تمام الالتزام بعرض الواقع التشريعي قبل كل شيء وعدم ابداء رأي من عنده، بل لقد كان(ص) قد التحم بالوحي والحقيقة فلا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

تاسعاً: ولما لم يجدهم ما ذكروه راحوا يركزون على أن خبر الواحد لا يفيد الا ظنّاً وأن الظن لا يغني من الحق شيئاً غافلين عن أن الأدلة القطعية التي سبقت لحجية خبر الواحد استثنت هذا الظن وأمثاله من عموم النهي عن اتباع الظن وانزلته منزلة العلم باعتباره السبيل العقلائي ـ الطبيعي للوصول الى الشريعة، وأنه لا

يمكن تكليف الناس جميعاً بتحصيل العلم بكل موارد الاسلام واحكامه.

فالظن المنهي عنه هو الظن الذي لم يقم على اعتباره دليل قطعي.

عاشراً: واخيراً راح البعض يستعرض بعض الروايات التي ادعى انها تخالف العقل والعلم لأجل التقليل من أهمية المجموع الروائي العام. ونحن نسمع كثيراً عن مخالفة العقل هذه وعند التأمل نجدها تخالف ذوقاً عقلائياً مثلاً أو ميلا عاماً دون أن تصل الى مستوى المخالفة القطعية لبديهة عقلية مسلمة. نعم لو وصلت الى هذا الحد ـ وذلك بعيد جداً ـ فقدت الوثوق المطلوب. أما قصة مخالفة البحوث العلمية فيجب فيها أن نتذكر التغييرات الكبيرة التي تطرأ على هذه البحوث وعدم قطعيتها وأنها فرضيات متغيرة.

وخلاصة القول: أن كل ما طرح من شبهات حول الاحاديث والسنة لا يمكنه أن يصمد للنقد والاعتراض.

نقطتان مهمتان: وهنا نود أن ننبه الى نقطتين مهمتين في ختام هذا البحث هما:

النقطة الاولى: اننا اذ رفضنا هذا الاتجاه الخطر فان ذلك لا يعني مطلقاً أن نتجه الى قبول كل ما يرد عنه(ص) من دون تمحيص وتحقيق في المتون والاسانيد. بل حتى اننا لا نجيز أن يعتمد العلماء على استنتاجات غيرهم من العلماء في هذا السبيل الا أن تكون شهادة. كلا وانما تجب ملاحظة الاسانيد والرواة فرداً فرداً، والتحقق من توفر الوثوق المطلوب، وعدم التنافي الثابت مع القرآن الكريم والسنة المقطوع بها. واننا لنرى من المناسب ان ننقل نصا جاء عن علي(ع) تلميذ رسول الله(ص) في جواب من سأله عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال: أن في أيدي الناس حقا وباطلاً، وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً. وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، ولقد كُذِبَ على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

على عهده، حتى قام خطيباً فقال: (من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: (رجلٌ منافق مظهر للايمان متصنع للاسلام، لا يتأثم، ولا يتحرّج.. فهذا أحد الأربعة. ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كَذباً فهو في يديه ويرويه، ويعمل به ويقول انا سمعته من رسول الله(ص) فلو علم المسلمون أنه وَهِمَ فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله(ص) شيئاً يأمر به، ثم أنه نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض لِلكذِب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسول الله(ص) ولم يهم بل حَفِظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقُص، فهو حفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعَرَف الخاص والعام، والمحكم والمتشابه فوضع كل شيء موضعه...)[1].

بهذه الدقة يتعرض تلميذ رسول الله(ص) الى الرواة في عصره وهو ألصق مايكون بعصر الرسول فكيف بنا ونحن نعيش هذا الفاصل الزمني البعيد؟ أن الأمر يتطلب ـ لا محالة ـ جهداً وبذلاً للوسع في هذا المجال. وهذا ما يقودنا الى التأكيد على النقطة الثانية.

النقطة الثانية: وهي نقطة مهمة جداً يجب التركيز عليها وملخصها:

اننا اذ نرفض الشبهات الماضية ونرفض القبول المطلق لكل ما جاء، نمتنع ـ في نفس الوقت ـ عن تسليم السنة ـ حتى الموثوق بها ـ الى كل فرد مهما كان مستواه،

---

(١) نهج البلاغة صبحي الصالح، ص ٣٢٧.

وفسح المجال له ليفهم منها ما يشاء وينسبه الى الاسلام.فان هذا المنحى خطر جداً وان كان دعاته اليوم كثر في عالمنا الاسلامي متذرعين بـأن الاسـلام لكـل النـاس فلمـاذا تحصرونه بأيدي عدة قليلة، خالطين بذلك بين هذا وبين كيفية فهم الواقع الاسـلامي واستنباطه من النصوص. مثلهم في هذا مثل من يدعو لتسليم الذرة لكل من يطلبها ليستخدمها كيف يشاء بحجة أنها وجدت لصالح الجميع!

ان ملاحظة ما سبق، وادراك احتياج فهم الواقع الاسـلامي مـن الكتـاب والـسنة الشريفة الى دراسات تخصصية معمقة في المجالات اللغوية والفقهية (اصـولاً وفروعـاً فقهية) والتفسيرية والرجالية وغيرها لهو مما يمنع بتاتاً مـن نفـي التخـصص والخـبرة وعدم الركون اليهما.

واننا لننبه أمثال هؤلاء الى الآثار الخطيرة التي تنجم عن رأيهم هذا من:

شيوع الفهم القاصر للاسلام، وفقدان العمـق والاصـالة الـتي تميـزه عـن غـيره، وفسح المجال للأهواء أن تتلاعب بالمقدرات الاسلامية، وعـدم قـدرة الـصورة الناتجـة على الصمود امام الاشكالات والشبهات.

هذا بالاضافة الى أنه يجعل المذاهب بعدد الافراد فويل للامة من مثل هـذا اليـوم الرهيب... يوم يفتي فيه العسكري، ويدلي فيه هذا الموظف برأيـه في الاسـلام وذاك الملك وهذا الرئيس وهم لا يملكون مستوى فهمه واستنباطه.

إننا نسأل هؤلاء:

هل تستطيعون أيها السادة أن ترونا مبدأ فيه بعض مـا في الاسـلام ولا تخـصص فيه؟

إننا نؤكد لزوم الحاجة الى الاخصائيين الاسلاميين ونسميهم بـ (الفقهاء)، ولزوم ان يكونوا عدولاً لا يذعنون لهوىً نفسي، ولا يركعون امام ظالم أو طاغوت. ويتجلـى

هذا اللزوم في الميادين التالية:

أ) ميدان فهم الاحكام والنظم الاسلامية للحياة الانسانية، واستنباطها من منابعها الرئيسة.

ب) مجال القضاء وفصل الخصومات.

ج) مجال قيادة الامة. فلا يمكن تسليمها لجاهل بالاسلام غير اخصائي فيه. اذ الاسلام تجربة حياتية بشرية كبرى لا يمكن أن تقوم عليها الا القيادة الواعية لها المؤمنة بها المطبقة لاحكامها المتشبّعة بروحها.

وهذا بالضبط ما اصطلحنا عليه بمبدأ (ولاية الفقيه) والذي يعتبر تطبيقه في نظامنا الاسلامي الميزة الاسلامية الكبرى له والاساس الاول الذي اتحفتنا بالوصول اليه ثورتنا الاسلامية الكبرى بتوجيهات وقيادة القائد الفقية الكبير الامام الخميني.

ومن هنا تؤكد المادة الرابعة من دستورنا الاسلامي على ضرورة تسليم ولاية الأمر والأمة للفقيه العادل التقي، العارف بالعصر، الشجاع المدير المدبر الذي تميل اليه أكثرية الجماهير المسلمة وتذعن لقيادته.

والواقع

ان المتتبع لمسيرة الثورة الاسلامية، وما واجهتها من اخطار يدرك الدور الهائل الذي لعبه هذا المبدأ في تجميع الامة وتكتيلها حول القائد، وقدرة هذا القائد في مجال قيادة دفة السفينة الى مرفأ الاسلام رغم ضخامة المؤامرات الاستعمارية، وضمان عدم انحرافها الى الشرق أو الغرب.

المحور الثالث: المرجعية العلمية والتفسيرية لأهل البيت (ع)[1]

مدخل

ظلّ موضوع المرجعية العلمية للمسلمين محوراً للنقاش والبحث طيلة مئات من السنين، وكانت أهمية هذا الموضوع تزداد كلما ابتعد المسلمون زمنيا عن عصر صدر الإسلام، وتحديدا عصر النصّ القرآني والنبوي. وكان من شأن اتّفاق المسلمين على مساحة مشتركة في هذاالمجال أن يشكل أحد أهمّ محاور الوحدة الإسلامية.

وإذا كان القرآن الكريم وسيرة رسول الله(ص) وسنته المحورين الأساسيين اللذين يشكلان الإطار الذي يجمع المسلمين في داخله، فإنّ المرجعية العلمية التي تفسّر القرآن الكريم، وتكشف عن وجوهه، وتحسم حالة الاختلاف حول أحكامه في الجانبيين العقيدي والفقهي، وكذا الحال بالنسبة للسنة النبوية الشريفة، هذه المرجعية العلمية هي أهمّ قضية ظلّت حائلا دون اتّفاق المسلمين في البعد العلمي للاختلاف.

وفي هذا البحث نحاول استئناف الحوار العلمي حول هذه المرجعية العلمية، مع افتراض أنها تتمثّل في أهل بيت رسول الله(ص)؛ إذ أنّ طرح هذا الافتراض في مدخل البحث سيحصر موضوع البحث في دائرة واضحة في معالمها، ويحول دون

(١) بحث قدم الى المؤتمر الثالث عشر للوحدة الاسلامية بطهران والمنعقد بتاريخ ربيع الاول ١٤٢٢.

تشتت محاور البحث وتشظي خطته.

ولا شك أنّ هذا الافتراض مبني على أسس رصينة سنأتي عليها في فقرة المرجعية العلمية للمسلمين في القرآن والسنة: لأنّ القرآن والسنة هما المصدران المقدّسان اللذان يحتج بهما المسلمون على اختلاف فرقهم ومذاهبهم.

ومن هنا فمنهج البحث يقوم على محاولة إثبات محورية مرجعية أهل البيت(ع) العلمية، وقد سعينا لاستخدام الموسوعات الحديثية والفقهية والتاريخية لأهل السنّة أكثر من استخدامنا لكتب الشيعة، وذلك لسبب موضوعي، إذ أنّ الشيعة يعتقدون بما لا يقبل الشك بالمرجعية العلمية لأهل البيت(ع)، فهو القاعدة التي قام عليها مذهبهم. ومن هنا سيكون الحديث باتجاه مذاهب المسلمين الأخرى للبحث معها، وفي إطار حوار علمي معمق حول الاتفاق على شكل ومضمون المرجعية العلمية التي يجمع عليها المسلمون.

وهذا الاكتشاف المشترك سيؤدي آليا إلى تجاوز الخلاف التاريخي، والتركيز على المساحات المشتركة التي تجمع المسلمين في الحاضر والمستقبل، فضلا عن رفع الحيف عن جزء كبير من المعارف الإسلامية التي ظلّ القسم الأكبر من المسلمين يتجاوزها ولا ينتفع بها. برغم أنها بحر لجّي من العلوم والمعارف.

وستعتمد خطة البحث مجموعة محاور، يشكل كل محور منها محطة من الاستدلالات التي تخرج بنتيجة علمية تنقل البحث آليا إلى المحور اللاحق الذي سيحول النتيجة باتجاه التكامل، وفقا للمنهج الاستقرائي الذي سنتحدث عنه في الخاتمة.

المرجعية العلمية للمسلمين في القرآن والسنة

ونقصد بالمرجعية العلمية – كما أشرنا – النقطة المشتركة التي يتفق عليها

المسلمون، وتنتهي عندها مسائل الاختلاف بين المسلمين، ولا سيما في المجالين العقيدي والفقهي، وهي المرجعية التي تكشف عن حقائق القرآن الكريم والسنة النبوية، بالصورة التي تحسم خطوط التقاطع بين المسلمين.

وبما أن القرآن الكريم والسنة الشريفة هما المصدران المقدسان لدى المسلمين كافة، فسنترك القرآن والسنة ينطقان بنوعية هذه المرجعية وباسمها وصفاتها. ولسنا هنا بصدد الدخول في المباحث الأصولية بشأن حجية الأدلة، لأننا سوف لن نخرج عن المساحات المتفق عليها، ولا سيما في ما يرتبط بالحديث الشريف وحجيته ودلالة بعض النصوص.

ومن خلال استقراء ما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة من نصوص حول هذه المرجعية، وجدنا أن النصوص لا تشير إلى مرجعية أخرى غير مرجعية أهل البيت(ع) وإن كانت هناك بعض الأحاديث الضعيفة التي يختلف فيها المسلمون، ولذا تجاوزناها إلى ما يتفقون عليه. وبالنظر لضيق المساحة المحددة للبحث، فسوف نستعرض أدلة القرآن والسنة استعراضا سريعا بالصورة التي لا تطيل البحث ولكنها تفي بالغرض . ونبدأ أولا ببعض آيات القرآن الكريم المفسرة بالسنة الشريفة.

١- يقول تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [١]. جاء في تفسير ابن جرير الطبري بسنده عن جابر الجعفي: لما نزلت هذه الآية، قال عليّ: (نحن أهل الذكر) [٢].

ويقول الحارث: سألت عليا عن هذه الآية: (فاسألوا أهل الذكر). فقال: (والله إنا

---

(١) سورة النحل/ الآية ٤٣، وسورة الأنبياء/ الآية ٧ .

(٢) تفسير القرآن لابن جرير الطبري/ ج ١٧ ، ص ٥.

لنحن أهل الذكر، نحن أهل الذكر، نحن أهل العلم، ونحن معدن التأويل والتنزيل)[١].

٢- يقول تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) جاء عن الإمام علي(ع) في خطبة له: (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى)[٢].

٣- يقول تعالى: (ومن عنده علم الكتاب)[٣]. عن أبي سعيد الخدري قال: (سألت رسول الله(ص) عن هذه الآية، قال: (ذاك أخي علي بن أبي طالب)[٤].

٤- يقول تعالى: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)[٥].

وفي تفسير هذه الآية يقول الرسول(ص): (أنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب)[٦].

وآية التطهير هذه تؤكّد العناية الإلهية الخاصة بأهل البيت(ع) وإبعادهم عن الزلل والانحراف؛ ليشكّلوا نماذج إنسانية سامية يتم الرجوع إليها عند اختلاف المرجعيات الثانوية.

---

(١) سورة آل عمران/ الآية ٧ .
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤، والمناقب – لابن شهر آشوب – / ج ١ ص ٢٨٥.
(٣) سورة الأحزاب/ الآية ٣٣.
(٤) شواهد التنزيل ج ١، ص ٤٠٠، ح ٤٢٢، والأمالي – للصدوق – / ج ٣ ص ٤٥٣ وغيرهما .
(٥) سورة الأحزاب/ الآية ٣٣.
(٦) انظر: دلائل النبوة – للبيهقي – ج ١، ص ١٧٠، البداية والنهاية – لابن كثير – ج ٢، ص ٢٥٧، المعجم الكبير – للطبراني- ج ١٢، ص ٨١ ، ح ١٢٦٠٢ وغيرها .

٥- يقول تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)[١].

روى عبد الله بن عباس أن رسول الله(ص) عندما سئل عن هذه الآية: ومن هم القربى؟ قال: (علي وفاطمة وابناها)[٢].

وعن سعيد بن جبير أنّهم: (قربى آل محمد)[٣].

وهذه الآية تشد القلوب والعقول إلى آل البيت، وتؤكد أن محبتهم الحقيقية هي أجر الرسالة. وموالاتهم – في البعد العلمي كحد أدنى – هي المودة الحقيقية، وربما يستفاد من الآية الكريمة: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله)[٤] التلازم بين الاتباع والمودة.

٦- يكشف حديث الكساء عن المقصود بأهل البيت(ع).

يروي ابن عباس: (... أخذ رسول الله(ص) ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، دعا رسول الله(ص) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا. فجلل عليهم كساء خيبريا، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت أم سلمة لرسول الله(ص): ألستُ منهم؟ قال: أنت إلى خير)[٥].

---

(١) سورة الشورى / الآية ٢٣..

(٢) فضائل الصحابة – لأحمد بن حنبل – ج ٢، ص ٦٦٩، ح ١١٤١، والمعجم الكبير للطبراني ،ج٣، ص ٤٧، ح ٢٦٤١، الدر المنثور في التفسير بالمأثور – لعبد الرحمن السيوطي – ج ٧ ص ٣٤٨ وغيرها.

(٣) الصحيح – للبخاري – ج ٤ ، ص ١٨١٩ ، ح ٤٥٤١، والسنن – للترمذي – ج ٥، ص ٣٧٧، ح ٣٢٥١، والمسند – لابن حنبل – ج ١، ص ٦١٤، ح ٢٥٩٩، وغيرها.

(٤) سورة آل عمران/ الآية ٣١.

(٥) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج ٣، ص ١٥٨، ح ٤٧٠٥، ج ٢ ص ٤٥١، ح ٣٥٥٨، السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي، ج ٢، ص ٢١٤، ح ٢٨٦١، والمعجم الكبير، ج ٣، ص ٥٢، ح ٢٦٦٢، وغيرها .

وقد رواه عن أم سلمة: عطاء بن يسار، أبو سعيد الخدري، أبو هريرة. حكيم بن سعد، شهر بن حوشب، عبدالله بن المغيرة. عطاء بن أبي رباح. عمره ابن أفعى. وعلي زين العابدين(ع).

كما روى الحديث عن عائشة كل من : صفية بنت شيبة، العوام بن حوشب، عن التميمي وجميع بن عمير، وقد روته على النحو التالي: (خرج النبي(ص) غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[1].

وقد روى حديث الكساء جمع كثير من الصحابة أيضا، منهم: أبو سعيد الخدري، أبو برزة، أبو الحمراء، أبو ليلى الأنصاري، أنس بن مالك، براء بن عازب، ثوبان، جابر بن عبد الله الأنصاري، زيد بن أرقم. زينب بنت أبي سلمة ، سعد بن أبي وقاص، صبيح مولى أم سلمة، عبد الله بن جعفر، عمر بن أبي سلمة، عمر بن الخطاب وغيرهم.

وتنص رواياتهم على ان قصد النبي (ص) من أهل البيت هم: علي وفاطمة والحسن والحسين(ع) ومعظم أسانيد هذه الروايات منقولة من صحاح أهل السنة وموسوعاتهم الحديثية[2].

٧- ويكشف حديث الثقلين أيضا عن المقصود بأهل البيت(ع) وهم العترة، وعن مرجعيتهم الشاملة يقول رسول الله(ص): (اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن

---

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ١٥٨ ح ٤٧٠٥، ج ٢ ص ٤٥١، ح ٣٥٥٨، السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي، ج ٢، ص ٢١٤، ح ٢٨٦١، والمعجم الكبير، ج ٣، ص ٥٢، ح ٢٦٦٢ وغيرها.

(٢) انظر: محمدي الري شهري، أهل البيت في الكتاب والسنة، ص ٢٧ - ٥٠ .

تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[١].

وفي رواية أخرى أنه قال(ص): (إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرّقا حتّى يردا علي الحوض)[٢].

وحديث الثقلين جعل أهل البيت عدلا للقرآن. وقد رواه عن النبي(ص) أكثر من (٣٣) صحابياً، منهم: أبو أيوب الأنصاري، أبو ذر الغفاري، أبو سعيد الخدري، أبو شريح الخزاعي، أبو قدامة الأنصاري، أبو هريرة، أم سلمة، أنس بن مالك، خزيمة ذو الشهادتين، سعد بن أبي وقاص، زيد بن ثابت، سلمان الفارسي، عبد الرحمن بن عوف، عبدالله بن عباس، عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص[٣].

ومن خلال حديث الثقلين يستدل بعض علماء أهل السنة على أن المرجعية المقصودة في الحديث هي مرجعية الفقه، وحسب تعبيره: (لا يدل على إمامة السياسة وأنه أدلّ على إمامة الفقه والعلم)[٤]، ولا نريد هنا الدخول في نقاش حول دلالة

---

(١) انظر: صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧٣ح، ٢٤٠٨، سنن الدارمي، ج ٢ ص ٨٨٩ ، ح٣١٩٨، مسند ابن حنبل ج ٧، ص ٧٥، ح ١٩٢٥، والسنن الكبرى ج ١٠، ص ١٩٤، ح ٢٠٣٣٥، فرائد السمطين، ج ٢، ص ٢٣٤، ح ٥١٣، وسنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٦٣ح ٣٧٨٨ .

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١١٨ َ ٤٥٧٦، خصائص الإمام أمير المؤمنين للنسائي ، ص ١٥٠ وغيرهما .

(٣) انظر: صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧٤ ح ٣٦ و ٣٧، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٦٢ ح ٢٧٨٦ و ٢٧٨٨، سنن الدارمي، ج ٢، ص ٨٨٩ ح ٣١٨٩، مسند ابن حنبل، ج ٤، ص ٣٠، ح ١١١٠٤ وعشرات المصادر الأخرى.

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة، الإمام الصادق، ص ١٩٩.

الحديث، ولكن نكتفي بالحد الأدنى المتّفق عليه بين الفريقين وهو الدلالة على إمامة أهل البيت العلمية.

ويقول أحد الباحثين بأنّه جمع(١٨٥) مرجعا من عيون مراجع أهل السنة ذكرت بأكملها نص: (كتاب الله والعترة) وأن المقصود بالعترة أهل البيت الذين سماهم الرسول(ص) أكثر من مرة كما في دلالة هذا الحديث وحديث الكساء[١].

٨- عن انس بن مالك، قال الرسول(ص) لعلي (ع): (أنت تبين لأمّتي ما اختلفوا فيه بعدي)[٢]، والحديث واضح الدلالة على المرجعية العلمية لأهل البيت.

٩- عن سلمان الفارسي ، قال الرسول(ص): (أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب)[٣].

١٠- يقول الرسول(ص) مخاطبا السيدة فاطمة الزهراء: (أما ترضين أنّي زوجتك أول المسلمين إسلاما وأعلمهم علما)[٤].

١١- عن عبدالله بن عباس، قال رسول الله(ص): (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف)[٥].

١٢- عن أبي ذر الغفاري، قال رسول الله(ص): (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح في قومه، فمن ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق)[٦].

---

(١) أحمد حسين يعقوب، الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية، ص ٣٥١.

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٢؛ وقال الحاكم النيسابوري أنه حديث صحيح على شرط الشيخين. وانظر أيضاً: كنز العمال للمتقي الهندي، ج ٦، ص ١٥٦.

(٣) كنز العمال، ج ٦ ص ١٥٦، وكنوز الحقائق للمناوي، ص ١٨.

(٤) كنز العمال. ج ٦ ص ١٥٣.

(٥) المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٦٢ ح ٤٧١٥.

(٦) فرائد السمطين، ج ٢ ص ٢٤٦ ح ٥١٩، ينابيع المودة، ج ١ ص ٩٤ ح ٥. المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ج ٣، ص ١٦٣ ح ٤٧٢٠، المناقب لابن المغازلي، ص ١٣٣ – ١٣٤ وغيرها.

١٣- قول الإمام علي(ع): (إنا نحن أهل البيت أعلم بما قال الله ورسوله)[١].

١٤- يقول الإمام علي(ع): (... نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم)[٢].

١٥- عن جابر بن سمرة، قال رسول الله(ص): (لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة. كلهم من قريش)[٣].

١٦- وعن عبد الله بن مسعود أنّهم سألوا الرسول(ص) عن عدد خلفاء الأمة فقال: (اثنا عشر، كعدة نقباء بني إسرائيل)[٤].

وهناك عدد كبير من الأحاديث الصحيحة من مصادر الفريقين تشير إلى المعنى نفسه مع اختلاف في الألفاظ.

وبناء على ذلك فإن المسلمين بأجمعهم متفقون على أنّ عدد الأوصياء أو الخلفاء أو النقباء والأمراء والأئمة بعد الرسول(ص) هو اثنا عشر، وكلهم من قريش، وأنهم معينون بالنص كما هو مقتضى تشبيههم بنقباء بني إسرائيل ، وأنّ هذه الأحاديث أكّدت بقاء هؤلاء الأئمة ما بقي الدين الإسلامي أو حتى تقوم الساعة، كما هو مقتضى رواية مسلم في صحيحه.

وهذه الأحاديث كانت مأثورة في بعض الصحاح والمسانيد قبل أن يكتمل عدد الأئمة (من علي وحتى المهدي)، فمن المستحيل – اذن – أن تكون أحاديث موضوعة

---

(١) الطبقات الكبري لابن سعد، ج ٦ ص ٢٤٠ .

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

(٣) انظر: صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٥٣ ح ١٠، مسند ابن حنبل، ج ٧ ص ٤١٠ ح ٢٠٨٦٩ ومسند أبي يعلى، ج ٦ ص ٤٧٣ ح ٧٤٢٩ وغيرها.

(٤) انظر: مسند ابن حنبل، ج ٢ ص ص ٥٥ ح ٣٧٨١، المستدرك على الصحيحن، ج ٤ ص ٥٤٦ ح ٨٥٢٩، والمعجم الكبير، ج ١ ص ١٥٨ ح ١٠٣١٠ وغيرها.

بعد اكتمال العدد المذكور فضلا عن ان رواة الأحاديث من طرق أهل السنة هم من الموثوقين لديهم.

وعموما فإنّ حجية ما استعرضناه من آيات وأحاديث، يترتب عليه واقع عملي، وهو الواقع الذي ندعو المسلمين جميعا إلى صياغته وبلورته، دون أن يفقد أي مذهب إسلامي خصوصياته.

المكانة العلمية لأهل البيت(ع) في الواقع الإسلامي

ظل المسلمون على مختلف تياراتهم ومدارسهم الكلامية والفقهية ينظرون لأهل البيت(ع)، نظرة خاصة تميزهم عن غيرهم من الصحابة والتابعين والفقهاء. الأمر الذي تغص به كتب الحديث والفقه والتاريخ. ولولا السياسة المزيفة التي مارسها بعض الحكام، في العهدين الأموي والعباسي، لبقيت مكانة أهل البيت راسخة في عقول المسلمين وقلوبهم، إذ سعت هذه السياسة المنحرفة إلى تزييف الحقائق والتحايل على الواقع؛ من أجل صرف الأنظار عن أهل البيت ومرجعيتهم.

ولكي لا يطول بنا المقام نستعرض هنا جزءاً من الشهادات التي أدلى بها كبار الصحابة والتابعين الفقهاء بحق أهل البيت(ع). بالصورة التي تعكس تطابقا كاملاً بين الواقع الذي جسّده أهل البيت عملياً، والنصوص الواردة في القرآن والسنة، ونظرة المسلمين الموضوعية لأهل البيت(ع).

وإذا تجاوزنا عصر الرسول الأعظم(ص) إلى عصر الخلفاء. فسنرى أن البداية كانت مع الخليفة الأوّل أبي بكر، برغم الملابسات المعقدة التي شابت الواقع الإسلامي منذ وفاة رسول الله(ص)، فأبو بكر رجع إلى الإمام علي(ع) في موضوع

قتال أهل الردة، وفي كثير من الأحكام الشرعية[١].

أمّا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فكان أكثر الخلفاء تعبيراً عن هذه الحقيقة، إذ كان دائم الرجوع إليه في المسائل العقائدية والفقهية والاجتماعية والسياسية[٢]، حتّى أنّ مقولات عمر التاريخية في علي بن أبي طالب تظهر أن عمر كان من أكثر المسلمين إعجابا بالإمام علي، وانبهاراً بشخصيته وعلمه، وإيمانا بدوره ومكانته وموقعه، يقول عمر: (أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن)[٣] ، (لولا علي لهلك عمر)[٤] ، (أنت]يا علي[. خيرهم فتوى)[٥] ، (اللهم لا تنزل بي شدة إلا وأبو الحسن إلى جنبي)[٦]، (أپا حسن! لا أپقاني الله لشدة لست لها ولا في بلد لست فيه)[٧]، (يا ابن أبي طالب! فمازلت كاشف كل شبهة وموضع كل حكم)[٨]، (أعوذ بالله من معضلة ليس لها أپو الحسن)[٩] (لا أبقاني الله بعدك يا علي)[١٠]، وذلك لأنّ الإمام علي(ع) كان ينجد عمر في المشاكل العقائدية والفقهية التي تعترضه أو التي يحرجه فيها المسلمون وغير المسلمين.

---

(١) انظر: الرياض النضرة للمحب الطبري، ج ٢ ص ٢٢٤، و ج ٢ ، ص ١٩٥. وكنز العمال ج ٣ ص ٣٠١ ، وج ٣ ، ص ٩٩.

(٢) أورد ذلك معظم كتب الحديث والتاريخ، ولاسيما الصحاح والسنن والمسانيد، مما يطول تفصيله.

(٣) المستدرك على الصحيحين، ج ١، ص ٤٥٧.

(٤) السنن للبيهقي، ج ٧، ص ٤٤٢، وهذه المقولة رواها كثير من كتب الحديث والتاريخ..

(٥) الطبقات لابن سعد، ج ٢، ق ٢ ص ١٠٢.

(٦) كنز العمال، ج ٣، ص ٥٣.

(٧) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧٩.

(٨) المصدر السابق، ج ٣ ، ص ١٧٩.

(٩) نور الأبصار للشبلنجي، ص ١٧١.

(١٠) الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٩٧.

ومن الأحداث الجديرة بالذكر في هذا المجال، حادثة كتابة التاريخ، إذ أنّ علي بن أبي طالب هو الذي أشار على الخليفة عمر بن الخطاب أن يبدأ بكتابة التاريخ من اليوم الذي هاجر رسول الله(ص) إلى المدينة، ففعل ذلك عمر[١]. وكذلك رجع إليه في أن يقود الجيش الذي يفتح إيران والجيش الذي قاتل الروم، وسنأتي على ذلك في فقرة قادمة.

وكذا الحال مع عثمان بن عفان الذي رجع إليه في كثير من المسائل العقائدية والفقهية، بالصورة التي نصت عليها كتب الحديث والفقه والتاريخ[٢].

وكانت عائشة أيضا تحيل كثيرا ممن يسألها في الأحكام الشرعية إلى الإمام علي، ومن أقوالها المأثورة في هذا المجال: (عليك بابن أبي طالب لتسأله)[٣]. (ائت عليا فإنه أعلم بذلك مني)[٤].

وروى الحاكم بسنده عن قيس بن أبي حازم أن الصحابي سعد بن أبي وقاص نهر رجلا تعرض للإمام علي(ع) فقال عنه: (ألم يكن أوّل من أسلم؟! ألم يكن أوّل من صلى مع رسول الله(ص)؟! ألم يكن أعلم الناس؟!)[٥].

وإنّ التاريخ ليشهد أن لقب الإمام صار من أشهر الألقاب لعلي، وهناك العديد من الشهادات أيضا في الإمام الحسن والإمام الحسين، وعلي بن الحسين وباقي الأئمة أيضاً، ولعل من المناسب هنا ذكر أبيات من ميمية الفرزدق في مدح أهل البيت (ع)،

---

(١) أخرجه البخاري في تاريخه، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٤.

(٢) انظر: الموطأ لمالك بن أنس، ص ٣٦ وص ١٧٦. سنن البيهقي، ج ٧ ص ٤١٩، مسند الشافعي، ص ١٧١، مسند ابن حنبل، ج ١ ص ١٠٠، و ص ١٠٤، تفسير ابن جرير، ج ٢٥ ص ٦١ وغيرها.

(٣) انظر: سنن النسائي، ج ١ ص ٣٢، سنن أبن ماجه، ص ٤٢، وسمند ابن حنبل ج ١ ص ٩٦، ص ١٠٠، ص ١١٣، ص ١١٧، ص ٢١٠، ص ١٣٣، ص ١٤٦، وص١٤٩.

(٤) المصادر السابقة نفسها .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن قيس بن أبي حازم، ج ٣ ص٤٩٩ .

وتحديداً الإمام علي بن الحسين(زين العابدين):

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدءٍ ومختومٌ به الكلم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أوقيل من خيرأهل الأرض؟ قيل هم[١]

وكذلك رائية أبي نؤاس التي يمتدح فيها أهل البيت(ع)، إذ يقول:

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
فالله لما برى خلقا فأتقنه صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وماجاءت به السور(٢)

أما ميمية أبي فراس الحمداني فهي من أكثر القصائد تعبيراً عن مكانة أهل البيت، ونقتطف منها هنا ما يرتبط بالبعد العلمي:

الحق مهتضم والدين مخترم وفيء آل (رسول الله) مقتسم
خلوا الفخار لعلامين إن سئلوا يوم السؤال وعمالين إن عملوا
لا يغضبون لغير الله إن غضبوا ولا يُضيعون حق الله إن حكموا
تنشى التلاوة من أبياتهم أبداً وفي بيوتكم الأوتار والنغم[٣]
الركن والبيت والأستار منزلهم وزمزم والصفا والحجر والحرم[٤]

---

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان، ج ٦ ص ٩٦.
(٢) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، ج ٢ ص ١٤٣ ح ١٠، والمناقب لابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٣٦٦.
(٣) يقصد الشاعر هنا العباسيّين.
(٤) ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق د. محمد بن شريفة، ص ١٩٧ - ٢٠٦.

وهذا التعبير يكشف – في حقيقته – عن اتجاه الرأي العام الإسلامي في ما يرتبط بالمكانة التي يختص بها أهل بيت النبوة(ع). بل إنّ هذا الاتجاه لم يقتصر على الشعراء وعموم الناس، بل عم حتّى الفقهاء وأئمة المذاهب الإسلامية، فالشافعي أنشد يقول:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي[١]

وكان عدد كبير من أئمة المذاهب الإسلامية وكبار الفقهاء قد درسوا على أئمة أهل البيت(ع)، ولا سيما الإمام جعفر الصادق، إذ جمع الحافظ ابن عقدة أسماء أربعة آلاف رجل من الفقهاء والمحدثين، رووا ودرسوا على الإمام الصادق، وذكر ابن عقدة مصنفات كثير من هؤلاء[٢].

منهم: مالك بن أنس، أبو حنيفة النعمان[٣]، يحيى بن سعيد، ابن جريج، سفيان الثوري، شعبة بن الحجاج، عبد الله بن عمرو، روح بن القاسم، سفيان بن عيينة، إسماعيل بن جعفر، إبراهيم بن طحان، وغيرهم[٤].

ولعل مقولة أبي حنيفة الشهيرة: (لولا السنتان لهلك النعمان)[٥] – وهما

(١) انظر: الصواعق المحرقة لابن حجر، ص ١٠٨، ونور الأبصار، ص ١٠٥.
(٢) الرجال لابن عقدة الزيدي، نقلا عن أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، ج ١ ص ٦٦١.
(٣) ذكر ذلك معظم كتب الطبقات والأعلام والتاريخ، كمطالب السؤول لابن طلحة الشافعي، ص ٢١٨، والصواعق المحرقة، ص ٣٠.
(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم، نقلا عن المناقب لابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٢٤٧.
(٥) تحفة الآلوسي ، ص ٨ وغيره من المصادر التاريخية، وقصة التقريب للسيّد محمد تقي الحكيم ، ص ٩٠.

السنتان اللتان حضر فيهما دروس الإمام الصادق(ع) ، وتتلمذ عليه – تشير إلى عمق التأثير العلمي لأئمة أهل البيت(ع) في الواقع الإسلامي:

ومثلها مقولة مالك بن أنس: (ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق(ع) علما وعبادة وورعا)[١].

ويوضح الشيخ أبو زهرة هذا الواقع بقوله: كان أبو حنيفة يروي عن الإمام الصادق ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة، وكان مالك يختلف إليه دارسا راويا. ولا يزيده فضل الاستاذية على أبي حنيفة ومالك فضلا، فالصادق لا يمكن أن يؤخر عن نقص ولا يقدم عليه غيره عن فضل، وهو فوق هذا حفيد علي زين العابدين(ع) . الذي كان سيد أهل المدينة في عصره فضلا وشرفا ودينا وعلما، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري وكثير من التابعين، كما أن الصادق هو ابن محمد الباقر الذي بقر العلم ووصل إلى لبابه[٢].

أسلوب المناظرة يكشف عن علم أهل البيت(ع)

كانت حياة أهل البيت مليئة بالحوار العلمي، فهم رجال الحوار الذين تمثلوا آدابه وأساليبه الصحيحة بالشكل والمضمون اللذين أوضحهما القرآن الكريم، فكانت مجالسهم أو المجالس التي يحضرونها ساحة للمناظرات ومواقف للاحتجاج.

وتختلف هذه المناظرات في دوافعها باختلاف الأحداث التي أدت إليها، فهناك مناظرات كان بعض الحكام يهدفون إلى إحراج أهل البيت فيها. وأخرى كانت تجري في جو علمي صرف هدفه إظهار الحقيقة، وثالثة كانت بطلب من آخرين، حكاماً أم رواة وفقهاء، بعد أن عجزوا عن مجاراة الخصم. وقد جمع بعض المؤلفين هذه

(١) تهذيب التهذيب، ج ٢ ص ١٠٤.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة في كتاب الإمام الصادق، ص ٣.

المناظرات في كتب خاصة نقلوها من مصادرها الأصلية.

والمهم في هذه المناظرات، وبكلمة أدق ما يفيدنا في هذا البحث، هو أن أئمة أهل البيت(ع) لم يخصموا أو يحرجوا أو يترددوا في أي من هذه المناظرات، برغم أن بعضهم (كالإمام محمد الجواد) أقحم في مناظرة علمية رفيعة المستوى وهو دون التاسعة من عمره – كما سيأتي – فضلا عن المستوى العلمي الفريد الذي كانت تكشفه هذه المناظرات، مما يجعلها دليلا آخر من الواقع العملي على مرجعية أهل البيت التي لا ينافسهم عليها أحد.

وأوّل من دخل في هذه المناظرات الإمام علي(ع) ، وكانت غالبا مع أصحاب الديانات الأخرى، كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم. فضلا عن حواره مع الغلاة، بهدف استتابتهم، ومع الذين خرجوا على إجماع الأمة حول خلافته، بل كان يحث الأمة على أن يسألوه عن كل شيء في العقائد والأحكام والعلوم النظرية والطبيعية ولطالما ناداهم: (سلوني قبل أن تفقدوني)[1].

وعلى سيرة علي(ع) سار ولداه الحسن والحسين(ع)، فمن مناظرات الإمام الحسن الشهيرة مناظرته مع الرجل الشامي الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان، ومعه أسئلة عميقة في مضامينها كتبها له القساوسة الروم، ويريد أن يسأل بها الإمام علي(ع) ليحرجه، فأحاله الإمام علي على ولده الحسن(ع) الذي أجابه عن كل الأسئلة الدينية والعلمية والفلسفية التي كان يحملها الرجل الشامي[2]. وعلى غرار هذه المناظرة كانت مناظرة الحسن البصري مع الإمام الحسن(ع) حول القضاء والقدر[3].

---

(١) انظر: كتاباً يحمل العنوان نفسه للأستاذ محمد رضا الحكيمي .

(٢) الاحتجاج ، ص ٢٦٧ – ٢٦٩.

(٣) تحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحرّاني ، ص ٢٣١.

وللحؤول دون الإطالة في هذا المجال، سنقتصر على ذكر بعض النماذج من مناظرات الإمام جعفر الصادق، وهي كثيرة جدا ومطولة، بالنظر للفترة التاريخية الاستثنائية التي عاشها الإمام الصادق(ع).

ومن هذه النماذج: مناظرته مع أبي حنيفة النعمان التي أقحمه فيها المنصور، وأحرج فيها أبو حنيفة، إذ يرويها الأخير بنفسه، يقول : (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إلي، فقال: يا أبا حنيفة! إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد، فهيئ له من المسائل الشداد، فهيأت له أربعين مسألة. ثم بعث إليّ أبو جعفر (المنصور) وهو بالحيرة، فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد(الصادق) عن يمينه، فلما أبصرت به دخلتني الهيبة لجعفر بن محمد الصادق مالم يدخلني لأبي جعفر (المنصور)، فسلمت عليه وأوما إلي فجلست. ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله(الصادق) هذا أبو حنيفة. فقال : نعم.. ثم التفت إليّ المنصور فقال: يا أبا حنيفة! ألق على أبي عبدالله من مسائلك، فجعلت ألقي عليه؛ فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا، فربما تابعنا وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعا، حتى أتيت على الأربعين مسألة، ثم قال أبو حنيفة: ألسنا روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس) [١].

وهناك أيضا حوار شهير بين الإمام الصادق(ع) مع أحد زعماء الزنادقة، في شتّى العلوم الدينية والفلسفية وعلوم الديانات الأخرى، وأدت أجوبة الإمام الصادق(ع) بالزنديق إلى الإيمان ودخول الإسلام[٢].

وللإمام علي بن موسى الرضا(ع) حوار معروف ومطول، وثقه كثير من

---

(١) رواها الموفق في مناقب أبي حنيفة، ج ١ ص ١٧٣.

(٢) الاحتجاج، ص ٣٣١ - ٣٣٥.

المؤرخين، مع علماء ومتكلمي النصارى واليهود والصابئة والمجوس، إذ جمعهم الفضل بأمر من الخليفة المأمون. وطلب منهم أن يتناظروا أمامه، وكانت النتيجة أن أسلم كثير من هؤلاء العلماء والمتكلمين على يد الإمام الرضا(ع).

وقد استمر المأمون – بعد انتهاء المناظرة – في طرح أسئلته على الإمام الرضا(ع) في مختلف العلوم[١]، فكان المأمون يزداد بعد كل جواب دهشة وذهولا من مستوى علم الإمام، وهي دهشة كانت مشوبة بالخوف من هذا الرجل الذي قد يشكل إجماع الناس عليه خطراً على الدولة العباسية.

أما المناظرة الأكثر إثارة ودهشة، فهي مناظرة الإمام محمد بن علي الجواد(ع) مع يحيى بن أكثم (قاضي القضاة في عهد المأمون). وكان الإمام الجواد حينها دون التاسعة من عمره، وكانت هذه المناظرة عبارة عن رهان بين المأمون وبطانته حول علم الإمام الجواد، وهي في الواقع امتحان أردوا إحراج الإمام الجواد فيه مستغلين صغر سنه[٢]، وحين اكتمل المجلس بحضور المأمون وعدد كبير من قادة الدولة والعلماء والرواة وزعماء الأسرة العباسية، طرح يحيى ابن اكثم سؤالاً قصيراً على الإمام الجواد حول حكم: (محرم قتل صيدا). فأجابه الإمام الجواد(ع) بصيغة سؤال:

(هل قتله في حل أو حرم؟

عالماً كان المحرم أو جاهلا؟

قتله عمداً أو خطأ؟

حرّا كان المحرم أو عبداً؟

صغيرا كان أو كبيرا؟

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٢٥ – ٤٣٢.

(٢) انظر: الأصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم، ص ١٨٣.

مبتدئاً بالقتل أو معيدا؟

من ذوات الطير كان أم من غيرها؟

من صغار الصيد أم من كباره؟

مصراً على مافعل أو نادماً؟

في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار؟

محرما كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرما؟).

فتحير يحيى بن أكثم وعجز عن مجاراة الإمام.

حينها طلب المأمون من الإمام الجواد أن يفصل أحكام كل تشقيق من التشقيقات التي وضعها الإمام للسؤال. فأجاب عليها الإمام الجواد بالتفصيل واحدة تلو الأخرى. ممّا اسقط في يد يحيى وبطانة المأمون ما كانوا يضمرونه للإمام الجواد (ابن السنوات التسع فقط)[١].

ولعل هذه المناظرة وما أسفر عنها من نتائج تكفي وحدها للدلالة على أهمية أسلوب المناظرات وفاعليته في الكشف عن مرجعية أهل البيت، دون أن يؤثر في ذلك سن أو زمان أو مكان؟ فلا يمكن أن يكون النجاح الدائم والمطلق في المناظرات – التي كان كثير منها يأخذ طابع الامتحان – مجرد صدفة. فالصدفة هنا مستحيلة – كما يقول أحد الفقهاء[٢]: لأنها ممكنة في حدود امتحان مالشخص ما وفي مجال ما، ولكن أن يكون الامتحان في مختلف المجالات، ويتكرر باستمرار، سواء بالنسبة لكل واحد من الأئمة أو بالنسبة لجميع الأئمة، صغارهم وكبارهم، فهو مالا يمكن أن يكون صدفة أبداً، خصوصاً إذا لاحظنا أنهم كانوا مصحرين بآرائهم ومرجعيتهم.

---

(١) انظر: الصواعق المحرقة، ص ٢٠٤. الاحتجاج، ص ٤٤٤ وغيرهما.

(٢) السيد محمد تقي الحكيم في الأصول العامة للفقه المقارن، ص ١٨٤.

الإنتاج العلمي لأهل البيت(ع)

ترك أهل البيت(ع) للأمة إنتاجا علميا ضخما، استثمرته في ماضيها، وستبقى تنتفع به في حاضرها ومستقبلها؛ فهذا الإنتاج لم يكن لزمانه وحسب، بل هو خالد على مر العصور. وتمثل إنتاج أهل البيت في أحاديثهم وخطبهم وكتاباتهم ودروسهم، وما تضمنته من مناهج وقواعد وتعليمات وعلوم، فضلا عن الجامعات العلمية التي أسسوها، والطاقات العلمية التي ربوها ورعوها وغذوها بالعلم والمعرفة.

فعلى مستوى التأليف والتصنيف، كان الإمام علي(ع) نقطة الانطلاق في تاريخ الإسلام، وكانت أولى أعماله جمع القرآن الكريم مرتبا حسب النزول، وبين أسباب نزول آياته، عامها وخاصها، مطلقها ومقيدها، محكمها ومتشابهها، ناسخها ومنسوخها، عزائمها ورخصها، وسننها وآدابها. حتى أن ابن سيرين قال: لو أصبت ذلك الكتاب لكان فيه العلم[١].

وروى أبو نعيم عن الإمام علي(ع) قوله في هذا المجال: (لما قبض رسول الله(ص) أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع مابين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري حتى جمعت القرآن) [٢].

والمصنف الآخر للإمام علي هو (الصحيفة)، وهو كتاب في الديات، أي الأموال المفروضة على الجنايات التي ترتكب خطأ أو شبيها بالعمد أي في ما لا يكون القصاص فيه[٣]. وكتاب (الجامعة) هو مصنف آخر للإمام علي(ع)، وهي أمالي

---

(١) انظر: المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين، المراجعة ١١٠.

(٢) حلية الأولياء، ج ١، ص٦٧.

(٣) انظر: تكملة المنهاج للسيد أبي القاسم الخوئي، ج ٢، كتاب الديات.

للرسول كتبها الإمام، وتضمنت ما يحتاجه الناس من أحكام شرعية وتفصيل لما جاء في القرآن الكريم.

أمّا الكتب التي جمعت إنتاجه فهي كثيرة، وأهمها (نهج البلاغة) الذي يشتمل على منتخب من خطب للإمام علي(ع) وكتبه ورسائله وحكمه ومواعظه، وقد جمعها الشريف الرضي.

والكتاب الآخر هو (غرر الحكم ودرر الكلم)، ويتضمن كلماته القصار وحكمه، وقد جمعه عبد الواحد الآمدي.

وإلى جانب مصنفات الإمام علي، فإنّ بعض الموالين لمدرسته، كسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري ورافع مولى رسول الله(ص) والأصبغ بن نباته، مارسوا التأليف والتصنيف أيضا بتوجيه من الإمام نفسه[١]. ويمكن مراجعة كتب الرجال للوقوف على تراجم الرجال الذين تتلمذوا على الإمام علي وولديه الإمام الحسن والإمام الحسين، بيد أن مدة إمامة علي بن الحسين زين العابدين، والتي بلغت حوالي ٣٥ عاما، سمحت له بأن يبني جيلا متخصصا من الرواة والفقهاء والمتكلمين، وفيهم عدد من كبار التابعين[٢].

وقد ترك الإمام زين العابدين رسالة رائعة هي (رسالة الحقوق) والتي تتضمن بيانا لأنواع الحقوق وما يترتب عليها.

والفرصة التاريخية نفسها فسحت المجال للإمام الصادق بأن يبني جامعة إسلامية في تاريخ الإسلام، كان تلامذتها كبار محدثي وفقهاء وعلماء الأمة. ومن مختلف البلدان، كالعراق والحجاز وفارس وبلاد الشام، وقد تمكن تلامذة الإمامين محمد الباقر وجعفر

---

(١) انظر: المراجعات ، ص ٤١٢ – ٤١٣، والمناقب لابن شهرآشوب.

(٢) انظر: المناقب لابن شهرآشوب، ج ٤ ص ١٦١، ورجال الكشّي.

الصادق من تصنيف وتأليف كم كبير من الرسائل والبحوث والكتب، ومنهم أبان بن تغلب إذ روى ٣٠٠٠٠ حديث عن الإمام الصادق، وأبو حمزة الثمالي وبريد بن معاوية وأبو بصير وزرارة بن أعين ومحمد بن مسلم وهشام بن الحكم (اشتهر من كتبه ٢٩ كتابا).

وقد بادر بعض تلاميذ الإمام الصادق إلى تدوين روايات وأقوال الإمام الصادق(ع) وجمعوها في ٤٠٠ مصنف، عرفت بالأصول الأربعمائة.

ثم برع تلامذة الأئمة الآخرين: موسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، في التصنيف والتأليف. عبر نقل روايات هؤلاء الأئمة وآرائهم وتحويل توجيهاتهم إلى مصنفات مدونة في مختلف المجالات والاختصاصات، ولا سيما علوم الدين.

ومن هؤلاء أحمد بن خالد البرقي الذي ألف نحو ١٠٠ كتاب، والحسين بن سعيد الذي ألف ٣٠ كتابا، والفضل بن شاذان صاحب أكثر من ٢٠٠ مؤلف. ومحمد العياشي الذي كتب أيضا ما يقرب من ٢٠٠ كتاب وبحث[١].

ولم يقتصر تعليم أهل البيت تلامذتهم على علوم الدين، بل تعدتها إلى العلوم الأخرى أيضا، كما هو الحال مع علم النحو الذي علمه الإمام علي أبا الأسود الدؤلي، أو علم الكيمياء الذي برز فيه جابر بن حيّان الكوفي تلميذ الإمام الصادق(ع) وغيرهما[٢].

وقد أوضح أئمة أهل البيت(ع) كل ماكانت الأمة تحتاجه من أصول عقيدية

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٢٢.

(٢) انظر: رجال الكشّي، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للسيد حسن الصدر، مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام للسيد عبد الحسين شرف الدين، رجال النجاشي، طبقات مؤلفي الشيعة للشيخ آغا بزرك الطهراني وغيرها.

وفقهية وأخلاقية، وكانت آراؤهم تمثل فصل الخطاب لكل اختلاف علمي ديني يحدث بين العلماء المسلمين ومذاهبهم الكلامية والفقهية، ولاسيما في قضايا التوحيد وصفات الخالق تعالى ووصف ذاته مع صفاته، وقضايا العدل الإلهي وما يرتبط بذلك من أفعال الإنسان، ومسائل القضاء والقدر، والوسطية بين الجبر والتفويض، والبداء والتقية، وكذا القواعد الأصولية والفقهية التي أقام عليها فقهاء مذهب أهل البيت مدرستهم. وقد كتب في هذه المجالات الآلاف من الكتب[١].

علم أهل البيت (ع) في خدمة مصالح الأمة

برغم المحن القاسية التي مرت على أهل البيت في مختلف المراحل والعهود، إلا أنهم ظلوا يضحون من أجل رعاية مصالح الأمة ووحدتها وتغليب هذه المصالح على أي شيء آخر، من منطلق الرسالة التي كلفوا بحملها. كما ظلت علومهم هي المنار الذي يهدي الأمة إلى الطريق القويم.

وكانت القضية الأول هي قضية الخلافة، إذ صمت الإمام علي(ع) حيالها، برغم تصريحه بأحقيته فيها، وذلك حرصا على مصلحة الأمة التي كانت تعيش مرحلة تثبيت الأقدام والفتوحات وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، ولم يسمح لمن أراد أن يلوح بورقة الخلافة لتفريق الأمة، بتمرير مخططه، وهو ما حدث مع أبي سفيان، الذي دعاه عقيب السقيفة بأن يتصدى للخلافة، فنهره الإمام علي وفضح أمره، بل إن الإمام علي لم يبخل بأية مشورة للخلفاء الراشدين. ويكفي أن نراجع الخطبة الشقشقية وكتابه إلى أهل مصر الذي بعثه مع مالك الأشتر، لنقف على مجمل هذه الحقائق.

---

(١) انظر: المصادر السابقة نفسها.

ففي كتابه إلى أهل مصر قال الإمام علي(ع) (... إن الله سبحانه بعث محمدا نذيرا للعالمين ومهيمنا على المسلمين، فلما مضى تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزيح هذا الأمر من بعده عن أهل بيته ولا أنهم نحوه عني من بعده، فما راعني إلا والناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد، فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث، حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين) [1].

وهذه الكلمات واضحة الدلالة تماما على تغليب الإمام علي(ع) مصلحة الإسلام، برغم تصريحه بأحقيته في خلافة رسول الله، ولم يقف الإمام على الحياد تجاه قضايا الإسلام، بل ظل في خضم الأحداث فاعلا وعاملا، ومن ذلك موقفه من حروب الردة ومانعي الزكاة، ثم موقفه من التجاوزات التي قام بها بعض قادة الجيش الإسلامي خلالها. ففي كليهما تصرف بالطريقة التي يمليها عليه موقفه الشرعي.

وفي السياق نفسه تأتي مواقفه في مرحلة خلافة عمر، فحين استشاره الخليفة في أن يخرج بنفسه لغزو الروم، فإن الإمام علي(ع) أشار على عمر بعدم الخروج بنفسه؛ لأنه خليفة المسلمين ومحور وحدتهم[2]. وفعل الشيء نفسه حين استشاره عمر بأن يخرج بنفسه لقيادة جيش المسلمين المتوجه لفتح إيران، لأنّه – كما يقول الإمام علي – لابد أن يكون القطب الذي تدور الرحا حوله، فخروجه يعني تشتت أمر

(١) نهج البلاغة، الرسالة رقم ٦٢.
(٢) المصدر السابق، الخطبة ١٣٤.

المسلمين[١].

وفي السياق نفسه جاء صلح الإمام الحسن(ع) مع معاوية في إطار الظروف الاستثنائية التي مر بها الإمام وعانت منها الأمة، ثم ثورة الإمام الحسين(ع): إذ ضحى الحسين(ع) بنفسه وبصحبه وأهل بيته من أجل مصلحة الأمة والحيلولة دون استشراء الانحراف في جسدها.

ويلفت الإمام السجاد(ع) الأنظار بدعائه للجيش الإسلامي برغم خضوع هذا الجيش لقيادة الأمويين الذين أذاقوا أهل البيت الأمرين، وهو دعاؤه المعروف بدعاء (أهل الثغور) الذي يقول فيه:

(اللهم صل على محمد وآله وحصن ثغور المسلمين بعزتك، وأيد حماتها بقوتك.. وكثر عددهم واشحذ أسلحتهم.. وألف جمعهم، ودبر أمرهم، وواتر بين مسيرهم، وتوحد بكفاية مؤنهم، وأعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر... اللهم أعزّ بكل ناحية من المسلمين على من أزاءهم من المشركين وأمددهم بملائكة من عندك مردفين) [٢].

كذا الحال مع الإمام الباقر(ع) الذي كان يضع علمه وخبرته تحت تصرف الدولة الإسلامية، ومن ذلك حله مشكلة السكة (ضرب النقود)، حين قننها الروم على المسلمين فأشار الإمام الباقر(ع) على عبد الملك بن مروان بأن يضرب السكة باسمه.

ثم مواقف الإمام الصادق(ع) من قضايا الخلاف الكبرى بين الفرق الإسلامية في العهد العباسي، فكان يوجه أصحابه وشيعته بشأن سلوكهم مع أتباع المذاهب الأخرى، فيقول: (صلوا في جماعتهم، وعودوا مرضاهم، واحضروا جنائزهم وموتاهم؛ حتى يقولوا: رحم الله جعفر بن محد، فلقد أدب أصحابه، كونوا زينا لنا ولا تكونوا

---

(١) المصدر السابق، الخطبة ١٤٦.

(٢) الامام زين العابدين (السجاد) الصحيفة السجادية، ص ٨٧ – ٩١.

شيناً علينا)[1].

والأمر نفسه كان يحدث مع الأئمة الآخرين، وبالإمكان مراجعة مواقفهم كما جاءت في المصادر التاريخية وفي كتب التراجم الموثقة.

وعموما فإن هذه المواقف كانت تعبر عن نظرتهم المتفردة لقضايا الأمة وتشخيصهم الدقيق لمصلحتها العليا.

النتائج

نخلص مما سبق إلى نتائج نضعها بين أيدي الباحثين والمختصين . للتداول والحوار. بهدف إثرائها وبلورتها:

١- إن القرآن الكريم والسنة الشريفة أكدا مرجعية أهل البيت العلمية العامة لكل المسلمين.

٢- إن السنة الشريفة الصحيحة كشفت عن المقصود بأهل البيت بصفاتهم وعددهم.

٣- وإنّهم لم يحتاجوا إلى أحد في حياتهم العلمية، سوى المعصوم الذي سبقهم.

٤- إن أعلام الأمة ورجالات المسلمين. بدءا بالخلفاء الراشدين وأئمة المذاهب الإسلامية وحتى الآن، شهدوا بأعلمية أهل البيت، وبحاجة المسلمين إلى مرجعيتهم العلمية.

٥- إن أهل البيت وظفوا علمهم لخدمة الأمة ومصالحها، برغم قساوة الظروف التي واجهتهم.

٦- وبناء على ما سبق فإن أهل البيت(ع) مرجعية علمية عامة للمسلمين. دون

---

(١) الفصول المهمة في توحيد الأمة، للسيد عبد الحسين شرف الدين.

أن يؤثر في ذلك زمان أو مكان، وهو الحد الأدني الذي يتفق عليه المسلمون بشأن محورية أهل البيت في الوحدة الإسلامية. فإذا كانت الإمامة السياسية لأهل البيت موضع جدل بين المسلمين، فإنّ المرجعية العلمية هي – وفقا لما سبق – نقطة التقاء بين المسلمين[١].

واتفاق المسلمين على هذه الحقيقة أمر في غاية الأهمية: لأن من شأنه تقرير مصير الأمة في قضية طالما حاول الحكام وحاولت السياسة التعتيم عليها طيلة مئات من السنين.

ومن المناسب هنا الإشارة إلى منهج الدليل الاستقرائي الذي استخدمه الشهيد الإمام السيد محمد باقر الصدر لإثبات الخالق تعالى: لأنّه منهج يعتمد عليه في إثبات جميع الحقائق العلمية، وهو يقوم على حساب الاحتمالات[٢].

فنستخدمه هنا في إثبات كون أهل البيت الفئة التي منحت الأهلية للمرجعية لهذه الأمة.

ويمكن تلخيص هذا المنهج في الخطوات الخمس التالية:

أولاً: التعرف على ظواهر القضية التي نريد إثباتها، من خلال التجربة والحسّ.

ثانيا: بعد ملاحظة تلك الظواهر وتجميعها، ننتقل إلى مرحلة تفسيرها،وإيجاد فرضية علمية صالحة من خلال تفسير هذه الظواهر وتبريرها، والمقصود بكونها صالحة هو أنها إذا كانت ثابتة في الواقع فهي تستبطن أو تتناسب مع وجود جميع تلك الظواهر الموجودة بالفعل.

---

(١) لا يعني هذا ذوبان المذاهب الاسلامية في مذهب واحد، بل يعني تحديد مساحة مرجعية عامة يلتقي عندها كل اتباع المذاهب الإسلامية، مع احتفاظ كل مذهب وفريق بخصوصياته.

(٢) انظر : السيد محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء (ق ٣) . ص ١٣٥ فما بعدها.

ثالثاً: إن لم تكن هذه الفرضية صحيحة وثابتة في الواقع. فإن فرصة تواجد تلك الظواهر مجتمعة كلها ضئيلة جدا، أي أن نسبة احتمال وجودها جميعا إلى احتمال عدمها أو عدم واحدة منها على الأقل – ضئيلة جداً.

رابعاً: نخلص إلى أن تلك الفرضية صادقة، ودليل صدقها هو وجود تلك الظواهر المجتمعة معا، والتي أحسسناها في الخطوة الأولى.

خامسا: إن درجة إثبات تلك الظواهر للفرضية المطروحة في الخطوة الثانية تتناسب عكسيا مع نسبة احتمال وجود تلك الظواهر جميعا إلى احتمال عدمها على افتراض كذب الفرضية، فكلما كانت هذه النسبة أقل كانت درجة الإثبات أكبر، حتى تبلغ في حالات اعتيادية كثيرة درجة اليقين الكامل بصحة الفرضية.

ونحن في هذا البحث استخدمنا هذا المنهج استخداما غير مباشر حيث قلنا: إن كل هذه الظواهر التاريخية الثابتة إنما تنسجم مع الأهلية الحقيقية لهم عليهم السلام لهذه المرجعية وإلا احتجنا إلى الكثير من الصدف التي لا يعقل اجتماعها، متمنين على أهل العلم والاختصاص الانتفاع من هذا المنهج وفقا للخطوات التي حددها الشهيد الصدر، في مثل هذه الموضوعات المصيرية بالنسبة للأمة التي تنتمي إلى الرسالة الخاتمة التي تبشر البشرية جمعاء بالعدل والسعادة وخير الدنيا والآخرة.

النتيجة

ونخلص من هذا البحث إلى أن الأمة الإسلامية لكي توسع من مساحة مصادرها الأصيلة ومقدرتها على مواجهة التساؤلات الحياتية المتنوعة، وتنسجم أكثر مع توجهات القرآن الكريم والسنة الشريفة يجب أن ترجع إلى هذا التراث الضخم وتستمد منه ما يركز موقعها الحضاري المطلوب.

ملاحظة اخيرة

ان البحث عن المرجعية العلمية والتفسيرية لهم (عليهم السلام) لا يعني اننا ننكر العطاء العلمي والسلوكي للصحابة الكرام والتابعين والعلماء المسلمين الذين زكوا انفسهم وقدموا بدورهم اسهاما حضاريا وعلميا كبيرا على مدى العصور فهم رضي الله عنهم شكلوا رافدا كبيرا باستمرار للمسيرة الحضارية وانما قصدنا من بحثنا هذا ان نبين عظمة اهل البيت ومحوريتهم العلمية والتي صدق بها الجميع ليكونوا المحور الثالث الذي يجمع هذه الامة و يصنع وحدتها المنشودة وهو ما يوكده حديث الثقلين الآنف الذكر.

الفصل الثالث

الثورة الاسلامية والوحدة

صراع الثورة الاسلامية وأعدائها

حول قضية الوحدة الإسلامية

لعل محور (الوحدة الاسلامية) يشكل أحد أهم المحاور التي دار عليها الصراع المحتدم بين الثورة الاسلامية في ايران وأعدائها الذين يشكّلون الكفر العالمي بكل أوجهه الشرقية والغربية وعملائه الدوليين والمحليين.

وان دلّ على شيء فانما يدل على ادراك طرفي الصراع بكل وضوح لأهمية هذا المحور. فالثورة الاسلامية تدرك تماماً ان إسلامها يركز على هذه الخصيصة ويعتبرها منحة إلهية لا تقدر بثمن، ولا تقدر ثروات الارض على تحقيقها بشكل قهري وانما هي من ألطاف الله جل وعلا: (لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم).

وتدرك أيضاً ان الوحدة هي السلاح المواجه لاتحاد الكفر على الباطل فاذا لم يتحقق هذا الأمر في وجود الامة انجرت بشكل طبيعي الى الفتنة والفساد الكبير: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).

وهي تؤمن أشد الايمان، من جهة أخرى، بأن امتنا الاسلامية لن تسترجع

خصائصها الحضارية ما لم تتمتع بهذه الصفة بكل عمق، وانها مالم تحقق تلك الخصائص تبقى على تخلفها المقيت وبعدها عن تحقيق الاهداف العليا.

وهذه الامور يدركها العدو الكافر للثورة، ولكن من زاوية مصالحه الجشعة. فهو يلحظ ان الثورة الاسلامية إذا نجحت في تأصيل هذه الحقيقة الكبرى، فإن آماله ستذهب ادراج الرياح، بل سيواجه قدرة عظمى لا قبل له بها، قدرة تملك عشرات الموانئ الاستراتيجية، ومئات الملايين من العقول الفاعلة، والأيدي العاملة النشطة، والشطر الاكبر من الثروات الأرضية. وفوق كل ذلك أمة تمتلك أطروحة حياتية واسعة الأبعاد، قوية التخطيط، شاملة لكل جوانب الحياة، مؤهلة تماماً لكونها البديل الأروع لحضارته المهزوزة والملأى بالرعب، والتحلل، والقلق، والجشع، والحيوانية المقيتة، وكلها أمور تجافي الطبع قبل ان تجافي العقل السليم.

ويشتد قلقه تماماً عندما يتصور الامة الاسلامية حاملة تلك الرسالة وقد تأصلت فيها المفاهيم الرسالية، فراحت تنظر للحياة نظرة مرحلية، وللشهادة نظرة تقديس، وللجنة نظرة أمل، وللتأريخ مسرحاً حضارياً لخط الأنبياء، وأي انحراف عن هذا الخط يعني الانحراف عن خط الفطرة الصاعد.

إن هذا كله ليرعب الكفر ويدعوه للتأمل مرات ومرات في أساسه ومقوّمه، وهو: الوحدة الاسلامية.

ومن هنا قلنا إنه يدرك خطورة هذا الأساس، فيلجأ لطرح كل وسائله الشيطانية لتقويضه بشتى الأساليب. وهنا بالضبط، يحتدم الصراع بين الثورة باعتبارها رائدة الوحدة الاسلامية، وأعدائها باعتبارهم المتضرر الاكبر بذلك.

إن العدو الكافر لاحظ الاصرار الثوري المجاهد على دعم خط الوحدة الاسلامية في كل خطوات الثورة وبشتى الأساليب الممكنة فراح يعمل على احباط كل الخطط.

ونستطيع ان ندرك سعة الخطوات الثورية على طريق الوحدة إذا لاحظنا الامور التالية:

أولاً: طرحت الجمهورية الاسلامية شعار: الوحدة الاسلامية بكل قوة، وأعلنت انه شعار استراتيجي نابع من صميم العقيدة، وهي أساس البناء الاجتماعي لديها. وتطبيقاً لذلك أعلنت عن اسبوع الوحدة لتؤكد ذلك من خلال الاجتماعات واللقاءات، والبرامج المتنوعة لايجاد الجو المناسب الذي تتلاقى فيه الأفئدة، ويتعرف فيه الاخوة على الحقيقة الوحدوية التي تضمهم جميعاً.

ثانياً: عملت على الصعيد العملي على تنفيذ هذا الشعار في قوانينها وسلوكها العملي، فنظرت للمواطنين بعين واحدة، وأعلنت ان لكل مذهب اسلامي الحرية الكاملة في تطبيق آرائه على أتباعه، ولهؤلاء الاتباع الحق في التحاكم الى محاكم تعتمد تلك المذاهب. ومنحت الجميع فرص التعاون والتكافل لبناء الدولة الاسلامية وأعلنت حرية الثقافة الاسلامية غير المخلة بالوحدة وبالخلق العفيف.

ثالثاً: جاءت فكرة قيادة الفقيه العادل كأحدى أروع الأفكار الوحدوية، ذلك ان القيادة والامامة هي عماد الحياة الاجتماعية، وهي السلك الذي ينتظم كل شعب تلك الحياة. ولما كان المجتمع الاسلامي مجتمعاً ايديولوجياً فان من الطبيعي ان تسلم قيادته للفقيه المتضلع في الشؤون الاسلامية، والعادل العامل بتعاليمه كملكة متأصلة في النفس.

ومسألة اشتراط الفقه في القائد مسألة يقود اليها الطبع الفطري السليم، وتؤكدها فتاوى علماء المسلمين من جميع الفرق على اختلاف في المستوى الفقهي، وفي نوع الاشتراط، ولكنها على أي حال مسلمة اجمالاً لدى الجميع، وبها تصان القيادة من الانحراف.

فهذا الأمل الكبير بالمستقبل الاسلامي المشرق الذي يحكم فيه القرآن، وهذا الاصرار الدائب على اعلان الشخصية المسلمة والاعتزاز بها، وهذه الدعوات المتتالية هنا وهناك لتطبيق الشريعة الاسلامية على كل مرافق الحياة، وهذه المظاهر الأخلاقية الاسلامية المعروفة كالتزام الحجاب، ورفض التحلل، ونبذ المحرمات، وتطبيق الشعائر الاسلامية، تعود الى عالمنا الاسلامي هنا وهناك وتشكل في بعض الأماكن معالم التحرير الاسلامي الرافض لنمط الحياة الغربية المنحرفة.

وهذه العودة القوية التي دعت لها الثورة الاسلامية لدور العلماء في قيادة المجتمع وتسلّم دور الوريث للانبياء ـ كما جاء في الحديث المعروف ـ هذه العودة كان لها أثرها الكبير في تكوين حس اسلامي عام مشترك بوحدة هذه الامة وتلاحمها.

خامساً: وكان نجاح الثورة الاسلامية في تحطيم أحد النظم الطاغوتية المتجبرة، وتحديها لكل القوى الكبرى المتجمعة ضدها، ووقوفها الى جانب قضايا المستضعفين والمحرومين، ودعوتها للعودة للأصالة الاسلامية، الدور الكبير في دحر كل الطروحات المادية الممزقة لشخصية هذه الامة، كالطروحات الغربية، وتهافت تلك الشعارات البراقة التي كانت ترفعها هذه الطروحات، مما لا يعود على الامة إلاّ بالوبال.

إن تمزق هذه الطروحات وخذلانها عزّز مسيرة الوحدة الاسلامية وأكد ان الخلاص الحقيقي من وضعنا المأساوي لا يتم إلاّ بالاسلام وحده، وهي من أروع الأفكار الوحدوية.

سادساً: طرحت الثورة الاسلامية شعار الحل الاسلامي الوحيد، رافضة الحلول الشرقية والغربية للمشكلات الاجتماعية، وعملت بكل قوة على تأصيل سياسة تخرج شعبها من دوامة التبعية الذيلية للمعسكرين العملاقين، الامر الذي جعل المفكرين العالميين من جهة، وكل المخلصين الاسلاميين من جهة اخرى، يؤمنون

بامكان هذا السبيل بشكل واقعي، لا بشكل مخادع كاذب كما حصل في قضية دول عدم الانحياز التي يعيث فيها الانحياز فساداً.

ان تقديم هذا النموذج الحي الواقعي ساهم أكبر المساهمة في ايجاد أجواء الوحدة الاسلامية على طريق الله تعالى وهو الصراط المستقيم وسنن الحق دون جواد المضلة.

سابعاً: أصرت الثورة الاسلامية على لزوم اعادة الدور الحقيقي للشعائر الاسلامية، كصلاة الجمعة، والحج، باعتبارها من أكبر المجالات المحققة للاحساس المجموعي بوحدة هذه الأمة في توجهاتها الحضارية، وسلوكاتها العملية، وحتى في ما تتكلم به وتتزين به في سلوكها الفردي.

إن الحج مثلاً يعلن وحدة خط الانبياء عبر التاريخ حول مسألتي (العبودية لله، واجتناب الطاغوت) وذلك بشتى الاساليب التي تتناسق فيما بينها لتؤكد هذا المضمون الوحدوي العظيم.

ومن الامور التي ركزت عليها الثورة مسألة احياء الذكريات الاسلامية، كذكرى ولادة الرسول (ص)، والمعراج، والبعثة، باعتبارها معالم تاريخية شاهدة على ارتباط الامة بشخصية الرسول الموحدة لهذه الامة.

ثامناً: إن أهم الخطوات التي خطتها الثورة لتعميق الخط الوحدوي الاسلامي تركيزها المضاعف على لزوم تجميع الامة حول القضايا المصيرية لها، ودفعها لاختيار الحل الاسلامي، باعتباره السبيل الوحيد للخلاص، وذلك من قبيل تأكيدها الشديد على الحل الاسلامي للقضية الفلسطينية واخفاق كل الحلول الاخرى، والتركيز على أن إسرائيل يجب ان تزول، وأن لا طريق لذلك إلاّ طريق السلاح الذي يحمله المسلمون ضد أعدائهم، منطلقين من مبدأ الجهاد، والتضحية، والشهادة في سبيل الأهداف العليا.

وهكذا نجد المواقف المشابهة للثورة الاسلامية من قضية لبنان وافغانستان وغيرهما من القضايا الكبرى.

تاسعاً: ويمكننا ان نعد الكثير من المواقف الرسالية الحاسمة التي وقفتها الثورة، فكانت بذلك داعية لتجميع المسلمين حولها ومكونة لموقف اسلامي عام.

إلاّ ان موقف الامام الخميني (رحمة الله عليه)، من قضية الهجوم الثقافي الكافر على مقدسات الامة الاسلامية والتجديف بحق الرسول العظيم، وأصحابه المنتجبين، وزوجاته الطاهرات، والكتاب الكريم، والتي تمثلت في الكتاب الساقط للمرتد المجرم سلمان رشدي، هذا الموقف استطاع ان يوقظ الامة ضد مؤامرات أعدائها، ويوحد موقفها بشكل يقل مثيله في تاريخها الطويل، الامر الذي دفع الدول الاسلامية، برغم ارتباط الكثير من مصالحها بالغرب الكافر، لان تصدر إعلانها المشهور ضد الغرب وهجومه الكافر اللئيم.

كل هذه الخطوات أقضّت مضاجع الاستكبار العالمي، الأمر الذي دفعه للتخطيط اللئيم لدحر هذه الخطط الوحدوية.

الوحدة الاسلامية كما توحي بها ذكرى ولادة الرسول (ص)

تعيش الامة الاسلامية الوحدة بكل وجودها ومشاعرها تنطلق بدماء جديدة تسري في أوصالها ونداءات مخلصة لاسترجاع خصائصها، ومنح إلهية ترفعها لاتخاذ موقعها الحقيقي تحت الشمس.

وتأتي الآية الشريفة تدوي في وجودها وتملأ آفاقها بنداء الوحدة العظيم (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون).[١]

ويبدأ الواعون يبحثون عن (حبل الله) وما المراد منه؟ فلا يجدون في ذلك أية صعوبة، خصوصاً بعد ان أكدت الآية السابقة لهذه الآية هذا المعنى حيث قالت: (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم أيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم).[٢]

فالاعتصام بالله واحد ولكن التعبير في الآية السابقة أكثر تفصيلاً، انه إذن يفسر (حبل الله) ـ والقرآن بعضه يفسر بعضاً ـ فقد ذكر في الآية ١٠١: (كتاب الله وسنة رسوله) كمصداقين لحبل الله، وحينئذ يكون المراد منه هو كل ما يوصل العباد الى الله إيصالاً مضموناً معصوماً من الزلل والخطأ.

ومن هنا نجد الفخر الرازي في تفسيره يعتبر المراد من الحبل هنا (كل شيء يمكن التوصل به الى الحق في طريق الدين).

وهذا الكلام صحيح في الجملة، ذلك أنه يعني كل سبيل هو حجة بين العباد والله لمعرفة حقائق الدين، في حين ان الظاهر من (حبل الله) هو الطريق المعصوم القطعي الذي لا شك في ايصاله الى الله، وهو يشمل الطريق الذي ثبتت حجيته كما هو معلوم لدى أهل الصناعة الأصولية.

وهنا نجد ان سيد قطب يفسر حبل الله بـ (عهده ونهجه ودينه).

والمرحوم العلامة الطباطبائي يؤكد (إن حبل الله هو الكتاب المنزل من عند الله وهو الذي يصل ما بين العبد والرب ويربط السماء بالأرض).

هذا، وقد ورد هذا التعبير في حديث الثقلين الذي كاد أن يصل حد التواتر حيث

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) آل عمران: ١٠١.

جاء فيه: (كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي).

حيث نجد مصداقاً ثالثاً يضاف هنا هو العترة الطاهرة وهو جدير بذلك، بعد أن ثبتت لهم الطهارة بنص القرآن الكريم: (... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً).[1]

وقد جاءت روايات عنهم: تؤكد أنهم مصاديق لحبل الله من قبيل: آل محمد هم حبل الله.

بعد هذا لا نجد صعوبة كما قلنا في اعطاء التعريف السابق لحبل الله وهو: (الطريق المعصوم الى الله) كما لا نجد أية شبهة في حصر هذا الطريق في عناصر مقدسة ثلاثة هي: (الكتاب، وسنّة الرسول (ص)، وسيرة أهل البيت (ع)باعتبارهم يكشفون عن حقائق الكتاب وسيرة الرسول (ص) كشفاً قطعياً).

وما أروع هذا المعنى إذا جعلته الأمة محوراً لوحدتها ومسيرتها الصاعدة الى العلاء، خصوصاً وإن الأمة بكل قطاعاتها ومذاهبها تؤمن بهذه المحاور في العموم.

إنها مقاييس الوحدة الاسلامية نعرف منها طريقنا الموحد فلا نضيع في متاهات الضلال، ونعرف منها الحد الوسط فلا نفرط ولا نفرّط فنقع تارة في الأفراط المنبوذ فنعمل مثلاً على التمسك بالقشور، ظانين أنها هي المقصود دونما أي نظر الى المضامين، كما لا نفرّط في هذا الحد الوسط بحجة التساهل واليسر، فنتقبل كل نظام مستورد وكل فكرة ميسرة!! وكل ضغط من ضغوط الواقع المصطنع، فنصبح تارة علمانيين، وأخرى اشتراكيين وثالثة رأسماليين و... لا شيء إلا بحجة الوسطية الزائفة، والتساهل واليسر المنحرفين في التفسير.

ومن الأفكار التي تنطرح في الأذهان والنفوس بمناسبة مولد قائد البشرية محمد

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(ص) كونه (ص) أسوة حسنة لكل فرد يريد أن يطوي طريق التكامل، وكون مجتمعه الذي بناه أسوة حسنة لكل مجتمع يسعى لتحقيق خصائص خير أمة اخرجت للناس.

ويذكر في هذا الصدد أن القرآن الكريم يعرض علينا الكثير من الشبهات والاعتراضات التي يطرحها المنافقون والجهلة والمعاندون ليسدوا طريق الايمان بالأنبياء (عليهم السلام) ومن تلك الشبهات نعتهم بأنهم بشر يتمتعون بكل خصائص البشر من أكل وشرب ونمو فكيف يمكن أن يشكّلوا جسوراً رابطة لعالم الغيب بعالم الشهادة؟!

فهم يقولون متعجبين: (أبعث الله بشراً رسولاً) إلا إن القرآن نفسه يصر على بشرية الانبياء ويعبر عنها بتعبيرات مختلفة.

فمنها التعبير الصريح كما في قوله تعالى:

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً).[١]

ومنها التأكيد على لزوم كون الرسول منسجماً مع مخاطبيه: (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً).[٢]

ومن تلك الأساليب القرآنية ما يذكره القرآن من حالات انسانية للأنبياء من قبيل قوله تعالى:

(وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي...).[٣]

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) الاسراء: ٩٦.

(٣) البقرة: ٢٦٠.

كما إن من تلك الأساليب التعبيرية هذا التأكيد على كون الأنبياء من الناس ومن قلب المجتمعات يبعثون:

(وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم أعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون).[١]

(هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين).[٢]

وهذا التأكيد القرآني في محله تماماً ذلك أنه يحقق أهدافاً كبيرة ربما كان في طليعتها هدفان:

الأول: هو أن الرسول يراد له أن يكون قدوة حسنة وأسوة صالحة للبشرية تجعله مثالاً تنمي نفسها حتى تقرب منه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ...).[٣]

وتجعله (ص) شاهداً على مسيرتها الخيرة. (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً).[٤]

والشهود هنا قد يراد به الشهود الحضاري بقرينة قوله تعالى:

(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً...).[٥]

والثاني: هو الحد من أي افراط وغلو في شخصية الرسول يحوله من جسر الى الله الى عقبة ذهنية (أي في ذهن الغلاة) في الطريق الى الله ... وهذا ما حدث بالضبط بالنسبة لغلو بعض المسيحيين في المسيح، وبعض اليهود في أنبيائهم، وحتى بعض

---

(١) الأعراف: ٦٥.

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(٤) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

(٥) البقرة: ١٤٣.

المسلمين في شخصيات كبرى كأهل البيت(ع) وكلها انحرافات يرفضها العقل السليم والمنطق الديني الاسلامي الأصيل.

وربما كان من أسرار انطلاق غالب الرسالات من الصحراء، ذلك الصفاء الذهني والبساطة الروحية التي تتقبل العقيدة بكل نقاء دونما اضافة ذاتية وعكس أي تعقيد نفسي عليها وتجريدها من خصائصها الأولى.

وعليه:

فيجب تلمس الجوانب الانسانية السامية في شخصية الرسول (ص) وجعلها قدوة وأسوة لنا في كل مجالات حياتنا، وهكذا تتلاحم كل القطاعات وتتمسك بحبل الله.

ولا مجال لمن يطرح شبهة في البين ملخصها ان شخصية الرسول شخصية معصومة وانه من غير الممكن أن يصل أحد الى ذلك المستوى من الكمال، فإن هذه الشبهة واضحة البطلان، ذلك أن كون الرسول معصوماً أمر طبيعي وصحيح، ولكن ذلك لا يمنع من أن يعمل الآخرون على الاقتداء به والتقرب أكثر فأكثر من مقامه الرفيع.

يبقى بعد هذا أن نشير الى حقيقة واقعة تتمثل في هذا التمزق الذي تعاني منه امتنا الاسلامية بالرغم من أنها تملك هذا الكنز الوحدوي العظيم (القرآن والسنة) وبالرغم من أن دينها الرائع قد صمم تصميماً دقيقاً ليحقق الأمة الواحدة المتلاحمة ... إننا نعتقد أن هذا التمزق حصيلة لعوامل كثيرة، أهمها التخطيط الاستكباري الكافر من جهة، ونقاط الضعف الكبرى في واقعنا والتي يستفيد منها الاستكبار، وهي: (الأهواء الشخصية لبعض المسلطين سياسياً، والمصالح الضيقة لبعض المنتسبين الى العلم من وعاظ السلاطين، بالاضافة لعوامل الجهل والتعصب).

إن الاستكبار العالمي إنما يمتد في فراغنا الذي نعيش فيه، وإنما ينفذ من نقاط الضعف التي تهددنا من الداخل.

إن امتنا الاسلامية اليوم تعاني وضعاً لا تحسد عليه في هذا المجال، فهناك تتحد قوى الكفر العالمي غربيها وشرقيها (برغم اختلافها) على ضرب الاسلام ونهضة المسلمين، وكبت نداء وحدتهم، وهنا يتهافت الحكام المسلمون على موائد التخطيط الغربي والشرقي معلنين الولاء ومنفذين بكل دقة أحقر المؤامرات على وجود أمتنا الاسلامية، ضاربين بعرض الحائط إرادة هذه الأمة في (تطبيق الاسلام) وفي (محاربة الصهيونية) و(نبذ النظم الوضعية) و(البراءة من المشركين) فتجدهم يعقدون هنا وهناك الصفقات المخزية، بائعين فيها شرفهم لأميركا واسرائيل دونما حياء او خجل، بل وتجدهم ينفذون المخططات لافراغ العبادات الاسلامية، كالحج، من محتواها، ثم إذا حاول الخط الواعي العودة الى الاسلام وواقعه راحت كل الجهود السياسية والمالية والاعلامية تتحد ضده وتضربه وتفتك به دونما خشية.

ولكن:

ترى هل تستطيع هذه العوامل المخربة التي لخصناها في الاستكبار وعملائه السياسيين والدينيين المزيفين، أن تمزق وحدة هذه الأمة او تصادر مكتسباتها الاسلامية؟ وهل علينا أن نعيش في اليأس والقنوط؟

إننا نعتقد ان الرسالة، ومقومات الأمة، ومناعتها، هي أكبر بكثير من كل هذه العوامل دونما تقليل من خطرها السلبي الممزق...

إن جماهيرنا الاسلامية أوعى بكثير مما يتصور هؤلاء بل ربما راحت هذه الجماهير تستدل من قرارات هذه المؤتمرات الهزيلة على سلامة الخط الثوري الاسلامي الأصيل، ولا أدل على ذلك من الإهمال الذي واجهته من قبل هذه الجماهير.

وكلمة أخيرة نقولها:

إن مسيرة الصحوة الاسلامية صاعدة، وإن العقبات أمامها زائلة، وإن عز الاسلام الأمثل متحقق بلا ريب ولو كره الكافرون!

التآمر الاستعماري على الثورة والوحدة

في الواقع إننا لا نستطيع أن نحصي الخطط الكثيرة التي نفذها الكفر العالمي لمواجهة خطط الثورة الاسلامية لتحقيق حلم الوحدة الاسلامية، ذلك أن الطاقات الاستعمارية هائلة، والتخطيط الاستكباري ذكي وواسع، يستخدم مختلف العناصر لتحقيق مآربه اللئيمة. إلا أننا نشير الى بعض النماذج التي توضح سعة ذلك التخطيط، وهي على النحو التالي:

أولاً: قام الاسطول الاعلامي الاستكباري بشن حملة تهريج وتشويه للثورة وصّورها وصور قائدها الكبير وسياستها الواضحة، وذلك لتحقيق الكثير من الأهداف التي منها ارباك الوضع الداخلي لاقعادها عن النهوض بالمهمة الاسلامية العالمية الواسعة الابعاد.

كما عمل على ايجاد هوة سحيقة بينها وبين جماهيرها الاسلامية المتلهفة، عبر اقناع هذه الجماهير بأن التجربة تجربة خائبة ولا يمكنها أن تقدم النموذج الحضاري المطلوب، أو أنها تجربة لها حدودها الاقليمية ولا يمكن اتباعها واعادة تطبيقها في ظروف أخرى، نظراً للاختلافات المذهبية وغيرها. وبهذا، استطاع الاعلام الاستكباري أن يقنع بعض ضعاف النفوس، ويسخّر لصالحه بعض وعاظ السلاطين، مستغلا الأموال الحرام التي تبذلها الأنظمة السائرة في ركابه لشراء الذمم وتشويه الحقيقة الناصعة.

ولن نستطيع في هـذه العجالـة أن نـشير حتـى الى بعـض النمـاذج الهزيلـة لهـذا التشويه، ولاشك في أن كل مسلم واع اليوم يدرك هذه الأبعاد بكل وضوح.

ثانياً: قام الاستكبار وعملاؤه بافتعـال كـثير مـن أنمـاط الارواء الكـاذب لعطـش الجماهير الاسلامية للوحدة الاسلامية والخلاص من المشاكل. ثم لا تنقضي مدة حتى تشعر هذه الجماهير بسخف تلك المحاولات وأنها لم توجد إلا لخلق اليأس.

وما تجربة الأبدال الهزيلة التي طرحها الاستكبار لتطبيـق الاسـلام هنـا وهنـاك في العالم الاسلامي إلا دليل على ذلك.

فقد أعلن بعض الحكام عن عملهم علىتطبيق الشريعة الاسلامية مباشـرة، وراح بعضهم الآخر يطلب الى المجامع العلميـة وضـع دسـاتير لتطبيـق الـشريعة، في حـين أعلنت بعض الحكومات الاسلامية عن تدرجها في تطبيق الـشريعة، وقامـت بـبعض الخطوات السطحية.

ولم تمض مدة على ذلك حتى اكتـشفت جمـاهير امتنـا اسـلامية زيـف كـل تلـك الأساليب بل وتآمرها على القضية.

فلم تعد تلك الاعلانات إلاّ مهزلة يتندّر بها الشعب لينفّس عن يأسه.

ثالثاً: وكانت مسألة طرح الخلاف بين المسلمين من خلال الكتب الصفراء بهرجة تنبش الماضي السحيق وتتبع العثـرات، والفتـاوى الفرديـة، والآراء الـتي القيـت في ظروف خاصة، والكتيبات المؤلفة للتعبير عن حالة نفسية مربها المؤلف في فـترة مـن الفترات، والروايات الضعيفة المتناثرة في الكتب الروائية، بل وتحريف مدلول بعـض هذه الروايات، واقتطاع جزء من الكلام وعرضه على انه كـلام كامـل ثـم التـشهير بصاحبه، حتى وجدنا من يعمد الى بعض القواعد الاصولية الـتي لهـا مـساحة عمـل خاصة بها ليجعلها من أصول المذهب ثم ليشنع بها على أصحابه.

وهكذا ارتضى أصحاب هذه الحرفة القاتلة الممزقة لوحدة الامة أن يتم التشكيك في القرآن الكريم والسنّة الشريفة والتاريخ الاسلامي، وان تقوم المذابح بين المسلمين، ويقوى معسكر الكفر المتربص، لا لشيء إلا لكي يدكوا الطرف الآخر، وهم بذلك يقدمون، دون شك، أكبر خدمة لأعداء الاسلام، بوعي منهم أو بغير وعي. وقد اعتمد هذا الخط الخبيث على عناصر نفسية، وامكانات مالية واعلامية واسعة، ونقاط ضعف تلوح بشكل طبيعي في مسيرة كل مذهب، من خلال ما يقبله من روايات وما يقدمه للتاريخ من أبطال ورجال، وما ينتهي إليه من آراء. وحينئذ نجد العناصر الجاهلة، أو المتعصبة، أو المغرضة المأجورة، تستفيد من تلك الامكانات المالية الهائلة لنبش القبور، واستعراض الآراء، واكتشاف نقاط الضعف، ثم نسبتها أولاً الى مجمل المذهب ثم القيام بحملة تشهير واسعة.

وأمامنا مكتبات العالم الاسلامي وهي تعج بالغث من هذه الكتب الصفراء وبأفضل الطبعات وبكل اللغات الحيّة، وبأرخص الأثمان، وكلها تصب في مصب تمزيق الوحدة الاسلامية، وعلى أغلفتها عبارة جامعة تقول: (طبع على نفقة جماعة من المؤمنين دفاعاً عن الدين الحنيف ويوزع مجاناً قربةً الى الله)!!

وأمامنا قائمة طويلة بالكتب التي حملت على عاتقها مسؤولية التمزيق، واخرى نهضت منافحة مدافعة. وليس لنا في قبال ذلك إلا أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ونسترجع، ونسأل الله جلّ وعلا لهذه الامة أن يحفظها من هذا الهذر والسخف اللذين لا طائل تحتهما.

رابعاً: ومن جهة اخرى، رأينا دعماً كبيراً للاتجاهات الممزقة بشكل عملي لوحدة الامة، فهناك نفخ متواصل في نار الأحقاد التي عفى عليها الزمن بين العرب والفرس والترك، وهناك إحياء لتاريخ ما قبل الاسلام، كتاريخ بابل، والفراعنة، والفينيقيين،

لتمزيق حبل الوصل القائم بين المسلمين عبر تاريخهم المشترك، وهناك صراع حول الصفة الغالبة للفكر: أهي صفة العروبة أم صفة الاسلام؟ وهل أمثال الكندي، وابن سينا هم من مفكري العرب أم من مفكري الاسلام!

وهنا تغذية للاتجاهات القومية المتطرفة وتعميق للحدود الوطنية (!) الضيّقة جداً، واشاعة للأفكار الحزبية اليسارية أو اليمينية البعيدة عن الثقافة الاسلامية الأصيلة.

خامساً: وقد بدأ تخطيط واسع لضرب كل مظاهر الصحوة الاسلامية، شمل، قبل كل شيء، ضرب معاقل الوعي وحملته، وهم الاسلاميون الحركيون في كل مكان، فتمت تصفية الكثير من عناصرهم اغتيالاً واعتقالاً واتهاماً وحلاً وتمييعاً.

كما تمّ هجوم واسع على كل المظاهر الأخلاقية للصحوة باشاعة الفساد من جديد وبشكل غير مباشر ومحاربة الحجاب عبر سن قوانين صارمة تحظر على المرأة الملتزمة أن تدخل الجامعة، أو الوظائف الحكومية، أو تمارس الكثير من الحقوق الاجتماعية.

وحوربت كتب الصحوة ومؤسساتها، أو عمل على شرائها وتغيير مسيرتها.

وبدأت حملة ظالمة تتهم كل مخلص واع يدعو الى شمل الامة، والدفاع عن مقدساتها، وتطبيق شريعتها، بشتى التهم، كالرجعية، والاصولية، والتعصب، والارهاب، والتطرف، والجمود الذهني والتخلف الحضاري، وغير ذلك. وقد اضيفت أخيراً تهمة اخرى واعتبرت أحياناً مجوزاً قضائياً،وهي تهمة (التشيّع لآل البيت ـ ع ـ) وإن عشت أراك الدهر عجباً!

سادساً: وأخيراً وليس آخراً.

لنا أن نشير الى حملة التشكيك الواسع في كل العناصر التي تشكل محاور لوحدة

مسيرة هذه الامة.

فحورب الحل الاسلامي لقضية فلسطين، وتم اركاع بعض القيادات الفلسطينية العاملة وايصالها الى حد التضرع والتوسل لإسرائيل كي تقبل بالتفاوض معها وتجلس إليها جلوس الند للند أو حتى الام للبنت.

وتم التآمر على القضية الأفغانية وتحويلها الى معسكر نفوذ للرجعية الامريكية العميلة، وذلك لنقل القضية من حوزة العمالة الشرقية الى دائرة العمالة الغربية.

وحتى القضايا الطبيعية التي كان المفروض أن تشكّل عاملاً من عوامل احتفاء الامة الاسلامية بتاريخها ومعالمه، كاحياء ذكرى ولادة الرسول العظيم، مثلاً، أو الاحتفال بالمعراج، أو بغيره، فقد تمت حملة واسعة للتشكيك فيها باعتبارها بدعاً يجب أن تزول، وأنها شِرك ودجل، وما الى ذلك.

بعد كل هذا، يجب أن لا ننسى التآمر الدولي الواسع علىالثورة الاسلامية، لالهائها وشلّها تماماً عن القيام بواجبها الحضاري، وهذا باب واسع للحديث ذي شجون.

وأخيراً لنتأمل كلمات الإمام الخميني (قدس سره) في ما يلي:

شذرات من كلمات الإمام الخميني حول (وحدة المسلمين)

على جميع الأخوة: الشيعة والسنة أن يتجنبوا أي خلاف بينهم.

٥٩/٤/٣١ هجرية شمسية

يجب أن نعي الحقيقة التالية:

إننا مسلمون جميعاً واننا اتباع القرآن والتوحيد.

٥٩/٤/٣١ هـ ش

ان اختلافنا اليوم ـ يعود بالفائدة على اولئك الذين لا يعتقدون بمذهب الشيعة، ولا بمذهب السنة ولا بأي مذهب آخر بل يعملون على محو هؤلاء وأولئك معاً.

٥٩/٤/٣١ هـ ش

نحن جميعاً اتباع القرآن والرسول الأكرم. إننا جميعاً اخوة لنا وجهة واحدة واتجاه واحد، دين واحد، قرآن واحد.

إني لآمل ان نتجاوز عوامل التفرقة بقوتكم وبالمدد الإلهي.

إني لأرجو ان يتآخى المسلمون وكل الشعوب الاسلامية ـ اتباعاً لأوامر الاسلام والقرآن المجيد ـ ويتعاملوا مع أعداء الانسانية بالشدة ومع الأقطار الاسلامية بمبدأ الاخوة.

وهذا لا يتحقق إلا برفع اليد عن الخلافات الجزئية القائمة بين الحكومات ويعيشوا كما يعيش الأخوة.

إن هذا النزاع والخلاف يعود بالنفع على أعداء الاسلام والمسلمين فعلينا أن نقف بوجه هذا الانتفاع.

٥٩/٤/١٤ هـ ش

لا يعرف الاسلام شيئاً اسمه (العنصر) وليس فيه عربي وعجمي وغير ذلك.

٥٨/٤/١٤ هـ ش

يجب أن ينضوي المسلمون والحكومات الاسلامية ويجتمعوا تحت لواء الاسلام والقرآن المجيد.

٥٨/٤/١٤ هـ ش

في الفرقة خوف الانكسار، وخطر انهزام الاسلام واحكامه الراقية.

٥٨/٥/٤ هـ ش

على المسلمين ان يكونوا في يقظة وحذر ويستظلوا بلواء الاسلام وهيمنة القرآن.

٥٨/٣/٣ هـ ش

الأهم والأخطر من الدعوات القومية، العمل على زرع الفرقة بين أهل السنة والجماعة والشيعة، وبث الدعايات المثيرة للفتنة والعداوة بين الأخوة المسلمين.

إن الثورة الاسلامية لم تشهد ـ بحمد الله تعالى ـ أي خلاف بين الطائفتين اذ يعيش الكل بحب وأخوة.

إن أهل السنة كثيرون في ايران ينتشرون في أطرافها وأكنافها ولهم علماء ومشايخ كثيرون ... انهم لنا أخوة ونحن لهم أخوة متساوون ... انهم يقفون في وجه كل تلك النغمات التي تزرع النفاق والتي يعزفها بعض المجرمين وعملاء الصهيونية وأميركا.

وليعلم اخوتنا أهل السنة في الأقطار الاسلامية ان العملاء المنشدين بالقوى الشيطانية الكبرى لا يعملون لخير الاسلام والمسلمين فعليهم أن يتبرءوا منهم ولا يستمعوا الى تخرصاتهم التي تبث النفاق ... إنني امد يد الأخوة الى كل المسلمين المتعهدين في العالم.

من رسالة الامام الى الحجاج ٥٦/١/٢١ هـ ش

يجب ان يكون المسلمون يداً واحدة، ويتحدوا ولا ينفصل بعضهم عن البعض الآخر، ولا يجعلوا الحدود فواصل بين القلوب.

آبان ١٣٥٨ هـ ش

ليست الأيدي الملوثة التي توجد الخلاف بين الشيعة والسنة في الأقطار الاسلامية بأيد شيعية، وإنما هي أيد استعمارية تعمل على ان تسلبنا أقطارنا الاسلامية هذه.

لو اتحد المسلمون بملايينهم السبعمائة لما استطاعت اميركا ان ترتكب مثل هذه الجرائم ولعجزت روسيا عن ارتكابها ايضاً.

وليس لنا ـ اليوم إلا الوحدة على أسس رسالية لكل الطبقات كي ننتصر على قوى الشرق والغرب العدوانية ومن ثم تصل ثورتنا الاسلامية الى النصر.

إن الاسلام يأمركم بالوحدة ويأمركم بالاتحاد.

إن ايران هي القطر الذي قامت فيه الوحدة سواء بين الأخوة من الشيعة والسنة او بين الحكومة والشعب.

تعالوا نحقق رضا الله فنرفع ايدينا عن أي خلاف ونعيش مع اخوتنا الآخرين بصلح وصفاء. دافعوا عن بلدكم من خلال التمسك بالقدرة الإلهية وعندها سيكون الله معكم ولن تتغلب أية قوة عليكم.

(من رسالة الإمام الى الشعب في يوم الجمهورية الاسلامية)

٥٩/١/١٢ هـ ش

إن كل الطوائف الاسلامية ـ اليوم ـ تواجه عدواً مشتركاً هو القوى الشيطانية العاملة على تحطيم أسس الاسلام.

٥٩/٦/٤ هـ ش

اخوتي؛ الاخوة من أهل السنة، والاخوة من الشيعة.

يجب الانتباه الى أن جذور الفساد التي صبت عليكم ظلمها وسحقتكم تحت أقدام جلاديها على مر التاريخ والتي استطعتم طردها من بينكم تخطط الآن وبعناوين مختلفة لتزرع بينكم الفرقة لكي تحصل على النتيجة المطلوبة.

إن القرآن دعانا للوحدة، الاسلام دعانا الى الوحدة. لا تدعوا الخلاف يسري بينكم وكونوا اخوة متساوين، إذا اتحدت الحكومات والشعوب الاسلامية لم يكن هناك أي مجال لأن يرزح حوالى مليار مسلم تحت نير القوى العظمى.

ولو كانت هذه القدرة الإلهية ملتزمة بقدرة الإيمان ومشى جميع الأخوة على طريق الاسلام فلن تستطيع أي قدرة أن تتغلب عليهم.

إننا لنشهد ـ مع الأسف ـ إن الخلافات في المناطق خصوصاً في المناطق العربية مكنت اسرائيل بعددها الضئيل أن تقاوم العرب بعددهم الكثير وعددهم الضخمة.

على المسلمين والحكومات الاسلامية أن يتحدوا.

لقد صببت جل اهتمامي على أن يكون المسلمون جميعاً يداً واحدة على الاعداء اتباعاً لما يأمر به الاسلام، وجماعة واحدة تحقق ما يرمي اليه الاسلام.

٥٨/٢/٤ هـ ش

يجب على المسلمين لكي يحصلوا على استقلالهم وحريتهم ان يمسكوا بمفتاح السر هذا ويسعوا الى وحدة الكلمة.

٥٨/٢/١٠ هـ ش

إننا نمد يد الأخوة الى جميع الشعوب الاسلامية ونطلب منها العون والتعاضد لتحقيق الأهداف الاسلامية.

٥٨/٢/١٠ هـ . ش

آمل أن تنهض الشعوب الاسلامية وتتحد بعد أن مزقتها دعايات الأجانب فإذا

البعض منها يقف في قبال البعض الآخر. فإذا اتحدت عملت على تشكيل الدولة الاسلامية العظمى تحت لواء لا إله إلا الله وانتصرت هذه الدولة على جميع قوى الأرض.

٥٨/١٢/٦ هـ . ش

ان جميع المؤمنين ـ طبق أمر الله ـ اخوة.

٥٨/٦/٢ هـ . ش

ليس هذا العصر، عصر قعود المسلمين وتقاعسهم واكتفائهم بمجرد مراقبة العدو وهو ينهب خيراتهم.

إنه عصر النهضة الكبرى يصنعها المسلمون فيطردون الأيدي الأجنبية من أراضيهم.

إن عليهم أن يكونوا جميعاً صفاً واحداً، ويصارعوا الأجانب ويسترجعوا حقوقهم المهضومة.

٥٨/١٢/١٤ هـ . ش

إننا لنرجو ويحدونا الأمل الكبير أن تلتقي كل أصناف الشعوب المستضعفة وتتلاحم. ونسأل الله تبارك وتعالى أن يمن على المسلمين في كل أقطار الدنيا باليقظة والحذر من الفرقة والاختلاف.

٥٨/٢/٢٤ هـ ش

إذا تلاحم المسلمون واتحدوا عادوا قدرة لا تقاومها أي قدرة.

إن علينا ـ نحن المسلمين ـ إن نعرض الاسلام على واقعه للعالم ثم ننضم الى حزب واحد هو (حزب الله).

١٣٦٧/١٢/٥ هـ ش

إن زرع الفرقة بين مذاهب المسلمين استهدف تمزيقهم لكيلا يستطيعوا ان يعملوا لصالح الاسلام والمسلمين.

٥٧/١٢/١٦ هـ . ش

إذا كان المسلمون متحدين لم يبتلوا بمثل هذه الذلة تحت رحمة الأجانب وعملائهم.

٥٧/١٢/١٦ هـ ش

لا معنى لأن نشهد حوالي مليار مسلم وهم يرزحون تحت نير القوى المختلفة إذا كانت كلمة المسلمين متحدة وتلاحمت الحكومات والشعوب الاسلامية.

لو كان المسلمون متحدين لم يجرؤ العدو على مهاجمتنا في افغانستان او فلسطين.

٦٠/١٠/٧ هـ ش

لو احتفظ المسلمون والحكومات الاسلامية برابطة الأخوة التي أمر بها الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم، وحققوها لم تقع افغانستان مورداً للهجوم ولا فلسطين ولا غيرها من الأماكن الاسلامية.

٦٠/١٠/٧ هـ ش

ما الداعي ـ لو اتحدت كلمة الحكومات الاسلامية ـ لأن نمد يد الضراعة لأميركا او روسيا؟!

٦٠/١٠/٧ هـ ش

إنما تبدو حاجة المسلمين للقوى الكبرى عندما نكون متفرقين كما هو الحال عليه الآن.

٦٠/١٠/٥ هـ ش

إن قطرنا الاسلامي يبذل كل جهوده في سبيل الاسلام. من أجل الاسلام يقدم

الشهداء، ومن أجل الاسلام يتشرد، ومع هذا فالغريب ان نشاهد الحكومات الاسلامية التي تدعي الاسلام وهي تقف جبهة واحدة في قبال دولتنا الاسلامية.

٦٠/١٠/٧ هـ ش

إننا لنأسف حقاً لعدم اتخاذ ايران مثلاً من قبل الأقطار الأخرى فتتحد كلمتها وتتلاحم صفوفها.

٦٠/١٠/٧ هـ ش

القرآن الكريم يدعو للوحدة وانتم تدعون للفرقة والنزاع.

٦٠/١٠/٧ هـ ش

إن العقل والاسلام يدعوانكم الى الاتحاد وإذا اتحدتم لم يستطع أي قطر أن يعتدي عليكم.

٦٠/١٠/٧ هـ ش

إذا تلاحمتم واتحدتم لم تجرؤ اسرائيل على البقاء في الأراضي المغتصبة.

٦٠/١٠/٧ هـ . ش

اطمئنوا بالنصر ان اتحدتم ولن تستطيع أية قدرة شرقية او غربية ان تحكمكم.

٦٠/١٠/٧ هـ . ش

إن القطر الذي اقيمت فيه اسس الوحدة هو ايران:

سواء بين الأخوة الشيعة والسنة او بين الحكومة والشعب.

٦٠/١٠/٨ هـ . ش

أولئك الذين يعملون على استثمار الأقطار الاسلامية لا يجدون سبيلاً لذلك أفضل من زرع الخلاف بينها.

٦٠/١٠/٨ هـ . ش

إن أولئك العملاء للقوى الكبرى لا يدعون هـذا الاتحـاد، والاتحـاد بـين الـشيعة والسنة يقوم على سوقه وإنما يعملون على تحطيمه.

٦٠/١٠/٨ هـ.ش

هل كان من الممكن أن يرزح المسلمون تحت سلطة القوتين العظميين ـ كمـا هـو الحال الآن ـ لو كانوا اتحدوا وهم يتـوفرون علـى هـذه المخـازن العظيمـة، والمـساحة الواسعة؟!

٦٠/١٠/٨ هـ ش

إن القرآن الكريم يؤكد علـى هـذه الحقيقـة: حقيقـة أن لا يتفـرق المـسلمون وأن يكونوا يداً واحدة ويعتصموا بحبل الله.

٦٠/١٠/٨ هـ ش

إن وحدة الكلمة هي التي انقذتنا من براثن النظام البهلـوي المعـادي للانـسانية، وجرت تلك الحكومة السفاكة الى الفناء.

٦٠/١٠/٨ هـ ش

كل المسلمين أخوة متساوون لا ينفصل أي منهم عـن الآخـر ويجـب أن ينـضووا جميعاً تحت لواء الاسلام ولواء التوحيد.

إن الشيعة والسنة يعيشون ـ في الجمهورية الاسلامية ـ الى جنب بعضهم البعض ويتساوون في الحقوق ...

وكل من ادعى ودعى الى غير ذلك هو عدو لايران والاسلام وعلـى اخوتنـا مـن أهل السنة أن يقفوا ضد هذه الدعايات ويخنقوها في مهدها.

لتعلم أميركا المعتدية على العالم؛ إن الشعب العزيز والخميني سوف لن يدعوها حتى يحطموا كل منافعها الحيوية وسوف يواصلون نظالهم الإلهي حتى يقطعوا ايديها الأثيمة.

إن شعبنا تحمل كل المصاعب ـ كما أظهر ذلك ـ لكي يحتفظ بشرفه الرفيع وسمعته الإسلامية.

إن شعبنا المقاوم الصامد كان يعمل منذ بدء دخوله حلبة الصراع إنه يصارع كل القوى والقوى العظمى.

وينبغي أن يعلم شعبنا ان كل الأيادي الداخلية والخارجية للقوى والقوى العظمى ـ وخصوصاً أميركا المجرمة ـ سوف تلقي بكل ثقلها وامكاناتها لتحطمنا، ولكن لا سبيل لنا ولا خيار إلا الصراع وإن تحمل المصاعب ليس الا قضية سهلة لتحقيق الشرف الإسلامي الايراني.

على شعبنا أن يستعد لهذا الصراع الحسيني حتى يحقق النصر الكامل فإن الموت الأحمر خير ـ كثيراً ـ من الحياة السوداء.

إننا ـ اليوم ـ بانتظار الشهادة لكي يقف أبناؤنا غداً مرفوعي الجبين في قبال الكفر العالمي.

٦٠/٣/١٦ هـ. ش

ليس أولئك العاملون على زرع الفرقة والخلاف من أهل السنة ولا من الشيعة، إنهم عملاء الدول الكبرى، والمنفذون لمخططها، والمسخرون لمصالحها.

الفصل الرابع

التقريب طريق الوحدة

التقريب والتفاهم منهجه واخلاقياته[*]

المقدمة

(الرحمن علّم القرآن خلق الانسان علمه البيان)[٢].

وهكذا كانت نعمة البيان من اروع نعمه تعالى على الانسان ليشكل الجسر الطبيعي الذي تعبر من خلاله الافكار من انسان لآخر ومن جيل لآخر ويتحقق بذلك هدف خلق الانسان وهو تكامله من جهة واعمار الأرض من جهة أخرى.

فاللغة اذن تكميل لنعمة الخلق ووصل للحلقات الانسانية المتتابعة وتنظيم لمسيرة الفكر الانساني نفسه حتى أن البعض تصور ان اداة الفكر هي اللغة وبدونها ينعدم الفكر. ونحن وان أنكرنا ذلك لأنه منتج اللغة وصانعها ولكننا نؤمن ان وضوح الرموز اللغوية للجوانب الفكرية وغناها يوفر مساحات نمو الفكر ونضجه ومنطقيته بلا ريب. فاللغة وسلية اغناء للفكر، والفكر نفسه جسر يعبره الانسان للخلاص من سجنه الذاتي عبر الاستعانة بمكنوناته الفطرية التي اودعها الباري في طينته يوم خلقه انساناً سوياً يسعى لهدف سام.

---

(١) القى في مؤتمر الجزائر المنعقد بتاريخ شهر رمضان ١٤٢٣هـ. ق.

(٢) الرحمن/ ١ ـ ٣.

ان هذه المكنونات الفطرية تخرجه الى عالم ارحب من ذاته وتربطه بواقع خارجها لينتقل عبر إيمانه به إلى حقيقة كبرى هي التي أوجدت كل هذا العالم وبدونها يبقى العالم بلا تفسير.. ان الانسان يجادل ويشكك وحق له ان يفعل ذلك (وكان الانسان اكثر شيء جدلاً) [١]، حتى يستقر على الحقيقة المطلقة ويتوصل اليها عن طريق قناعة عقلية ثم ليعبر بها العقل الى كل وجوده فيطمئن بها قلبه (قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) [٢].

ان النصوص الاسلامية التي علمتنا هذه الحقائق هي التي شجعت فينا منطق الحوار للوقوع على صخرة الحقيقة وهي التي جعلت التفهيم والتفاهم والاقتناع الوسيلة الانسانية الحضارية للتواصل والتأثير والتأثر والتفاعل الايجابي: لتتبين الحقيقة و(ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينه)[٣].

و(لئلا يكون للناس عليكم حجة)[٤]. و(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٥].

انها الدعوة الواضحة البينة والتعامل الانساني بالفكرة والمنطق والحوار، اما الاكراه وخلق الاجواء الموهمة والاعلام المضلل وشراء الافكار وغير ذلك فهو منطق الطاغوت (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات)[٦].

انه المنهج النير اللاحب الذي لو سلكته البشرية لو صلت الى الصواب.

---

(١) الكهف/ ٥٤.
(٢) البقرة/ ٢٦٠.
(٣) الانفال/ ٤٢.
(٤) البقرة/ ١٥٠.
(٥) النساء/ ١٦٥.
(٦) البقرة/ ٢٥٧.

وانه ليخطئ من يتصور ان الحوار منطق الضعفاء!! كلا بل هو منطق الاقوياء حقاً فالمحاور الحق اما أنه يعلم انه يعرض جوهرة ثمينة لا يخشى عليها من الصقل والامتحان أو انه يمتلك الشجاعة النفسية التي يتخطى بها قناعاته اذا تبينت له قوة الرأي الآخر.

الاسلام والاجتهاد

سمح الاسلام منذ انطلاقه لعملية الاجتهاد أن تؤتي ثمارها ولكن في اطارها الطبيعي وهو السعي لفهم الحكم الشرعي للسلوك الفردي والاجتماعي من خلال سبر المصادر التي جعلها الاسلام مرجعاً لاحكامه وتعاليمه رافضاً كل ما ينطلق من الوهم والظن غير المعتبر لانه لا يغني من الحق شيئاً.

وقد عبر بذلك عن واقعية فطرية من جهة وعن مرونة تستوعب التغيرات والتعقيدات على مر العصور باعتباره رسالة خالدة.

فالاجتهاد مما لا مناص منه ولا تستطيع اية شريعة حتى ولو كانت وضعية اذا اريد لها ان تنظم الحياة على المدى الطويل ان ترفضه. ولهذا تختلف الافكار وتحصل المذاهب وكل ذلك يعتبر ثروة فكرية لتلك الشريعة وغنى حضارياً لها. واذا رأينا القرآن الكريم ينهى عن الاختلاف فانه يعني التمزق في المواقف العملية الرئيسية دون الاختلافات الاجتهادية بلا ريب.

وعلى هذا الاساس نشأت المذاهب الاسلامية نشوءاً علمياً طبيعياً وان كنا لا نستطيع أن ننكر الدور السياسي المساعد لهذا النشوء.

ومادام هذا الاختلاف في أطره الفكرية الطبيعية فقد كان ثروة ونهضة إيجابية تعبر عن حركية وحرية ومرونة.

الا انه ومع الاسف الشديد تدخلت عوامل كثيرة فحرفت هذه المسيرة عن أهدافها وغيرت الاختلاف المذهبي الطبيعي الى صراع طائفي مقيت كلّف هذه الامة

على طول مسيرتها انهاراً من الدماء والدموع وانماطا من الضعف والوهن وحالات هائلة من الصراع والتمزق.

ويمكن ان نذكر لهذا التحول من (المذهبية) الى (الطائفية) الكثير من العوامل[١] ومنها:

١ـ الجهل وهو آفة الآفات.

٢ـ التعصب الاعمى.

٣ـ الدوافع السياسية للحكام المنحرفين.

٤ـ المصالح الضيقة لبعض المتصيدين.

٥ـ تطفل البعض على مائدة الاجتهاد ممن لا يملكون الاهلية.

٦ـ العامل الخارجي المعادي.

وغير ذلك. ولسنا بصدد الاستقصاء بقدر ما نحن فيه من اشارة الى الانحراف التاريخي الكبير الذي يتطلب من علماء الامة والمخلصين فيها العمل الدؤوب لارجاع الحالة الى وضعها الطبيعي، واخراج هذه الامة من هذه الورطة التاريخية خصوصا اذا لاحظنا ما آل اليه وضعنا الحالي من تمزق قاتل واتحاد للعدو المتكالب علينا يقول تعالى: (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير)[٢].

وها نحن نشهد صرخات الحرب اما على الصعيد النظري كما في نظرية صراع الحضارات لهانتنغتون أو نظرية (نهاية التاريخ) لفوكوياما، أو على الصعيد العملي حيث يصرح قادة الحضارة الغربية بأنه أما ان نكون معهم أو فنحن ارهابيون ولا خيار ثالث.

---

(١) يراجع كتاب (قصة الطوائف) للدكتور فاضل الانصاري.

(٢) الانفال/ ٧٣.

وقد رأينا ان التسامح الاسلامي طرح فكرة الحوار بين الحضارات وفكرة الحوار بين الأديان وتقبل العالم هذه الفكرة حتى جاءت حوادث سبتمبر ـ ايلول فنسفتها واحلت بدلا عنها منطق القوة والاستعلاء واستغلتها القوى العظمى لتبسط سيطرتها وتحقق حلمها لتمزيق هذه الامة وتركيز اسرائيل راعية الارهاب وداعيته. ومازالت في بداية الحرب كما تصرح فماذا نحن فاعلون؟ وكما هو واضح فان الحل هو الرجوع من جديد الى قرآننا العظيم واستلهامه واستنطاقه، وتوحيد الموقف الاسلامي مع اتساع في الصدور وتحمل للآراء التي ينتجها اختلاف الاجتهاد ثم الانطلاق الى العالم بمنطق الحوار ولابد ان ينتصر هذا المنطق ان عاجلاً أو آجلاً.

القرآن وشروط الحوار واخلاقياته

نستطيع بعد التأمل في القرآن المجيد أن نكتشف أهم مقومات الحوار واخلاقياته بلا ريب وهانحن نذكر اهمها فيما يلي:

أ. مقدمات الحوار:

هناك امور يجب أن تفرض مسبقاً حتى يتم الحوار ومنها ما سماه قدماؤنا بـ(تحرير محل النزاع)[1] فان الحوار قد يكون مجرد مضيعة للوقت اذ قد يظهر للمتحاورين بعد فترة طويلة انهما كانا يركزان حوارهما على محورين مختلفين لا على محور واحد فيجب تشخيص المحور المدعو اليه. وهذا ما يمكن ان يستفاد من دعوة القرآن لان يكون الداعي على بصيرة من أمره.

(قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين)[2].

---

(١) راجع الكافية للجويني ص ٥٤٠، وقاموس الشريعة للسعدي ج ٣، ص ٦. وكتب أصول الفقه وغيرها.

(٢) يوسف/١٠٨.

ومنها: مسألة الاتفاق على مسلمات اولية. فان الحوار لن ينتج مطلقا اذا لم تكن هناك مبادئ متفق عليها مسبقاً وفرضيات مسلمة يرجع اليها المتحاوران مهما كانت اولية أو بديهية.. فمن المستحيل ان تصل الى نتيجة مع من ينكر البديهيات كأن لا يؤمن باستحالة اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما أو لا يؤمن بوجود قانون العلية أو بوجود العالم خارج الذهن الانساني فانك مهما استدللت بشيء فانه مستعد لانكاره ولا طريق الا التنبيه على القضايا الوجدانية لأجل انتزاع اعتراف بها. ومن هنا نجد القرآن الكريم يرد على اولئك المنكرين للبديهيات بتنبيههم لخطأ ما يعتقدون وايقافهم امام تساؤلات فطرية فعندما يؤمن المقلدون بمبدأ واحد وينكرون غيره وهو (التبعية العمياء للآباء) فانه لا يمكن الحوار. لذلك يتم تنبيههم عبر سؤال وجداني (لو انكم علمتم أن اباءكم كانوا مجانين فهل كنتم ستتبعونهم؟) ان الجواب سوف يكون بالنفي طبعاً وحينئذ تنطلق عملية الحوار من احد المبادئ المسلمة وهي (معيارية العقل).

يقول تعالى: (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)[1]. ويقول تعالى: (وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا انا بما ارسلتم به كافرون)[2]. ان الجواب الطبيعي هو ان الأهدى هو المتبع.

ب. المتحاوران:

وهناك شروط يجب ان يتصفا بها منها ان يكونا على مستوى موضوع الحوار، فلا

(١) البقرة/ ١٧٠.
(٢) الزخرف/ ٢٣ ـ ٢٤.

معنى للحوار حول موضوع لا تعلمه الاطراف، أولا يعلمه أحدهم، أولا يتخصص فيه أن كان مما يتطلب التخصص، يقول تعالى:

(ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون) [١]. ويقول سبحانه (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الاكبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير) [٢]. وهنا يقول أحد العلماء (ان يناظر مع من هو مستقل بالعلم ليستفيد منه ان كان يطلب الحق) [٣]. ومن هنا فنحن نعتقد ان طرح الاستدلالات العلمية في المجامع العامة مع اختلاف المستويات أمر يجانب الصواب.

ومنها امتلاك الروح الموضوعية وصفة الانصاف فالقرآن الكريم يخاطب الرسول الكريم مع قوة ايمانه طالباً منه أن يدخل الحوار بروح موضوعية فيقول: (وانا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين)[٤].

ويقول تعالى أيضاً:

(قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين)[٥].

يقول صاحب الحجة عند التحدث عن شروط المناظرة:

الأول: (ان يقصد بها اصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق لاظهور صوابه وغزارة علمه وصحة نظره فان ذلك مراء منهي عنه بالنهي الأكيد) ويضيف (ان يكون في طلب الحق كمنشد ضالة يكون شاكراً متى وجدها ولا يفرق بين ان يظهر على يده أو يد غيره فيرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق)[٦].

---

(١) آل عمران / ٦٦.

(٢) غافر/ ٥٦.

(٣) الحجة البيضاء، ج ١، ص ١٠١.

(٤) سبأ / ٢٤.

(٥) القصص/ ٤٩.

(٦) الحجة البيضاء في احياء الأحياء للفيض الكاشاني، ج ١، ص ٩٩.

نعم ان القرآن يعلم المسلم ان يستمع ويقيس الامور وبالتالي يتبع الاحسن. (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[١].

ومما يذكر بهذا الصدد ان البعض اعترضوا على الامام علي بقوله للحكمين (انظرا فان كان معاوية أحق بها فاثبتاه وان كنت اولى بها فاثبتاني) فاعتبروه شاكا في نفسه فقال لهم بان ذلك لم يكن شكا منه ولكنه اراد النصف وذكر الآية الشريفة: (وانا أو إياكم...)[٢].

ومنها مسألة احترام الرأي الآخر واحترام قناعاته. ويبدو هذا المعنى من خلال ملاحظة لحن بعض الآيات من قبيل قوله تعالى:(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)[٣].

وقوله تعالى: (قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون)[٤].

وتبدو روعة التعبير عند ملاحظة عبارتي (اجرمنا) و(تعملون).

ويهوّن القرآن من التأثر للاعمال التي يراها أحد الطرفين أمراً يبعث على الاستغراب فيقول (كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)[٥].

ح. موضوع الحوار:

والموضوع الذي يقبل الحوار يجب ان يكون عملياً فاذا كان امراً خيالياً أو أمراً يستحيل فهمه من قبل السامع فان الحوار لن ينتج شيئاً ويجب اقفاله وعدم الاجابة

---

(١) الزمر/ ١٨.
(٢) الاحتجاج للطبرسي، ص ٢٧٦.
(٣) الانعام/ ١٠٨.
(٤) سبأ/ ٢٥.
(٥) الانعام/ ١٠٨.

على التساؤلات أو الاجابة بجواب مجمل وقطع الحوار ومن هنا تأتي الآيات التالية: (يسألونك عن الاهلّة قل هي مواقيت للناس والحج)[١].

(يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي)[٢].

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)[٣].

(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً)[٤].

ونفس الموقف يتخذه القرآن ممن يطرحون اموراً جدالية أو هزلية.

وهكذا يجب الاهتمام بالقضايا العملية (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)[٥].

يقول الامام الغزالي: (ان يناظر في واقعة مهمة أو في مسألة قريبة الوقوع وان يهتم بمثل ذلك)[٦].

د. اجواء الحوار:

ولكي يترك الحوار أثره الجيد يجب ان تتوفر فيه أمور:

منها: الاخلاقية وقد ذكرنا امثلتها عند الحديث عن شروط المتحاورين.

ومنها: عدم التهويل ومعه لا معنى للحوار المنطقي الحكيم.

ومن خير الامثلة على ذلك ماذكره القرآن الكريم من جو انفعالي صنعه المشركون امام الرسول العظيم(ص) متهمين اياه بالجنون، في مثل هذا الجو لا معنى

---

(١) البقرة/ ١٨٩.

(٢) الاعراف/ ١٨٧.

(٣) الاسراء/ ٨٥.

(٤) طه/ ١٠٥.

(٥) الرعد/ ١٧.

(٦) المحجة البيضاء، ج ١، ص ١٠٠.

للاستدلال على عدم الجنون ولذا يطلب القرآن منه ان يعمل على حذف هذه الاجواء والتفرق ثم التأمل. يقول تعالى:

(قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادي ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[١].

د. منهج الحوار:

ويذكر القرآن الكريم معالم رائعة لهذا المنهج منها مسألة المرونة وعدم الجمود في الأسلوب واختيار احسن السبل.

يقول تعالى: (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[٢].

(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن)[٣].

(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن)[٤].

ومنها المنطقية والاستدلال الصحيح بحيث يسير البحث من المقدمات الى النتائج بشكل طبيعي دونما تحايل أو جدال عقيم. والنصوص التي تنهى عن الجدال والمراء كثيرة:

كقوله تعالى: (ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون)[٥]. في حين يدعو الى البرهنة كما في قوله تعالى: (قل هاتوا برهانكم)[٦] ويعلن النفور من حالات العناد

---

(١) سبأ/ ٤٦.

(٢) النحل/ ١٢٥.

(٣) اسراء/ ٥٣.

(٤) العنكبوت/ ٤٦.

(٥) الزخرف/ ٥٨.

(٦) النمل/ ٦٤.

ويضرب لها مثلاً في قوله:

(واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)[١].

وقوله تعالى:

(وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحبسوه من الكتاب وماهو من الكتاب)[٢].

ومنها حذف العناصر التي لا دخل لها في النتيجة وانما تثير التشنج فقط.

يقول تعالى:

(قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون)[٣].

و. هدف الحوار:

اما الهدف فهو الوصول الى المساحات المشتركة ويبدو في قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله)[٤].

وبالتالي التعاون في هذا الأطار تعاوناً ايجابياً على البر والتقوى بعيداً عن الاثم والعدوان.

زـ ويمكن ان نضيف الى كل هذا وجود الحكم العادل وربما اشارت اليه الآية الشريفة (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم)[٥].

---

(١) الأنفال/ ٣٢.

(٢) آل عمران/ ٧٨.

(٣) سبأ/ ٢٥.

(٤) آل عمران/ ٦٤.

(٥) سبأ / ٢٦

حول التقريب والتفاهم

بعد هذه النظرة السريعة الى كتاب الله العزيز يتبين لنا أن التفاهم أمر يدعو اليه القرآن وينظمه لا بين المتدينين فحسب بل بين بني البشر عموماً الا أولئك الذين انتهجوا منهج العناد والظلم.

وهذا الامر يتركز اكثر عندما ندخل الى الساحة الاسلامية: ساحة الاخوة والوحدة والتسامح والقبول باصول الاسلام واستيعاب اختلاف الاجتهادات، الساحة التي يتفق فيها المسلمون على الاصول كما يتفقون على نسبة مئوية كبيرة من الحياة التشريعية بل وربما يندر الاختلاف في بعض النظم الاسلامية أو ينعدم من قبيل النظام الاخلاقي والنظام التربوي ونظام المعاملات ونظام العقوبات وغيرها.

نعم ندخل الساحة الاسلامية التي يخاطبها القرآن الكريم بخطاب واحد (يا ايها الذين آمنوا) والتي تستقى معالم دينها من منبع واحد رغم اختلاف الطرق احياناً، هذه الساحة ذات الشعار الواحد والاتجاه الواحد، فان التفاهم حينئذ يعود من البديهيات الاسلامية التي لا تحتاج الى استدلال وبرهان.

شبهات في البين

وقد اثيرت في البين شبهات تارة بحسن نية واخرى بنية سيئة من قبيل:

١ـ ان الاختلاف بين المذاهب الاسلامية انما هو في الأصول.

٢ـ ان الاختلاف بين المذاهب الاسلامية انما هو في اختلاف المصادر.

٣ـ اتهام كل طرف الآخر بالابتداع.

٤ـ اتهام كل طرف الآخر بالشرك عبر تبيين لوازم العقيدة.

٥ـ اتهام كل طرف الآخر بالنفاق والتآمر.

٦ـ تصور ان القبول بالحوار ينم عن شك في المذهب أو قبول ضمني بآراء الآخرين.

٧ـ تصور ان التقريب يستهدف التذويب وحمل الناس على مذهب واحد وهو أمر باطل فالتقريب باطل.

٨ـ تصور ان التقريب يسهل الأمر للانتقال من مذهب لآخر وبالتالي تخريب المعادلة بين المذاهب.

٩ـ تصور أن التقريب غطاء للتسلل الى المذهب الآخر وتبليغ التعاليم المنافية له والتشكيك فيه.

١٠ـ تصور أن التقريب حركة ذات مصلحة سياسية بعيدة عن جوهر الدين.

الى ما هنالك تصورات واجهت شخصياً بعضها وقرأت عن البعض الآخر الكثير.

ولكني أشهد الله تعالى على مافي قلبي وفكري حين أقول اني لم أر لهذه الشبهات أي واقع ولا أرى انها تعدو مرحلة (الشبهة) وان كنت لا أمانع أن تقوم جماعة بدراستها وكشف زيفها.

ولكني أشير هنا الى الحقائق التالية:

أولاً: إننا لاحظنا مسألة اهتمام القرآن بالحوار حتى مع المشركين وأهل الكتاب فكيف نتصور منعه للتفاهم بين المسلمين.

ثانياً: ان هناك بحثاً قرآنياً وحديثياً واسعاً حول (المداراة) كصفة رائعة للمسلم يتعامل بها مع الآخرين ولا مجال للتفصيل هنا.

ثالثاً: ان الائمة كانوا يعيشون معاً ويدرس بعضهم على بعض حتى ليتباهى بعضهم بفترة دراسته هذه، كما لم يكونوا ليحتكروا العلم بالحقيقة في حين نجد بعض اتباعهم يبتعدون حتى عن التفاهم.

رابعاً: ولقد شهدنا حركة تقريبية في الأزهر الشريف في الخمسينات شارك فيها الاعلام والعلماء ومنهم:

١ـ الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي.
٢ـ الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق.
٣ـ الاستاذ الاكبر الشيخ عبد المجيد سليم.
٤ـ الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت.
٥ـ العالم الكبير الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء.
٦ـ العالم الكبير السيد شرف الدين الموسوي.
٧ـ الامام الكبير السيد البروجردي.
٨ ـ الاستاذ الكبير السيد هبة الدين الشهرستاني.
٩ـ والشيخ العالم الشيخ محمد تقي القمي.

وهم علماء كبار سنة وشيعة قاموا بحمل لواء التقريب فهل خفيت عليهم هذه الشبهات وبعضها يتصل بالاصول؟!

وقد استبشر المرحوم الشيخ محمد محمد المدني بخطوة رائعة اتخذها الازهر بتدريس المذهب الشيعي الامامي والزيدي في أكبر كلية من كلياته وأخرى اتخذتها ايران (آنذاك) بادخال فقه السنة في كلية المعقول والمنقول[1].

خامساً: وقد شهدت حركة التقريب تقدماً واسعاً وقبولاً عاماً اليوم.

واروع مثال على ذلك قيام أكبر مجمع فقهي هو مجمع الفقه الاسلامي بجده بايجاد شعبة متخصصة باسم (شعبة التقريب بين المذاهب الاسلامية) وحصول روح توافقية عامة حرة في اجتماعاته العامة مما يكشف عن وحدة المنابع والرؤى وانفتاح للعالم الاسلامي على بعضه البعض. وقد أسس في الجمهورية الاسلامية الايرانية (المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) وهو يضم في مجلسه الاعلى علماء من المذاهب الاسلامية المتنوعة وقد قام هذا المجمع بدوره بتأسيس (جامعة المذاهب الاسلامية).

---

(١) ملف التقريب، ص ٢١٢.

هذا وقد اعتمدت (الايسيسكو) المنظمة العالمية الاسلامية للتربية والعلوم التقريب هدفا وعقدت له مؤتمرات في شتى انحاء العالم.

كما قامت المراكز العلمية الدينية في البلدان الاسلامية كالمغرب ومصر والجزائر والاردن وسورية ولبنان وايران وباكستان والسودان وماليزيا واندونيسيا وغيرها بعقد الندوات والمؤتمرات العالمية لتركيز هذه الحقيقة.

سادساً: اننا يجب ان نحدد ماذا نعني بالاصول حتى يتضح لنا ماذا نقصد من قولنا عدم وجود الاختلاف فيها؟ واذا لخصنا البحوث المفصلة حول الحدود التي تفصل بين الاسلام واللااسلام استناداً للآيات الكريمة والروايات الشريفة فانها جميعاً تركز على الحدود التالية:

١ـ الايمان بالتوحيد الالهي اجمالاً.

٢ـ الايمان بنبوة الرسول الاكرم(ص) ولزوم طاعته في كل ما يصدر عنه.

٣ـ الايمان بالقرآن الكريم والعمل بكل أوامره ونواهيه وقبول كل تصوراته وتعاليمه.

٤ـ الايمان بالمعاد اجمالاً.

٥ـ الايمان بتشريع الاسلام لمجموعة من الاحكام التي تنظم السلوك الفردي والاجتماعي ولزوم تنفيذها.

ولا أجد أي خلاف على هذه الاصول مطلقاً نعم هناك خلافات حول التفصيلات مثلاً:

١ـ في الصفات الالهية وعلاقتها بالذات.

٢ـ في المسائل العقائدية الفرعية كالجبر والاختيار والقضاء والقدر، والشفاعة وغير ذلك.

٣ـ في اثبات بعض الروايات وردها سنداً أو دلالة ويترتب عليه اختلافات أخرى.

٤ـ في مسائل الخلافة والامامة.

٥ـ في بعض الاحكام التشريعية.

وغير ذلك.

الا أنهم متفقون جميعاً على انه اذا ثبت شيء بالقرآن الكريم أو السنة الشريفة فانه يجب الاذعان له دونما تردد.

وينبغي: التنبيه على ان البعض يحاول الجاء الطرف المخالف للخروج من الحدود الاسلامية من خلال ذكر لوازم قوله مثلاً بهذا الرأي. وهذا الاسلوب مرفوض في هذا المجال مادام الطرف الآخر لا يعتقد بهذا اللزوم إذ لو كان يعترف به كان عليه التراجع بعد ان نفترض ايمانه بالاصول المذكورة. فلا يمكن ان نخرج فرداً عن الاسلام لان من لوازم قوله في نظرنا نفي الاصول الاولى وبهذا نحل مسألة الاتهام بالابتداع والشرك.

سابعاً: من الواضح ان مصادر التشريع لدى كل المسلمين هي الكتاب والسنة ولا يتنافى هذا مع الاختلاف مثلاً في علاقة الكتاب بالسنة وهل لها ان تخصص العام الكتابي مثلا أم لا.

ولا مع الاختلاف احياناً في الطرق الموصلة الى السنة.

ولا مع الاختلاف مثلاً في دلالة التقرير النبوي.

ولا مع الاختلاف في وجه صدور الأمر النبوي وهل هو باعتباره حاكماً أو باعتباره رسولاً.

ثامناً: اما منطق الاتهام والتشكيك فنحن منهيون عنه.

تاسعاً: ان حركة التقريب كما هو واضح لا تستهدف التذويب مطلقاً وهي تؤمن بأن المذاهب كلها ثروة لهذه الامة والحضارة كما تؤمن بأن فكرة المذهب الواحد خيال محض.

التفاهم حول اصول الفقه سبيل للتقريب(*)

المدخل

ربما كان من نافلة القول الحديث عن ضرورة الوحدة الاسلامية بعد ان كانت من الخصائص القرآنية للامة الاسلامية حتى لكأنها تفقد هويتها اذا فقدت وحدتها، وتغرق في الفتنة والفساد إذا تمزقت عرى الولاية بين افرادها. يقول تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير)(١).

وللوحدة الاسلامية سبلها ومحققاتها وبرامجها التي رسمها الاسلام بكل إحكام وشمول تنتهي بالتالي الى تحقيق هذا الامر الكبير.

ولعل من سبلها عملية التقريب بين الافكار والاتجاهات والمذاهب المختلفة، إذ بدون ذلك تزداد الهوة وتتسع الشقة حيث لتجد الامة بعد ذلك نفسها ممزقة متهاوية متنازعة، فقدت تمسكها واستواءها، وراحت في مهب الريح العاتية.

وليس التقريب عملية قسرية ولا مصطنعة ولا حركة سياسية يراد بها ستر جانب من الضعف والنقص لكي تتم عملية تمويه على الطرف الاخر بل هي عملية اصيلة تقتضيها مجموعة أمور واقعية، من أهمها:

أولاً: ان الخلاف الفكري والاستنباطي امر متوقع تماما، وخصوصا عندما يراد استنباط كامل للحياة من نصوص وتقريرات ونماذج عليا، الامر الذي يقع فيه اختلاف في الاستنتاج بشكل طبيعي ويشتد ذلك عندما تفصلنا عن عصر النص عصور وقرون ونبتلي بمضافات كثيرة (كضياع جملة من الاحاديث ولزوم تمحيص الاسانيد، وتغيير اساليب التعبير وقرائن التفهيم والملابسات التي تكتنف الكلام،

(*) ورقة مقدمة الى الندوة التي عقدتها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع جامعة الزيتونة في تونس بتاريخ ١٨ ـ ٢٠ شعبان ١٤١٩ هـ.

(١) الانفال/٧٣.

ودخول شيء كثير من الدس والافتراء في مجاميع الروايات الامر الذي يتطلب عناية بالغة في التمحيص والتدقيق. هذا اضافة الى ان تطور الحياة يفرض عدداً كثيراً من الوقائع والحوادث الجديدة لم يرد فيها نص خاص، فلابد من استنباط حكمها على ضوء القواعد العامة)[١].

ثانياً: ان فتح باب الاجتهاد أمر طبيعي وضروري لتحقيق المرونة التشريعية والمسايرة الاسلامية لتطورات الحياة، الامر الذي يؤدي الى اختلافات كثيرة في الاجتهاد، وهي اختلافات قبلها الاسلام بمقتضى واقعيته. اما النصوص الناهية عن مثل ذلك فلا تنصب على الاختلاف الفكري، وانما على النزاع العملي: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)[٢] واذا سرت الى الجانب الفكري فانما تركز على الجانب المعصوم منه والذي لا يتطرق اليه الخطأ، الامر الذي لا يبقي مجالاً للاختلاف والاجتهاد الفقهي، وهو ما عبر عنه بحبل الله، فالقرآن المصون حبل الله، والسنه الشريفة، بنصوصها المقطوعة سنداً ودلالة حبل الله، ولا مجال للنزاع في ذلك.

ثالثاً: ان الاختلاف الاجتهادي إنما سمح له انطلاقاً من واقع الفكر الانساني القاصر من جهة وتحقيقاً لعملية الاثراء العلمي من جهة أخرى وهذا يعني انه يجب ان يسير باتجاه مصلحة الامة وتراثها التشريعي والقانوني والتنظيمي، لا باتجاه تمزيقها واضاعة شخصيتها المتميزة ولا يتم ضمان السير الطبيعي الا اذا نفيت كل العناصر التحريفية للمسيرة والتي تعمل على تحويل وجهتها الطبيعية الى اتجاه تخريبي ممزق، يبدأ قليلاً وينتهي الى تمزق فضيع. وهذه العناصر كثيرة:

منها: الاهواء السياسية التي تسخر بعض الفقهاء، لصالح الحكام ليحققوا بعض الاهداف الضيقة.

---

(١) الفتاوى الواضحة، السيد محمد باقر الصدر ص٥.

(٢) الانفال/ ٤٦.

ومنها: ـ جهل طرف من الاطراف بمباني الطرف الآخر وحدود فتاواهم.

ومنها: عمليات الخروج عن مقتضيات الخلاف الفكري الى مساحات عملية لا علاقة لها، نتيجة عملية تجريد للامر عن ظروفه وتحويله الى عامل نزاع عقائدي، وغير ذلك.

وعليه:

فالتقريب عملية تفاهم وتقارب ونفي لكل العناصر التحريفية ووضع للمسيرة على الخط الطبيعي المثري لا غير.

اسباب الاختلاف

ومعرفة اسباب الاختلاف الفقهي امر مفيد جدا لتحقيق التقريب وضروري لبحثنا هذا فما هي هذه الاسباب؟

ورقة العمل التي قدمتها اللجنة المنظمة لندوة التقريب التي انعقدت في المغرب. أرجعت هذه الاسباب الى اسباب اربعة هي:

أ ـ الاختلاف في دلالة النص الثابت.

ب ـ الاختلاف في صحّة النص المتعلق بالحكم.

ج ـ تباين الاجتهاد في ترجيح الادلة عند تعارضها.

د ـ اختلاف الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص صريح[١].

وأوجزها ابن رشد في مقدمة كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) وحصرها في ستة أمور:

احدها: تردد الألفاظ بين هذه الطرق الاربع، أعني بين أن يكون اللفظ عاماً يراد

---

(١) ورقة عمل ندوة التقريب بين المذاهب الاسلامية والمقدمة الى ندوة التقريب في المغرب ـ الرباط، ٧ـ٩ ربيع الاول ١٤١٢ هـ ص١٥.

به الخاص، او خاصاً يراد به العام، او خاصاً يراد به الخاص، او يكون له دليل الخطاب، او لا يكون.

والثاني: الاشتراك الذي في الألفاظ وذلك إما في اللفظ المفرد كلفظ (القرء) الذي يطلق على الطهر وعلى الحيض، وكذلك لفظ (الامر) هل يحمل على الوجوب أو على الندب، ولفظ (النهي) هل يحمل على التحريم او الكراهة، وإما في اللفظ المركب مثل قوله تعالى (إلا الذين تابوا)[1] فانه يحتمل ان يعود على الفاسق فقط ويحتمل ان يعود على الفاسق والشاهد فتكون التوبة رافعة للفسق ومجيزة شهادة القاذف.

والثالث: اختلاف الاعراب.

والرابع: تردد اللفظ بين حمله على الحقيقة او حمله على نوع من انواع المجاز التي هي إما الحذف، وإما الزيادة، وإما التأخير، واما تردد على الحقيقة او الاستعارة.

والخامس: اطلاق اللفظ تارة وتقييده تارة اخرى، مثل اطلاق الرقبة في العتق تارة، وتقييدها بالايمان تارة.

والسادس: التعارض في الشيئين في جميع اصناف الالفاظ التي يتلقى منها الشرع الأحكام بعضها مع بعض، وكذلك التعارض الذي يأتي في الافعال او في الاقرارات او تعارض القياسات نفسها، او التعارض الذي يتركب من هذه الاصناف الثلاثة، أعني معارضة القول للفعل، او للاقرار او للقياس، ومعارضة الفعل للاقرار، او للقياس، ومعارضة الاقرار للقياس[2].

الا ان هذا التقسيم وقع موقع الاعتراض، اذ انه ركز على الاسباب التي تتصل بالاختلاف في تنقيح الصغريات لحجية الظهور او حجية القياس في حين ان

---

(١) النور/ ٥.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ص ٥ ـ ٦/ ج١.

الاختلاف في الكبريات نفسها باعتبارها المنشأ الاساس لهذا الاختلاف، مما لا يمكن تجاهله. ولذا اتجهوا للتركيز على منبعين رئيسيين هما:

١ ـ الخلاف في الاصول والمباني العامة المعتمدة في الاستنباط الاجتهادي، كالخلاف في حجية القياس او العقل او الاستصحاب.

٢ ـ الخلاف في تعيين مصاديق تلك الكبريات وموارد انطباقها.

(وفي هذا القسم تنتظم جميع تلكم المناشئ التي ذكرها ابن رشد ونظائرها مما لم يتعرض لها كمباحث المفاهيم، والمشتقات، ومعاني الحروف، وما يشخص صغريات حجية العقل، كباب الملازمات بما فيه من بحوث مقدمة الواجب، واجتماع الامر والنهي والاجزاء، واقتضاء الامر بالشيء النهي عن ضده، وغيرها من المباحث المهمة)[1].

وهذا التقسيم الاخير، بلا ريب، أوفى واكثر انطباقا على الواقع من التقسيمين السابقين وهذا يعني ان الاختلاف في اصول الفقه هو الاساس في جلّ الاختلافات في الفتاوى، الامر الذي يتطلب جهداً واسعاً ولقاءات علمية مستمرة لتحقيق تفهم أكبر للآراء والأدلة، والوصول الى مساحات مشتركة ـ وهي واسعة كما أتصور وذلك تقليلا للخلاف من جهة وتفهماً أكثر لوجهة النظر الفقهية المخالفة من جهة أخرى الامر الذي يمنع من انسحاب هذا الخلاف الطبيعي الى المجالات التحريفية التي المحنا اليها.

---

(١) اصول الفقه المقارن، ص١٩.

ثلاثة مواضيع لها أهميتها في هذا المجال

الموضوع الاول: ضرورة التحديد في منهج الاستدلال وملاحظة الترتيب المنطقي بين الادلة

وهو أمر ضروري جدا، والا لوقعنا في الخلط الكبير. ولا أعتقد اننا اذا ركّزنا على نوع الدليل ولاحظنا ظروفه الخاصة، سوف نختلف في الترتيب المطلوب، وبدون ذلك نشهد اضطرابا واسعا، فهذا يستدل بالاستصحاب اولاً ثم يلجأ الى النص، وذاك يذكر مقتضى اصل الاباحة ثم يلجأ للاجماع، وهكذا نقع في دوامة فقهية فضيعة. وسرّ هذا الوقوع عدم التصفية المنهجية ابتداءً، وهي شرط كل استدلال فقهي متين.

وفي هذا الصدد نجد مثلا الامام الغزالي يطرح الترتيب على النحو التالي:

يجب على المجتهد في كل مسألة ان يرد نظره الى النفي الاصلي قبل ورود الشرع، ثم يبحث عن الأدلة السمعية المغيّرة، فينظر أول شيء، في الاجماع فان وجد في المسألة اجماعاً ترك النظر في الكتاب والسنة، فانهما يقبلان النسخ والاجماع لا يقبله، فالاجماع، على خلاف ما في الكتاب والسنة، دليل قاطع على النسخ، إذ لا تجتمع الامة على الخطأ، ثم ينظر في الكتاب والسنة المتواترة، وهما رتبة واحدة، لان كل واحد يفيد العلم القاطع، ولا يتصور التعارض في القطعيات السمعية الا بأن يكون احدهما ناسخاً، فما وجد فيه نص عن كتاب او سنة متواترة أخذ به، وينظر بعد ذلك الى عمومات الكتاب وظواهره، ثم ينظر في مخصصات العموم من اخبار الآحاد ومن القياسات، فان عارض قياس عموماً أو خبر واحد عموماً فقد ذكرنا ما يجب تقديمه منها، فان لم يجد لفظاً نصاً ولا ظاهراً نظر الى قياس النصوص فان تعارض

قياسان او خبران او عمومان طلب الترجيح، فان تساويا عنده توقف على رأي وتخير على رأي أخر.(١)

فالترتيب لديه هو مقتضى القاعدة التي تنفي التشريع قبل وروده، ثم الادلة المخالفة لهذا المقتضى، وفيها ايضاً يرجع الى الاجماع اولاً والا فالى النصوص المتواترة، وبعدها الى العمومات الكتابية، ثم المخصصات والارجح الى القياسات وعند التعارض يطلب الترجيح، ومع التساوي فاما التخيير واما التوقف، والذي يظهر ان هناك نقاطاً مبهمة في هذا الترتيب.

منها: ان الاجماع ـ لو قلنا باستقلاليته في الادلة ـ يقف الى صف واحد مع الكتاب والسنة وباقي الادلة الاجتهادية فما معنى تخصيصه أولا بالرجوع؟

ومنها: أن العمومات الكتابية هي على مستوى واحد من عمومات السنة فما معنى تخصيص الاولى بالذكر؟

ومنها: ان القياس ـ لو قلنا به ـ فهو في رتبة واحدة مع النصوص، فلماذا التأخير؟

ومنها: انه ما الموقف عند فقدان الادلة الاجتهادية؟ أي ما هو الموقف العملي؟ وليس لدينا أصلا دليلان متعارضان حتى نتخير او نتوقف. ثم اين مسألة الاستصحاب والبراءة؟ وعلى أي حال فهناك ابهام واضح في البين.

ان هذا الامر يتطلب دراسة موسعة حول ملاكات تقديم أي دليل على آخر. وهذه الملاكات تعرضت لها بالتفصيل المدرسة الاصولية الامامية وان كان الاستيعاب قد تم في مرحلة متأخرة جداً.(٢)

---

(١)المستصفى، ج١ ص ٣٩٢.

(٢) فقد قال صاحب (اصول فقه) العلامة المظفر (رحمه الله) ج٣ ص١٩٠: ان مصطلحي (الحكومة والورود) هما من مبتكرات الشيخ الانصاري الكبير (رحمه الله) المتوفى سنة (١٢٨١ في حين ارجعها المرحوم الحلي الى طبقة أسبق منه، كما ذكر السيد الحكيم في (اصول الفقه المقارن) ص٨٧.

وقد ذكرت ان الملاكات هي:

التخصيص، والتخصص، والحكومة والورود. ونشير بالاجمال الى معانيها:

التخصيص: والمراد به اخراج من الحكم مع دخول المخرج موضوعا.

التخصص: والمراد به الخروج الموضوعي والوجداني.

وهذان معروفان.

الحكومة: والمراد بها ان يكون احد الدليلين ناظراً الى الدليل الآخر موسعاً او مضيقاً له، فمن القسم الاول ما ورد من ان الفقاع خمر استصغره الناس، ومن الثاني قوله (ص): (لا ضرر ولا ضرار) الذي يقوم بتضييق موضوع الادلة الاولية التي ما لا يشمل الاحكام الضررية.

الورود: والمراد به الدليل النافي للموضوع وجدانا، ولكن بواسطة تعبد شرعي، كتقديم دليل (حجية خبر الواحد) على دليل الاصل العملي الذي موضوعه الشك حيث يرتفع الشك وجداناً بمعونة التعبد. وعبر هذه الملاكات لا اظن اننا سنختلف بعد ذلك كثيرا، ذلك ان المجتهد يبحث ـ اول ما يبحث ـ عن واقع الحكم الشرعي، فاذا لم يجد شيئاً راح يبحث عما نزل بمنزلة الواقع فاذا لم يعثر على شيء فعليه البحث عن موقفه العملي كما تحدده الوظيفة الشرعية، والاّ لجأ للموقف العملي كما يحدده العقل، وعند تعقد الأمر يلجأ عادة للقرعة طبق تحديداتها.

وهذا الترتيب قائم على قوانين الحكومة والورود.

فالأدلّة التي تكشف بلسانها عن الواقع كالكتاب والسنّة والاجماع وغيرها، مقدمة بلا ريب على الادلة التي تكشف عن الواقع التنزيلي (أي ما هو بمنزلة الواقع) كالاستصحاب واصالة الصحة، وقاعدة التجاوز والفراغ في الصلاة وأمثالها. وذلك لان الاولى حاكمة على الثانية ومزيلة لموضوعها تعبداً في حين نجد ان ادلة الواقع التنزيلي مقدمة بدورها عل ادلة الوظيفة الشرعية العملية كأدلة البراءة، والتخيير،

والاحتياط، لان هذه الادلة اخذ في موضوعها فقدان الواقع بجميع مراتبه، حتى التنزيلي.

وأدلة الوظيفة العملية الشرعية مقدمة على ادلة الوظيفة العملية العقلية، وهذه الأخيرة مقدمة على ادلة القرعة لما ذكرناه.(١)

وما أظنه هو: ان الكثير من الاختلافات في مناهج الاستدلال راجع الى عدم التركيز على ملاكات التقديم هذه، والا فلا مجال للاختلاف الكثير.

ومن الضروري ان ننبه هنا على ان هذه الملاكات بنفسها تلعب دورها في تقديم أدلة الاحكام الثانوية كالاحكام الضررية والحرجية واحكام (نفي السبيل على المؤمنين) وأمثالها على أدلة الاحكام الأولية كالوضوء والصوم والحج وغيرها.

وكذلك في تقديم أدلة الاحكام الولائية التي يصدرها ولي الامر في منطقة المباحات بعناوينها الاولية على أدلة الاباحة هنا، باعتبار ان أدلة الولاية ناظرة الى الادلة الاولية ومقدمة عليها. وهو باب واسع من الضروري ان تتم دراسته والتأمل العميق فيه.

---

(١) راجع (اصول الفقه) للمظفر ج٣ ص١٩٢ ـ ١٩٥ و(اصول الفقه المقارن) ص ٨٥ ـ ٩٢. وباقي الكتب الاصولية من قبيل (دروس في علم اصول الفقه) للمرحوم الصدر، وغيرها.

الموضوع الثاني: ضرورة التركيز على محل الخلاف وتنقيحه

فان عدم التركيز قد يجر الى بحوث طويلة نحن في غنى عنها لو حررنا محل النزاع ونقحنا نقطة الخلاف بدقة.

وان المرء ليظفر بموارد كثيرة يتحول فيها النزاع ـ احياناً ـ الى خلاف لفظي لا أكثر وهذه أمثلة لذلك:

أ. الاجتهاد

يتحدث المرحوم الصدر في كتابه (دروس في علم الاصول) عن نزاع ممتد بين علماء الامامية انفسهم حول جواز (الاجتهاد) وعدمه وكل طرف يستند الى ادلته الا ان الحقيقة هي ان ما يعارضه هذا الطرف كان يختلف عما يؤمن به الطرف الآخر.

فالمعارضون له كانوا يتصورونه بمعنى ان الفقيه اذا اراد استنباط حكم شرعي ولم يجد فيه نصاً من الكتاب والسنة رجع الى اجتهاده واستحسانه بدلا عن النص وهذا الاتجاه لقي معارضة كبيرة من ائمة اهل البيت والعلماء التابعين لمدرستهم وبقي مرفوضا على مدى عصور الا ان هذا المصطلح تطور الى معنى آخر هو المعروف اليوم، وهو (بذل الجهد في استخراج الاحكام الشرعية) وهكذا تحول من مصدر للحكم الشرعي الى اسلوب لاستنباط الاحكام من مصادرها. ودخلت في هذه العملية كل طريقة يستخدمها الفقيه لتحديد الحكم الشرعي وحتى الموقف العملي تجاه الشريعة. وعاد الاجتهاد مرادفاً للاستنباط وهذا الاختلاف بين المعنيين عندما يتوضح لن يعود هناك مجال للنزاع[1].

---

(١) دروس في علم الاصول، الحلقة الاولى ص ٥٣ ـ ٦٤.

ب ـ القياس: وقد امتد النزاع حوله منذ ولادته كأصل في اذهان الفقهاء وحتى اليوم الا اننا نعتقد ان هناك خلطاً بين تعاريف القياس والعلة ادى الى كثير من النزاع الذي لا مسوغ له أحياناً.

فالتعريف الذي اختاره الآمدي هو: (الاستواء بين الفرع والأصل في العلة المستنبطة من حكم الأصل).[١]

وتعريف ابن الهمام له هو: (مساواة محل لآخر في علة حكم شرعي له لا تدرك بمجرد فهم اللغة)[٢] وهما من اسلم التعاريف.

وهناك تعريف آخر شاع قديماً وانتفى تقريبا، وهو: (التماس العلل الواقعية للاحكام الشرعية من طريق العقل) وعبر عنه صاحب (اصول الفقه المقارن) بأنه (كاد ان يهجر على السنتهم).[٣]

اما المعنى الاول فلا أتصور ان فقيها يرفضه فاذا فرضنا القطع بالاستواء، والقطع بالعلة المستنبطة، فأين الشك في النتيجة التي ننقل معها الحكم من الاصل الى الفرع؟

ثم هذه العلة ذكروا لها أوصافاً هي: ان تكون (وصفاً ظاهراً منضبطاً) جعله الشارع علامة على الحكم مع مناسبته له)[٤] ثم اضافوا لها شرطاً آخر هو: (ان لا يكون الوصف قاصراً على الاصل) وقد رأى الاستاذ عبد الوهاب خلاف انه لا ينبغي ان يكون موضعاً لخلاف[٥]. ثم فرقوا بينها وبين السبب، والحكمة والشرط.

واذا تمت كل هذه الامور في العلة فهل يبقى شك في دوران الحكم معها وجودا وعدما؟

---

(١) الاحكام، ج٣/ ص٤.

(٢) سلم الوصول ٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه ص٣٠٧.

(٤) اصول الفقه المقارن ص٢٠٨ نقلا عن (مباحث الحكم) ج١ ص١٣٦.

(٥) علم اصول الفقه ص٧٨.

نعم يقع الكلام في حصول القطع الوجداني، أي ثبوتها بدليل تعبدي، وهذا امر يتبع الموارد المختلفة.

وليس في النصوص الثابتة عند الامامية ما يرفض مثل هذا القياس بل لا يمكن رفضه لحجية القطع الذاتية التي لا تقبل الاثبات او النفي.

ج ـ الاستحسان: وهنا ايضاً نجد الاقوال المتضاربة والتعريفات المتكثرة بشكل غريب وقد نقل ان الامام الشافعي قال: (من استحسن فقد شرع).[١]

كما ذكر ان الامام مالك قال: (الاستحسان تسعة اعشار العلم).

وهذا أمر يدعو للتساؤل، فكيف يتم هذا البون الشاسع والثقافة الاصولية واحدة.

ولكننا عندما نعود الى التعاريف المختارة نجد بعضها في الواقع تشريعاً محرماً فيصدق عليها قول الامام الشافعي. وهو من قبيل ان يقال في الاستحسان انه (دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على التعبير عنه).[٢]

او أنه: (ذوق فقهي لا تدرك أبعاده).

او أنه: (ترك القياس والاخذ بما هو أوفق للناس) وما الى ذلك فانها تجعل الدين تابعا للاذواق والانقداحات النفسية والظنون التي لا يعلم مصدرها، وهذا ما يجب ان يتنزه عنه الفقهاء، في حين انه يعود عملية مهمة جدا عندما يعبر عنه بانه (العمل باقوى الدليلين)[٣] ـ كما قال الشاطبي من المالكية او (العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل شرعي خاص)[٤] ـ كما ذكر الطوفي من الحنابلة ـ في (مختصره)[٥] او

(١) (فلسفة التشريع الاسلامي) ص١٧٤ وانظر في (المستصفى) ج١ ص٢٧ طبعة المطبعة الاميرية.
(٢) (المدخل الى الفقه الاسلامي) ٢٥٧.
(٣) مصادر التشريع/ ص٥٨.
(٤) مصادر التشريع/ ص٥٨.
(٥) مصادر التشريع/ ص٥٨.

العدول عن موجب قياس الى قياس اقوى منه او هو تخصيص قياس بدليل اقوى منه ـ كما ذكره البزودي من الحنفية[١].

وهذا المعنى لا يمكن ان يعارضه فقيه فهو في الواقع يعني اتباع الدليل الاقوى عند التعارض والاهم عند التزاحم وهل في هذا اختلاف بل هل يمكن ان يستغني عنه فقيه؟ اليس هذا اذن تسعة أعشار العلم كما يقول الامام مالك.

ان الاستحسان بهذا المعنى لا يختلف فيه الفقهاء اماميين كانوا أو غيرهم، يقول السيد الحكيم: (ان كان المراد بالاستحسان هو خصوص الاخذ بأقوى الدليلين فهو حسن ولا مانع من الاخذ به)[٢].

والمصالح المرسلة أيضاً لا خلاف فيها ان كانت كما يعرفها الاستاذ معروف الدواليبي قائلاً: (والاستطلاع في حقيقته هو نوع من الحكم بالرأي المبني على المصالح، وذلك في كل مسألة لم يرد في الشريعة نص عليها، ولم يكن لها في الشريعة أمثال تقاس بها، وانما بني الحكم فيها على ما في الشريعة من قواعد عامة برهنت على ان كل مسألة خرجت عن المصلحة ليست من الشريعة بشيء وتلك القواعد هي مثل قوله تعالى: (ان الله يأمر بالعدل والاحسان)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا ضرر ولا ضرار).[٣]

فاذا قطعنا بان المورد مورد ضرري طبقنا عليه القاعدة الكبرى (لا ضرر ولا ضرار) وكذلك الامر في مورد العدل والاحسان وهل في هذا الموضوع شك من هذه الناحية؟

والغريب ان نشاهد الخلاف حول الاستصلاح واسعاً جداً. الا اننا نعتقد ان

---

(١) مصادر التشريع/ ص٥٨.

(٢) اصول الفقه المقارن/ ص٣٧٧.

(٣) (المدخل الى اصول الفقه) ص٢٨٤.

الخلاف لا ينصب على مورد واحد ليكون خلافا واقعيا والا فلا يبقى مجال للشك في الحجية اذا آمنّا كالغزالي بأنه اذا توافرت امور ثلاثة كشفت عن وجود الحكم وهي:

كون المصلحة ضرورية وكونها قطعية، وكونها كلية[1].

الا ان الكلام كله في كيفية تحصيل هذه الامور.

وينبغي ان نشير هنا الى ان هناك نوعا من الاحكام هو الاحكام الحكومية الولائية انما تقوم على أساس ادراك الحاكم للمصالح ولا يشترك فيها الادراك القطعي، ولكنها على أي حال تنحصر في دائرة صلاحيات الحاكم الشرعي وللحديث في هذا المجال تفصيل يذكر في محله. وسوف نعود ـ إن شاء الله ـ الى هذا الموضوع عند التحدث عن الاتجاه التقريبي عند السيد الحكيم.

(١) (المستصفى) ج١/ ص٢٩٦ المطبعة الأميرية.

الموضوع الثالث: ضرورة اخراج بعض ما ادعي كونه من الاصول من دائرتها

فهناك الكثير من الاصول التي ادعيت لكنها اما لعدم توفرها على الحجية، او لكونها تفقد مشخصات كونها اصولا برأسها، وانما تشكل تعبيراً عن اصول اخرى يجب حذفها من قائمة الاصول، وامثلتها كثيرة، ومنها ما اشرنا اليه من قبل عند الحديث عن الاستحسان بتعريفه المرفوض بل وحتى بتعريفه المقبول وهو: (تقديم أقوى الدليلين) لان ذلك يعني العمل بالدليل الاقوى كتاباً كان او سنة او اجماعاً او قياساً وهذا يخرج الاستحسان عن كونه دليلاً واصلاً برأسه.

وكذلك ما نشاهده في بحث المصلحة المرسلة. فان المصالح اذا استفيدت من النصوص كان العمل بالمصلحة عملاً بالنص فتلحق بالسنة.

واما اذا لوحظت على اساس ادراك المصالح بالعقل القطعي فانها ايضاً تدخل تحت اصل العقل ولا تشكل اصلاً برأسه وهذه النقطة نفسها نلمحها في موضوع العرف فان مجالاته تنحصر في أمور أربعة هي:

١ ـ ما يكتشف منه حجية اصل من اصول الفقه كالاستصحاب.

٢ ـ ما يكتشف منه حكم شرعي فيما لا نص فيه كعقد الاستصناع.

٣ ـ ما يرجع فيه لتشخيص بعض المفاهيم كلفظ الاناء، والصعيد، والقرء.

٤ ـ ما يرجع فيه لاستكشاف مرادات المتكلمين كالدلالات الالتزامية.

ومن الواضح مع هذا انه لا يشكل اصلاً برأسه بل يرجع الى أحد الاصول الاخرى[١].

---

(١) راجع (اصول الفقه المقارن) في الصفحات ٣٦٣، ٤٠٣، ٤٢٣.

وبعد:

فهذه أمور ثلاثة وجدنا ان من الضروري ان تدرس حتى يتم من خلال ذلك تقارب حقيقي بين الآراء وتفاهم أكبر على موارد النزاع.

التقريب بين مراتب الأدلة في الاجتهاد

في البحث السابق (التفاهم حول اصول الفقه سبيل للتقريب) تحدثت فيه عن اسباب الاختلاف الفقهي، وانتهيت فيه الى ان التقسيم المعتمد للاختلاف هو الذي يركز على المنبعين التاليين:

الاول: الخلاف في الاصول والمباني العامة المعتمدة في الاستنباط الاجتهادي كالخلاف في حجية القياس او العقل او الاستصحاب.

الثاني: الخلاف في تعيين مصاديق تلك الكبريات وموارد انطباقها.

كما اشرت فيه الى ثلاثة مواضيع لها أهميتها في مجال تقليل الاختلاف هي:

أ ـ ضرورة التحديد في منهج الاستدلال وملاحظة الترتيب المنطقي بين الأدلة.

ب ـ ضرورة تحرير محل النزاع وتنقيح مركز الخلاف.

ج ـ ضرورة اخراج بعض ما ادّعي كونه من الأصول.

وهنا أود توضيح الموضوع الاول باعتبار ان تحقيقه وتوضيحه يترك أثره الكبير على تقريب شقّة الخلاف الفقهي وهو بدوره يؤثر في التقريب بين المذاهب الاسلامية.

والاختلاف في ترتيب الأدلة قد يترك أثره في النتائج الى الحد الذي يمكن ضمّه كمنبع ثالث الى المنبعين السابقين مما يتطلب تحرير البحث فيه على حدة، وبغضّ النظر عن الخلاف في الأصل نفسه. فالاختلاف في ترتيب الأدلة قد يقع بين الذين يؤمنون بأصول مشتركة ويختلفون في ترتيبها.

وعلى هذا فمصب بحثنا هنا هو (الترتيب المنطقي بين الأدلـة) وضـرورته لتـأمين عملية استدلال صحيحة مما لا يحتاج الى بحث.

مبادئ لابد من الاتفاق عليها أولاً

ولكي يتم الاتفاق على الترتيب المنطقي لابد من الاتفاق على بعض المبـادئ لمـا لذلك من أثر في نوعية الترتيب المذكور، ومن أهمها ما يلي:

١ ـ الأدلة ونظرها الى الواقع.

٢ ـ الأحكام الأولية والثانوية.

٣ ـ العناصر الموجبة لتقديم بعض الأدلة على البعض الآخر.

ولسنا بصدد الدخول في البحث المفصل حول هذه الامور بقـدر مـا نحـن بـصدد توضيحها لنبني عليها الترتيب الاستدلالي المنطقي المطلوب.

١. الادلة ونظرها الى الواقع

لا ريب في ان للشريعة واقعا قائما بذاته، وبغض النظـر عـن علمنـا بـه وذلـك واضح بملاحظة انها تعبر عن تخطيط الهي كامل لتربية الانـسانية وهـدايتها لتحقيـق هدف خلقتها.

وعندما نحاول اكتشاف هذا الواقع فاننا نلجأ الى (الأدلة الاجتهاديـة) الـتي تـشير الى الواقع.

وهذه الأدلة منها مـا يوجـب القطـع والعلـم بـالواقع. والقطـع حجيتـه ذاتيـة لا تكتسب ولا تسلب. ومنها ما يوجب الظن بالواقع ويسمى اصطلاحا بـ(الامـارة) اذا قام على اعتبارها دليل قطعي يؤكد على ان الظن الذي تنتجه هو ظن يعتبره الشارع ويعدّه كاشفا عن الواقع، رغم كون هذا الكشف غير تام في نفسه الا انه يتمم كشفه تعبدا.

فالامارة اذن تعلن انها تؤدي الى الواقع الشرعي من قبيل النصوص التي يظهر منها حكم شرعي، وهناك أدلة لا تعلن ان مؤدّاها هو الواقع، ولكن تؤكد على المكلف ان ينزل مؤدّاها منزلة الواقع، كالاستصحاب الذي يقول ببقاء اليقين في حالة الشك وذلك من حيث الجري العملي[١].

وهناك أدلة أخرى لا تنظر الى الواقع بكل مراتبه وتسمى بـ(الاصول العملية) من قبيل أصل البراءة وأصل الاحتياط وأصل التخيير ولن ندخل في تفاصيل هذا الموضوع وانما نكتفي بهذه الاشارة.

٢. الأحكام الاولية والثانوية

وللأحكام تقسيمات متعددة، الا اننا نشير هنا الى تقسيم يرتبط بموضوعنا هذا، وهو تقسيمها الى الاحكام الأولية والثانوية.

فالحكم الاولي هو الحكم المجعول للشيء أولاً وبالذات، بغض النظر عن العوارض التي تعرض عليه، وهي أكثر الاحكام الواقعية التكليفية كحرمة شرب الخمر، او الوضعية كبطلان العقد الربوي. اما الحكم الثانوي، فهو ما يجعل للشيء من أحكام بعد طرو عنوان خاص يقتضي تغيير حكمه الاولي كطروّ الضرر على الصوم، مما يحوّل حكمه من الوجوب الى الحرمة مثلاً.

وهي حالة تعبر عن مرونة عامة في الشريعة الاسلامية. وهناك اصطلاح آخر للحكم هو الحكم الولائي، ويقصدون به الأحكام التي يصدرها وليّ الأمر في مجال ملء منطقة الفراغ او المنطقة المباحة في التشريعات مما يغيرها الى أحكام إلزامية، ولا ريب في أن وجوب إطاعة احكام ولي الأمر هو من الاحكام الاولية، ولكن متعلقات هذه الاوامر تكتسب أحكاماً ثانوية تقوم على أساس المصالح التي يراها ولي الأمر في

---

(١) مصباح الاصول، ص٦.

عملية ادارته للمجتمع. وهنا أيضاً لا نريد الدخول في مجالات نفوذ أوامر الولي، فلها مجالها الواسع من البحث.

٣. أهم عنصر في تقديم الأدلة على غيرها

ويمكن القول بأن أهم عنصر يوجب تقديم دليل على آخر هو عنصر (القرينية)، فاذا شكل دليل ما قرينة على المراد من دليل آخر فانه يتقدم عليه باعتباره يكشف عن المراد الجدي من هذا الدليل الآخر.

وهذه القرينة كما يمكنها ان تغير المراد من لفظ واحد اذا اقترن بقرينة صارفة، ـ كما في (الاسد الضاحك) ـ يمكنها ان تصرف المراد في احد الدليلين الى ما يؤدي اليه الدليل الآخر لو شكلّ هذا قرينة له.

وقد نتصور للقرينة موارد منها:

أ ـ حالة التخصيص، حيث يتم الاخراج من الحكم مع بقاء المورد موضوعاً.

ب ـ حالة التخصص، حيث يتم الخروج الموضوعي الوجداني.

ج ـ الحكومة، حيث ينظر احد الدليلين الى الآخر موسعا تعبداً. كما في (ان الفقاع خمر) او مضيقا كما في (لا ربا بين الولد ووالده).

د ـ الورود، حيث يأتي دليل شرعي ينفي الموضوع وجدانا، ولكن بواسطة تعبد شرعي، كما في نسبة دليل حجية خبر الواحد الى دليل الاصل العملي الذي موضوعه هو الشك، فان الشك يرتفع بمعونة التعبد الوارد من دليل حجية الخبر.

الترتيب المنطقي

اذا عرفنا الأمور السابقة أمكننا ان نوضح الترتيب المنطقي على النحو التالي:

أولاً ـ مرحلة البحث عن الحكم الشرعي الواقعي عبر الأدلة الاجتهادية كالكتاب والسنة والاجماع.

ثانياً ـ مرحلة البحث عن الحكم الشرعي المنزّل منزلة الواقع، في مثل دليل الاستصحاب واصالة الصحة وقاعدة التجاوز.

ثالثاً ـ مرحلة البحث عن الموقف العملي والوظيفة الشرعية عند غياب الواقع بكل مراتبه، كأدلة البراءة الشرعية، والاحتياط الشرعي.

رابعاً ـ مرحلة البحث عن الموقف العملي كما يحدده العقل، كأدلّة البراءة العقلية ـ لو قلنا بها ـ او التخيير او الاحتياط. وهذا الترتيب انما يقوم على قوانين الحكومة والورود.

فعندما يوجد دليل يكشف عن الواقع بنفسه فليس هناك مجال للرجوع الى دليل الاستصحاب مثلاً، وهو إنما ينزل مؤداه بمنزلة الواقع الذي يفترض انه غائب وليس بغائب هنا.

ومن الملاحظ ايضاً ان هذه المناطات في التقديم هي التي تقدم أدلة الاحكام الثانوية من قبيل (لا ضرر) و(لا حرج) على أدلة الاحكام الاولية، كالوضوء والصلاة والحج، كما تقدم أدلة الاحكام الولائية على أدلة الاباحة باعتبارها ناظرة اليها وقرينة عليها.

وعلى هذا نستطيع ان نكتشف عدم الدقة في كثير من المناهج التي طرحت لعملية الاستدلال والتي بدأت مباشرة ببعض الاصول العملية الشرعية، بل وربما بدأت مطلقا بالاصول العقلية من قبيل بعض من استدلوا لاعتبار شرط الاعلمية في من يجوز تقليده بقاعدة (انه متى ما دار الأمر بين التعيين والتخيير فالمدار على التعيين)، ولما كان الامر هنا يدور بين تعيين الاعلم والتخيير بينه وبين العالم فالمتعيّن هو لزوم تقليد الأعلم لحصول اليقين فيه بالخروج عن عهدة التكاليف.

ولسنا هنا بصدد شرح هذه القاعدة أو نقدها بقدر ما نريد الاشارة الى ان المسلك الطبيعي في مثل هذا المورد هو مناقشة الأدلة الاجتهادية التي تطرح، من قبيل ادّعاء

جريان السيرة القطعية لدى المسلمين جميعاً على عدم التقيد بالرجوع الى الأعلم عند الاستفتاء، رغم وجود علم إجمالي بالتخالف بين الصحابة والعلماء في نوعية الاستنباط.

وقد لاحظت أثناء مناقشات مجمع الفقه الاسلامي الدولي ان سير الاستدلال هناك في كثير من موارده يعتمد إمّا على الاستناد الى أقوال الأئمة او حتى الى المجتهدين في إطار المذاهب، او الاستناد الى أدلة مختلفة المراتب في الاستدلال، كالاستناد الى بعض الأصول المحرزة للواقع قبل تحقيق الامر في الادلة الاجتهادية. وهذا الامر طالما اعترضت عليه في جلسات المجمع المتتابعة. حيث أكّدت على ان العملية الاجتهادية الحرة، يجب ان تسلك السير الطبيعي. على أن أقوال الأئمة والعلماء إنما يستأنس بها للاطمئنان الى النتائج المستنبطة لا أكثر، اللهم إلا إذا شكلت إجماعا فان المجال سيختلف.

ثم ان هناك بعض النصوص التي جاءت في كتب العلماء متحدّثة عن سبل الاستدلال ربما أمكن مناقشتها في ضوء البحث السابق، ومنها النص الوارد عن حجة الاسلام الغزالي في كتابه (المستصفى من علم الاصول) حيث يقول في الفن الثالث من القطب الرابع وهو يتحدث عن بيان ترتيب الأدلة ويجب على المجتهد في كل مسألة ان يرد نظره الى النص الأصلي قبل ورود الشرع، ثم يبحث عن الادلة السمعية المغيرة، فينظر أول شيء في الاجماع فان وجد في المسألة إجماعاً ترك النظر في الكتاب والسنة فانها يقبلان النسخ والاجماع لا يقبله، فالاجماع على خلاف ما في الكتاب والسنة دليل قاطع على النسخ إذ لا تجتمع الأمة على الخطأ، ثم ينظر في الكتاب والسنة المتواترة وهما على رتبة واحدة لان كل واحد يفيد العلم القاطع. ولا يتصور التعارض في القطعيات السمعية إلا بأن يكون أحدهما ناسخا، فما وجد فيه نصا من كتاب أو سنّة متواترة أخذ به. وينظر بعد ذلك الى عمومات الكتاب

وظواهره، ثم ينظر في مخصّصات العموم من أخبار الآحاد ومن القياسات فان عارض قياس عموما، او خبر واحد عموما فقد ذكرنا ما يجب تقديمه منها، فان لم يجد لفظاً نصاً ولا ظاهراً نظر الى قياس النصوص، فان تعارض قياسان أو خبران أو عمومان طلب الترجيح، فان تساويا عنده توقف على رأي وتخير على رأي آخر) [1].

فالترتيب لديه يتم على النحو التالي:

١ ـ مقتضى قاعدة نفي التشريع قبل ورود الشرع.

٢ ـ الأدلة المخالفة لهذا الاصل في هذا المورد بخصوصه.

وهنا يرجع أولاً الى الاجماع، فإن وجد كفى الأمر، والاّ تمّ الرجوع ثانياً الى النصوص المتواترة لفظاً وسنداً كالكتاب في نصوصه، والسنة المتواترة في نصوصها التي لا تقبل الخلاف. ثم يرجع ثالثاً الى الظواهر والعمومات، وما يطرأ عليها من مخصصات خبرية أو قياسية، وبعد ذلك يرجع للأقيسة فأن تعارضت رجح الأقوى وإلا فالتوقف أو التخيير.

ولسنا بصدد المناقشة المستفيضة لهذا النص وهذا المنهج، ولكنّا نشير الى النقاط التالية:

١ ـ الظاهر انه يقصد من النفي الأصلي استصحاب عدم الجعل قبل مجيء الاسلام، أو استصحاب عدم الحكم المجعول في حق المكلف حال الصغر، وهذا المعنى نوقش أصوليا، باعتبار ان المراد هل هو استصحاب عدم ثبوت التشريع بحقّ هذا الفرد أو ذاك، فهذا لا يتحقق لعدم وجود حالة سابقة او حالة لاحقة بالنسبة لهما، أم هو استصحاب عدم الجعل الكلي، والذي يلازمه عقلا عدم وجود حكم لنا في هذا العصر، فهو استصحاب مثبت لا قيمة له ولا يثبت لوازمه، كما انه قد يشكل على مسألة استصحاب عدم الحكم المجعول حال الصغر الى ما بعد البلوغ، بأن المورد من

---

(١) المستصفى من علم الأصول، ج٢، ص ٣٩٧ ـ ص٣٩٣.

موارد تبدل الموضوع. ثم ان استصحاب عدم الجعل هذا لا يجري لوجود علم اجمالي بالجعل في كثير من الموارد المشكوكة، ولا يجري الاستصحاب مع وجود علم إجماليّ في اطرافه.

٢ ـ ان اللجوء أولاً الى البراءة يعني اللجوء الى الرتبة المتأخرة، ولا يجأ إليه الاّ عند فقدان الدليل الاجتهادي الناظر الى الواقع أو الدليل المنزل لمؤداه منزلة الواقع.

٣ ـ لا ندري كيف يمكن تصور إجماع على خلاف الكتاب والسنة؟ ومدى حصوله وكيفيته، فاذا لم يمكن تصور حصوله، لم يكن هناك مجال لتصور النسخ من خلاله للكتاب والسنة، على اننا لا نتصور للاجماع حجية في ذاته، ولكن بمقدار ما يكشف عنه من حكم شرعي.

ولا ندري كيف يمكن ان يعتمد الفقيه على ما بدا له من اجماع دون الرجوع الى الكتاب والسنة؟

ثم إن الاجماع نفسه ـ لو اعتبرناه دليلا قائما بذاته ـ يقف الى صف الكتاب والسنة في الكشف عن الواقع، فكيف يمكن ان نعدّه مقدما عليهما بحجة انه لا يقبل النسخ وهما يقبلانه؟

٤ ـ ولم يشر عند ذكر عمومات الكتاب وظواهره الى عمومات السنة وظواهرها، فان حالها في التخصيص والتقييد كحالها في الكتاب.

٥ ـ وعندما يتساوى الدليلان لديه فيستحكم التعارض، فان مقتضى القاعدة هو التساقط، ولا مجال للتوقف أو التخيير.

٦ ـ ولم يتضح لدينا معنى التوقف الا ان يريد به الاحتياط، وهو خلاف المصطلح.

٧ ـ ثمّ انه بعد فقدان الدليل الاجتهادي، يجب التوجه الى الأصول الاحرازية للواقع ـ كالاستصحاب ـ لا العبور مباشرة الى الأصول العملية الأخرى.

٨ ـ على ان هذه الأصول الأخرى، منها ما هو شرعي فيتقدم وما هو عقلي فيتأخر رتبة.

وهكذا نجد ان هناك الكثير من التساؤلات التي قد تبقى بلا جواب في هذا المنهج.

رأي الإمام الجويني في ترتيب أصول الفقه

ولا يفوتني هنا ان أشير الى ان علم أصول الفقه يقوم على أسس منطقية متينة، تنطلق أساسا من التصور الدقيق عن واقع الشريعة، وعن السبل الكاشفة عنه وليس علماً سمعياً مأخوذاً من سيرة الصحابة او الأئمة رغم عظمة مكانتهم، وهو الرأي الذي ذكره امام الحرمين الجويني، اذ يقول عن اصول الفقه إنه نظم ما جاء من سير الصحابة الأكرمين، وضمّ ما بلغنا من عبرهم، ولو كانوا عكسوا الترتيب لأتبعناهم، ويضيف: (نعم، ما كان يعتني الكثير منهم بجمع ما بلغ الكافّة من أخبار رسول الله (ص). بل كانت الواقعة تقع فيبحث عن كتاب الله، وكان معظم الصحابة لا يستقل بحفظ القرآن ثم كانوا يبحثون عن الأخبار فان لم يجدوها اعتبروا ونظروا وقاسوا)[1].

وهناك مواقع للنظر في هذا النص منها:

أولاً ـ ما قلناه قبل قليل، من ان علم أصول الفقه قائم على أسس موضوعية، وليس تدوينا لاسلوب معين من الاستنباط قام به المجتهدون الاوائل، ومن الغريب انه نفسه كان يرجح مذهب الامام الشافعي على رأي بعض الصحابة باعتبار دقة المنهج فيه.

ثانياً ـ لم يثبت ان الصحابة ما كانوا يتحرون الآيات كلها والأخبار كلها قدر الامكان.

ثالثاً ـ نستطيع ان نقرر ان الاجتهاد آنذاك لم يكن بالمستوى من التعقيد كما نراه

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم، الأمام الجويني، البند ٥٧٨، ص٤٠٦.

اليوم، نتيجة لقرب العهد، ووضوح القرآن، وكثرة الشهود، ووضوح المقصود، وحضور القرائن، ونقاء النصوص النبوية، وسلامتها من التحريف أو الوضع. الامر الذي كان يسهل الاستنباط. وهذا لا يعني ان نعتمد نحن نفس الاسلوب على ما فيه من سهولة بعد تغيّر الأحوال، وهذا ما لا يحتاج الى استدلال.

رابعاً ـ الاعتبار والنظر والتأمل والدقّة في الاستنباط من القرآن والسنة شيء والقياس المشار اليه في آخر العبارة شيء آخر، اذا لاحظنا انه مصطلح متأخّر له شروطه وقوانينه، ولذا لا يمكننا ان نسند لهم بكل وضوح قيامهم بالعملية القياسية، وغالبا ما نسب اليهم بل واحياناً الى الرسول الكريم(ص) وهو (ما ينطق عن الهوى) إنما هو في الواقع، تنقيح لصغريات وتطبيق لكبريات وعمومات على مواردها، وهذه أمور ينبغي توضيحها في محلها.

خامساً ـ لا ريب في انهم (رض)، كانوا يعملون بالاستصحاب والبراءة والاحتياط، كل في موارده بعد ورود النصوص الشريفة في ذلك، إلا ان النص قد تجاوز كل ذلك.

وفي ختام هذا البحث، لابد لي من التنبيه على أمور لها دخلها في عملية الاستنباط الصحيح وفق المنهج القويم، وربما كانت الاشارة من باب الاستطراد.

الامر الأول:

إن من المسلم به ان هذا البون التاريخي الشاسع بيننا وبين عصر النص الشريف حمل معه مضاعفات عديدة ـ كما يقول المرحوم الشهيد الصدر ـ (كضياع جملة من الاحاديث ولزوم تمحيص الأسانيد، وتغيير كثير من اساليب التعبير وقرائن التفهيم والملابسات التي تكتنف الكلام، ودخول شيء من الدس والافتراء في مجاميع الروايات، الأمر الذي يتطلب عناية بالغة في التمحيص والتدقيق، هذا إضافة الى ان تطور الحياة يفرض عدداً كثيراً من الوقائع والحوادث الجديدة لم يرد فيها نص خاص

فلابد من استنباط حكمها في ضوء القواعد العامة ومجموعة ما أعطي من اصول وتشريعات) [١]. ثم (ان الحقيقة الاسلامية أعطيت منثورة في المجموع الكلي للكتاب والسنة، وبصورة تفرض الحاجة الى جهد علمي في دراستها) [٢].

وإذا كان الامر كذلك، فمن الطبيعي ان لا يترك هذا الامر لكل وارد، وإنما يجب ان يقوم به المتخصصون، المحققون الذين يملكون ملكة الاجتهاد ويقدرون على استنباط الحكم وتنقيح المواضيع بدقة.

فاذا اضفنا الى الحقائق السابقة، حقيقة أخرى يتطلبها توحيد الموقف وتحديد المسار العام، خصوصا اذا تعلق الامر بالقضايا الحساسة والمصيرية والمشاكل الاجتماعية المستعصية، والمسائل المستحدثة التي لها مساقط واسعة، وجدنا ان من الضروري ان تشكل المجامع العلمية المشهود لها بالقدرة والنزاهة والموضوعية، ليتم فيها تبادل الرأي في الحكم الشرعي، وفق المنهج السليم المحدد والضوابط الاجتماعية الدقيقة، كما يتم فيها تحديد الموضوعات وملاحظة ملابساتها. وتحديد الموضوع له الدور الكبير في معرفة نوع الحكم بلا ريب، ولا يتم ذلك في كثير من الموارد إلاّ بحضور الاختصاصيين في الطب والفلك والبيئة وأمثال ذلك وتبعا لنوع الموضوع المبحوث عنه.

والحقيقة هي ان الادلة التي قررت مشروعية الاجتهاد والتقليد، لا تقرر هذه المشروعية للآراء المجمعية فحسب، بل تكاد تفرض ضرورتها أحيانا. هذا وقد تمت بعض الخطوات على هذا السبيل من قبيل تشكيل مجمع الفقه الاسلامي بجدة ومجمع فقه اهل البيت (ع) في الجمهورية الاسلامية الايرانية، من قبل قائد الثورة الاسلامية آية الله الخامنئي (دام ظله) وكذلك مجمع البحوث الاسلامية في القاهرة،

---

(١) الفتاوى الواضحة، الامام الشهيد الصدر، ص ٤ ـ ٥.

(٢) المصدر السابق.

وهي خطوات قيّمة ولكنها تحتاج الى تطوير مستمر.

الامر الثاني:

قلنا إنه لا ريب في توقف عملية الاستنباط وإصدار الحكم على تنقيح الموضوعات وتحديدها فالحكم يتغير بتغير الموضوع وربما ينقلب الى نقيضه في الحلية او الحرمة. ولا يمس هذا مسألة اثبات الاحكام فحلال محمد (ص) حلال الى يوم القيامة، وحرامه حرام الى يوم القيامة.

والتغير تارةً يكون في الموضوعات من داخلها كتغير اللحم النجس الى تراب ورماد مما يغير حكمه الى الطهارة، وأخرى يكون التغيّر من الخارج أي بتغير عنصري الزمان والمكان، فهل يمكن تصور هذا التغيير بحيث يترك أثره على تغيّر الحكم؟

الملاحظ ان هناك اتجاهين خطيرين متطرفين ازاء هذا الموضوع، فالاتجاه الاول يرفض أي دخل لهذا العنصر في الموضوعات ويجمد عليها، بل وينكر التغيير في الزمان نفسه فيفترض بقاء الظروف الزمانية على ما هي عليه، والشروط الاجتماعية على ما هي عليه من بساطة رغم كل هذا التعقيد الاجتماعي الملحوظ.

وهناك اتجاه آخر ينفتح الى حد الميوعة فيفترض لهذا العامل دخلا دائماً مما يؤدّي في نهاية الامر الى فناء الشريعة وتبدل الاحكام وفق الاهواء، وهو اتجاه خطير بدوره. وما نراه من موقف صحيح، هو الرجوع الى دليل الحكم ولسانه لمعرفة التحديد الذي يقرره للموضوع، فان كان يطلق الامر دونما تحديد فليس لنا الخروج عن الدائرة التي يرسمها، وإن كان يسمح حسب الفهم العرفي بمستوى معين من التدخل للزمان، سرنا معه ولاحظنا هذه المرونة فلا نحمّل النص ما لا يتحمل من امتداد ولا نقعد عن ارتياد الآفاق التي يفتحها بحجة الاحتياط.

هذا هو المنهج الذي نراه منسجما مع الحقيقة الشرعية المقررة ونرى العدول عنه خطيراً جداً.

إن موضوع تحريم الربا وتحريم الخمر، والسماح بالزواج وإقامة المجتمع على أساس عائلي، من المواضيع التي لا تتدخل فيها التغيّرات الزمنية كما يبدو ذلك من أدلّتها. في حين لا نجد في مواضيع من قبيل الشورى وتنظيم النسل، والمباحات العامة ومناطق الفراغ المتروكة للحاكم الشرعي، لا نجد فيها تحديدات تمنع من تدخل عنصري الزمان والمكان في صياغة نوع الحكم فيها.

أقول هذا، وارفض مطلقاً أن ننسى وظيفة المجتهد في الوصول الى الحجّة الشرعية عن طريق القطع إمّا بالحكم أو بحجية الوسيلة الموصلة اليه.

الامر الثالث:

قلنا إن هناك أحكاماً أوّلية ذكرتها الشريعة للأشياء في حدّ ذاتها وبغض النظر عن عوارضها. كما ان هناك أحكاما ثانوية، تنتجها الظروف القاهرة كالاضطرار والاكراه والضرر والحرج. فهي أمور تطرأ على الاشياء فتبدّل من أحكامها، ثمّ إنّ هناك أحكاماً ولائيّة يصدرها وليّ الامر وفق ما يراه من مصلحة لتسيير دفة الحكم ويغير بها أحكام الكثير من المباحات الاولية، فهي بالتالي أحكام طارئة، وإن كانت إطاعة ولي الأمر الشرعي نفسها من الأحكام الاولية.

ولسنا هنا بصدد بيان المساحات التي تنفذ فيها أوامر ولي الامر، بقدر ما نحن بصدد بيان هذه الحقيقة، وهي ان الاصل في الحياة الطبيعية إنما هو الأحكام الأولية، وكلما قربت الحياة اليها قربت الى الصورة الاسلامية طبعا، مع ملاحظة ان الشريعة نفسها فسحت المجال لوليّ الأمر بالتدخّل وأعطته الضوابط العامة والأضواء الكاشفة التي تساعده على ممارسة هذه العملية. ولكن يبقى الحكم الأولي هو الأصل، تعود اليه الحياة متى سمحت الظروف وارتفعت الطوارئ.

ولا ننسى ان نشير الى ان هناك مباحات أكد الشارع الكريم إباحتها ـ ولو بالمعنى العام الشامل للمكروه والمستحب ـ وحينئذ فمن الصعب جداً حتى لولي الأمر ان

يحد منها، اللهم إلا في الظروف القاهرة جداً فاباحة الزواج تختلف في لسان الشارع عن إباحة المشي وأمثاله، وهذه أمور ينبغي التركيز عليها والتدقيق فيها والاحتياط في مجالها للدين.

السيد محسن الأمين علم التقريب(*)

يتصور البعض إن هناك عقبات كثيرة عقائدية وتاريخية ومذهبية وحتى من خلال السنن الشعبية أمام وحدة الأمة وتقارب المسلمين بالشكل الذي يدخل القضية في متاهات الاستحالة واليأس ولكننا نعتقد كما أكد العلامة الكبير الأمين انهم واهمون كل الوهم: سواء على الصعيد النظري او على المستوى العملي.

وها هي بشائر التقريب تحل محل التفريق وها هو الأمل يتحقق شيئاً فشيئاً. وها هي جهود القادة من أمثال المرحوم العلامة الأمين تنتج افواجاً من الدعاة لا الى التقارب بين المذاهب الإسلامية فحسب، بل وحتى الحوار البناء بين المسلمين وأبناء الأديان الأخرى للوصول الى المساحات المشتركة ولقد كان (رحمه الله) يتعاطف معهم وربما بكى لحالهم(١).

ولن ننسى بهذه المناسبة موقفه حينما عارض قانون الطوائف الفرنسي وقال مخاطباً المفوضية الفرنسية: (فأنا بصفتي الرئيس الروحي للطائفة الإسلامية الشيعية في سوريا ولبنان أرجو فخامتكم ان تحيطوا علماً باستنكار الشيعيين عامة لهذا القرار وهذه التفرقة بين المسلمين).(٢)

إننا نشهد اليوم تراجعاً كبيراً لهؤلاء اليائسين وانفتاحاً كبيراً من قبل علماء الأمة ومفكريها بل وجماهيرها على التقريب وربما كان لدعوات الحوار العالمي بين الحضارات ـ وبالأولى بين المسلمين ـ وللهجمة الشرسة لأعداء الأمة تحت عناوين

(*) ورقة قدمت الى الندوة التي عقدت بمناسبة مرور نصف قرن على وفاته في دمشق بتاريخ: ٢٣ ـ ٢٥ شوال ١٤٢٣ هـ .

(١) من حديث العلامة السيد محمد علي الأمين بمناسبة رثاء المرحوم السيد حسن الأمين.

(٢) أعيان الشيعة، م ١٠ ص ٣٧٠.

الارهاب والعولمة وحقوق الانسان وغيرها الأثر المهم في هذا المجال.

وقبل كل شيء يجب أن نوضح إن الدعوة للتقريب والوحدة لا تعني مطلقاً العمل على تذويب المذاهب كيف وكلها تراث اجتهادي رائع يمثل ثراء للفكر الإسلامي، واعمالاً للعقل المسلم عبر القرون لعنصر الاجتهاد في نصوص الشريعة الغراء، وبالتالي يشكل مساحة واسعة تستفيد منها الأمة لحل مشاكلها الحضارية باستمرار.

إن التقريب في رأينا يعني:

١ـ التمسك بالمبادئ والأصول الإسلامية المسلّم بها، والتعاون في المساحات المشتركة بين المذاهب.

٢ـ السعي الحثيث لكشف هذه الميادين المتفق عليها، وتوسيعها.

٣ـ رجوع كل فرد الى مذهبه الخاص في الأمور التي تختلف فيها المذاهب ـ وما أقلها ـ ويعذر الواحد منّا الآخر فيما نختلف فيه من اجتهادات.

٤ـ تنمية الآداب والأخلاق التقريبية من قبيل: التآلف وحسن الظن والرقي بمستوى التفاهم والاحساس بالأخوة والتكافل.

وهنا يقول المرحوم العلاّمة الأمين وهو يشرح هدفه من دعوته التقريبية (ليس مقصودنا من هذه المقالة أن نجعل أهل السنة شيعةً او العكس، أو أن يتبرأ كل من الطرفين من آرائه ومعتقداته). ويضيف (قد يساء فهم المقصود من فكرة التقارب، فيقال: إنها تدعو الى ترك البحث حول احقية هذا المذهب او ذاك، وذلك لأننا لا نستطيع أن نحافظ على الأخوة إلا بترك هذا النمط من البحوث، الا أن هذا غفلة عن ان هذه الدعوة لا تقبل مادام كل طرف ملتزماً بمذهبه، ويراه هو الحق ولا يمكن أن يتخلى عن اعتقاده من دون دليل او برهان. إن الذي يجب أن يدعى اليه الطرفان: التعاون، وتحري الأدلة العلمية، والتمسك بالآداب الإسلامية، وتجنب التصرفات غير

اللائقة الباعثة على التنفر).[1]

هكذا إذن لا يعني التقريب اغلاق باب البحث (الكلامي) ولا باب البحث (التاريخي) بل ولا يطلب من أحد أن يتنازل عن إيمانه بأن مذهبه هو الحق أو الأحق بالاتباع وإنما المطلوب التركيز على عملية التعاون في المساحات المشتركة وتوسيعها وأن يعذر البعض الآخر في موارد الاختلاف في الرأي.

أما تلك العقبات التي تصورها اليائسون فهي أمور يمكن تجاوزها بسهولة إذا تصورناها على واقعها، وإذا تعاملنا معها بروح الحوار القرآني، وإذا أدركنا ما يترتب على هذا التعامل من آثار ايجابية كبرى.

فعلى الصعيد العقائدي لا نجد اختلافاً على الأصول مطلقاً فالتوحيد والنبوة والمعاد والقرآن والسنة النبوية الشريفة وعظمة الصحابة (رض) وحب أهل البيت(ع) والكعبة والايمان بأصول الشريعة وأركانها شيء لا يختلف عليه اثنان، وإن كانوا قد يختلفون في التفاصيل بما لا يخدش مطلقاً أي جانب من الأصول المذكورة.

ولا يعني الاختلاف احياناً في التفاصيل اختلافاً في التعامل مطلقاً، وما أكثر اختلاف الصحابة في الآراء، وكذلك اختلاف الأئمة في استنباط الحقيقة من نصوص الشريعة، دون أن يؤدي ذلك الى تنافر في السلوك.

وهنا أتذكر أن بعض الاتباع تصوروا خطأً إن عملية التبري تشمل اتباع الاتجاهات الاخرى ومن لا يقولون بقولهم، وليسوا بمستوى علمهم فواجههم أئمة أهل البيت (ع) برفض هذا المنحى وتصحيح هذا التصور المنحرف.

ففي الرواية (أنه جرى ذكر قوم (فقال الراوي): فقلت له (يعني الإمام الصادق (ع)): انا لنبرأ منهم، انهم لا يقولون ما نقول: قال: فقال يتولونا ولا يقولون ما تقولون تبرأون منهم؟ ـ الى أن قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ

(١) من مقالة له نشرت بشكل مستقل تحت عنوان (حق اليقين).

منكم! ـ الى أن قال: فتولوهم ولا تبرأوا منهم...).[١]

إن التبري إنما يكون من أعداء الله والإسلام والأمة ولا مجال له بين ابنائها وهو ما يصححه المرحوم الأمين في بعض كلماته.[٢]

والحالة التي ننبه على لزوم اجتنابها هنا هي مسألة المؤاخذة باللوازم.

فقد يتصور هذا الطرف مثلاً ان القول بنوع من التجسيم يستلزم الشرك، أو أن القول بالتحسين والتقبيح الشرعيين لا العقليين يستلزم اغلاق باب النبوة، أو التصديق بها، وقد يتصور الطرف الآخر أن القول بالشفاعة، والتوسل، وزيارة القبور يستلزم الشرك، وهكذا دواليك. ويبدأ مسلسل نسبة الكفر والفسق والبدعة الى هذا الطرف او ذاك.

والحقيقة هي إن أي طرف لا يقبل هذه اللوازم المطروحة في ذهن الطرف الآخر بل له توجيهاته ومخارجه التي يستند فيها الى أدلة شرعية وعقلية معتبرة عنده. وحينها لا معنى لأحكام التكفير والتفسيق مطلقاً.

إنها إذن حالة يجب اجتنابها شرعاً وعقلاً وإلا بقينا ندور في حلقة مفرغة.

وفي المجال التاريخي لا نجد هناك أية عقبة كؤود أمام التآخي والتآلف. ولنأخذ أشد المواضيع حساسية وهي مسألة الخلافة بعد الرسول (ص). فهناك نظريتان تركز احداهما على أنه (ص) أوصى وعين الخليفة بعده وترفض الثانية ذلك. وهذه قضية تاريخية لها مجالها البحثي، ولا مانع من ذلك في جو اخوي صميم. فإن تم الاتفاق وإلا عذر كل منهما الآخر. وهنا يقول المرحوم العلاّمة الأمين: (لم نزل نتنازع على شرعية الخليفة حتى صار المندوب السامي هو خليفتنا).

---

(١) وسائل الشيعة، باب ١٤ من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ج١٦ ص ١٦٠، من طبعة دار آل البيت (ع).

(٢) راجع مقال (حق اليقين) للعلامة الامين.

وقد أكد الإمام البروجردي سابقاً على عدم نقل الخلاف الى الصعيد غير العلمي، وتجاوز هذه المسألة الى مسألة اخرى هي اكبر اهمية منها وهي مسألة (المرجعية العلمية لأهل البيت ـ ع ـ) حيث تؤكدها النصوص وقد لا يختلف فيها المسلون ولذا اختص علي (ع) بلقب الإمام في ذهننا التاريخي جميعاً.[١]

وهنا نذكر بأن الإمام علياً وخلافاً لما يتصوره البعض لم ينزو عن الحياة ربع قرن من عهد الخلافة الراشدة ـ كما يقال ـ بل عاش في قلبها وخاض خضمها وحل الكثير من مشاكلها حتى نقل المؤرخون إن الخليفة الثاني كرر عشرات المرات عبارة: (ما كنت لمعظلة ليس لها أبو الحسن).

وإذا انتقلنا الى تاريخ أئمة المذاهب وتعاملهم رأينا العجب العجاب من التسامح والمداراة والتعاون والاحترام الكبير.

فمن المعروف إن كتب أهل السنة حافلة بروايات أهل البيت (ع) حتى إن بعض العلماء[٢] ذكر أنه جمع أكثر من عشرة آلاف حديث بهذه الصفة. وهو يؤكد أن الكثير من تلامذة الإمام الصادق كانوا من علماء السنّة وبينهم الكثير من أسر الصحابة والخلفاء وعدد من المتكلمين المشهورين والمؤرخين من أصحاب السيرة.

والعلاقات بين الإمام الصادق والإمام أبي حنيفة معروفة وكذلك مع الإمام مالك الذي نقل كيفية حجّ رسول الله (ص) عنه، وشعر الإمام الشافعي في أهل البيت مشهور وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل الحديث المعروف بسلسلة الذهب المروي عن الإمام الرضا (ع) عن آبائه بأسمائهم وذلك حين مرّ بنيسابور وهو: (كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي) وأردف قائلاً

---

(١) راجع بحث (المرجعية العلمية لأهل البيت ـ ع ـ).

(٢) وهو آية الله محمد واعظ زاده الأمين العام السابق للمجمع العالمي للتقريب في كتابه (دراسات وبحوث ج١ ص ٤١٥ ـ ٤٢٣).

(بشروطها)، نقل الحديث الإمام أحمد ثم علّق عليه بقوله: (لـو قـرأت هـذا الإسـناد على مجنون لبرئ من جنته).[١]

إننا اليوم نرجو ـ بكل حسرة ـ أن يعود حالنا في التعاون كحال أئمتنا.

ولا ننسى هنا أن نذكر بأن المذهبية ـ كما أكدنا ـ كانت خيراً كبيراً ما دامت تعبر عن غنىً علمي، ولكن العوامل الكثيرة كالجهل، والتعـصب المقيـت وعـدم التـأدب باداب الإسلام في الحوار، وأهـواء الحكـام الطغـاة، وغـير ذلـك حولـت المذهبيـة الى طائفية متعنتة، وتصادمية عمياء، سالت على أثرها الدماء والدموع.

يقول أحد الكتاب المعاصـرين: (ولم تكـن الـسلطات الحاكمـة بعيـدة عـن إثـارة الصراع وتأجيجه ممّا يتوافق وسعيها للتحـصين بالاصـطفاف وتمـتين اواصـرها بـين السكان المحليين.. ولم تقتصر على السنّة والشيعة فحسب. إذ تكررت الحـوادث بـين الحنابلة وكل من الأشاعرة والحنفية والشافعية والمالكية). ويضيف: (وفي تزاحم تلك الصراعات سلطت حرب الارهاب الفكري على المبـدعين ومـن نماذجهـا مـا حـدث عندما توفى محمد بن جرير الطبري عام ٣١٠ هـ فقد دفن بداره ليلاً لأن العامة منعت من دفنه نهاراً).[٢]

أما مسألة العادات والسنن الشعبية التي يقوم بها هؤلاء وهؤلاء فهي مسألة فيهـا نظر لأنه ليس من السهل تغيير هذه العادات ولا يقف في قبالها إلا الأبطـال، ومـنهم شخصيتنا التي نحتفل بذكراها، إذ حارب الخرافات والمبتدعات وطهر المراسم الحسينية من الأعمال السخيفة ولاقى نتيجة ذلك الأمرّين حتى من بعض العلماء.

وعندما نتجاوز البحوث العقائدية والتاريخية الى الميدان التـشريعي فـإن التلاقـي سوف يبدو كأروع ما يكون، فلا يوجـد خـلاف في الـرأي بـين المـسلمين في المـساحة

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٢٠٣.

(٢) قصة الطوائف للدكتور فاضل الأنصاري، ص ٢٣٥.

الأخلاقية مطلقاً، كما لا يوجد خلاف في مجالات المعاملات إلا نادراً، وهكذا الأمر في المجالات العبادية إذا تجاوزنا بعض الجزئيات.

وأما العلاقات المدنية فهي متطابقة إلا في بعض القواعد الفقهية وبالتالي يمكننا أن نصدق بقوة ما قاله علماء محققون من إن الشيعة والسنة متفقان في أكثر من ٩٠٪ من المساحة التشريعية.[١]

اتجاهان تقريبيان

والحقيقة ان طرح فكرة الوحدة غالبا ما يتم ضمن سياق التوصيات الاجتماعية بها، وفي قالب الدعوة إلى التوعية وتجنب مخاطر التفرقة. لكنّه يلاحظ ان هذا الاتجاه التقريبي وإن تمكّن بسبب امتلاكه المفردات الحيّة الغنيّة من إعطاء صورة توضيحية تعرّف مقولة التقريب، وتثبت ضرورته في المجتمع، وحاجة الناس إليه، غير انه يفتقد – في واقعنا المعاش – الضمانات التي تتكفّل بحضوره ودوامه الفاعل في اوساط المجتمع، سيما بين الصفوة من أبناء المذاهب المختلفة. ولحل هذه الاشكالية ينبغي أن نطرح فكرة الوحدة في ميدان الفقه.

فعندما ننظر إلى فكرة التقريب لدى الفقهاء نجد انها تحركت في اتجاهين مهمين وهما: اتجاه الفقه التقريبي واتجاه التقريب الفقهي. وهذان المشروعان يشتركان في النظر إلى الصلة القائمة بين الفقه والتقريب؛ غير أن التقريب الفقهي يعالج قضية التقريب من زاوية النظر إلى موقعها في منظومة الفقه او فلنعبّر رأي الفقه في التقريب، بينما الفقه التقريبي يعالجها من زاوية النظر إلى موقعها في منظومة التقريب أو فلنعبر بالفقه المقارن بهدف التقريب.

---

(١) ومن هؤلاء الاستاذ المفكر الراحل محمد المبارك والأستاذ الدكتور الزحيلي والأستاذ حسين محفوظ وغيرهم.

وبما ان العلامة آية الله السيد محسن الامين من ابرز اصحاب الاتجاه الثاني، فلابد من توضيح كل اتجاه، وما يختصّ به من سمات:

اتجاه الفقه التقريبي

زخر التاريخ المذهبي بجملة آراء متطرفة صدرت كنتيجة للتقليد والتعصب المذهبيين، فصارت سببا لصعود الكثير من البحوث الهامشية في الفقه إلى موقع الصدارة، وساهمت إلى حد كبير في تكوين الذهنية الطائفية الفقهية، ثم اتخذت مظهرا من مظاهر الهوية المذهبية. وفي ظل هذه الأخطاء المتكررة في الفقه تحولت الاختلافات الجزئية والهامشية الموجودة بين المذاهب المختلفة إلى خطوط حمراء ساخنة، لايمكن تجاوزها وغضّ النظر عنها.

وطبيعي في مثل هذا الجوّ ان الذي يمكنه أن يقابل الفقه المذهبي، ويكون عونا للمنظور الفقهي لشتى المذاهب هو الفقه التقريبي فهذا السنخ من الفقه لا ينحصر داخل الحدود المذهبية بل يسعى إلى ابراز المجالات المشتركة والحيوية بين المذاهب، وسيما ابراز تلك البحوث المهمة والمصيريّة التي تحظى بموقع خاص في الفقه لا يملؤه بديل أو نظير.

فالمواقف التقريبية التي يتخذها اصحاب هذا الاتجاه قبل أن تكون ناشئة من إدراك ضرورة فقهية معيّنة للتحليل الموضوعي، تحصل على مسرح الواقع على أساس إدراك لضرورة التقريب لا غير.

وبعبارة اخرى: ان هذه الفئة ترى أن التقريب بين المذاهب عبارة عن محاولة أساسية واجتماعية لابد منها ضمن مجالاتها المتاحة لها، ومن بين هذه المجالات يبرز المجال الفقهي بوضوح أكثر.

اتجاه التقريب الفقهي

وهذا الاتجاه يبحث من زاوية فقهية، تعنى بالمشاكل التي يواجهها المصلحون التقريبيون في سبيل تحقيق واقع تقريبي. ولو آمنّا بأنّ قسما من المشاكل التي تواجهنا في طريق تحقيق الوحدة تعود أساساً إلى ابهامات لا يوجد لها حل الا في المجال الفقهي لأمكننا أن نحصل على صورة أوضح لمقدار موفّقية ونجاح هذا الاتجاه بالقياس إلى الاتجاه الأول.

وبذلك ندرك ان اصحاب هذا الاتجاه جعلوا نقطة ابتداء وانطلاق الحركة التقريبية واساسها هو النظر إلى الملابسات الموضوعية والابهامات الفقهية التي قد تواجهها هذه الحركة. ثم درسوا سبل الوصول إلى رفع القناع عن تلك الملابسات الفقهية.

فمن هذه النقطة والنظرة ينشأ الدافع لدى هذه الفئة من أصحاب فكرة التقريب نحو قبولها، وتذليل العقبات التي تحول دون تحقيقها. وبعبارة اخرى فان الدافع لهم نحو التقريب ينبعث من حاق الفقه ولبّه. ويشكل نتيجة للرؤية الفقهية المتولدة لديهم، مما يعزز دور أبحاث اصحاب هذه الفكرة، باعتبار ان الابحاث الناشئة من مثل هذه الدافع تكون ذات نفع كبير في تحقيق فكرة التقريب التي راودت – وماتزال – أذهان أصحابها منذ زمن ليس بالقريب.

وبما أنّ نتائج هذه الأبحاث والدراسات تأخذ كيانها من بوتقة التجارب الفقهية، وانّ المادة الخام لهذه الفكرة هي فقهية بحتة في الواقع، فانّ هذه الفكرة تستطيع بدورها النفوذ إلى أوساط مجتمع المتدينين بصورة ذاتية وطبيعية، دون الحاجة إلى محاورات جانبية معينة قد تشوبها بعض الملابسات، وكذلك فانّها تصبح جزءاً لا يتجزّأ من المعايشة الفقهية في ذهن المكلّفين.

والذي يفرض علينا تبّني هذا الاتجاه جملة نقاط:

اولا: اذا لم يتم التعامل مع الوحدة ضمن اطار موضوعي فقهي، فعلينا أن ننتظر جوا يعود فيه العمل الاجتماعي مفعما بمظاهر الفقه الرسمي التقليدي المذهبي، ومعه لا يفسح المجال للالتزام العملي بالوحدة كما هو واضح.

ثانيا: ان التعصبات المذهبية قد اشعلت في بعض الأحيان لهيب نيرانها إلى حد سبب ظهور العداء والعناد بين المذاهب. ولاشك ان خطورة النتائج السلبية لمثل هذا العداء والعناد تزداد فيما لو لبسا لباس الفقه، وأصبحا بسبب ذلك جزءا من الهوية الفقهية، كأن ترى كل طائفة ان التبّري من اصحاب المذهب الآخر وظيفة فقهية محتمة عليها.

ثالثا: إذا نظرنا إلى الفقه كمجموعة منظمة وهادفة، فانه يجب علينا ابتداء أن نعين ماهو الدور الذي يمكن أن تلعبه الوحدة في هذه المجموعة المتشابكة، واي نوع من الاحكام علينا ان نتركها جانبا بسبب التزامنا بمبدأ الوحدة المقدم عليها.

ولا بأس في الإشارة إلى بعض سمات هذا الاتجاه، وتطبيقها على الحركة التقريبية للسيد العلامة الأمين:

الف. أنّ أصحاب هذه النظرة الفقهية إلى التقريب لا ينادون بتوحيد المذاهب بحيث يذوب بعضها في البعض الآخر، بل يسعون إلى تبيين مكانة التقريب في منظومة الفقه الاجتماعي، ويصوغونها بقالب فقهي واضح، ويرفعون تلك الملابسات والابهامات الفقهية المتوجهة إلى فكرة التقريب بالأجوبة الشافية والكافية، والالتزام بلوازمه في المجتمع المسلم. يقول السيد الأمين:

(ليس مقصودنا من هذه المقالة أن نجعل اهل السنة شيعة أو العكس، وأن يتبّرأ كل من الطرفين من آرائه ومعتقداته).

وبعبارة اخرى: يحاول هؤلاء استنباط حكم التقريب وتنقيح موضوعه، فهم بدل أن يتدخّلوا في بعض المسائل الجزئية بين هذا المذهب وذاك، يسعون إلى تنقيح المباني

الكلامية للتقريب، وإعداد الأدلة الفقهية اللازمة لها.

ب. أنّ مجرّد تبيين الحكم الفقهي للوحدة، وطرحه في منظومة الافكار الفقهية، لا يعني رفع الغموض الذي يكتنف الناحية الفقهية المتعلّقة بهذا الموضوع الاجتماعي الحسّاس، وانما ينبغي – علاوة على السعي في هذا الطريق – البحثُ في النسبة بين الأدّلة الفقهية للوحدة وأدلة سائر الاحكام الفقهية، وتتبع حركة البحوث والتحقيقات التي يقوم بها العلماء والفقهاء، وفي ظلّ مطالعةٍ من هذا القبيل يمكننا تشخيص الموارد والظروف التي نعتبر فيها ان الوحدة حاكمة على الأحكام الاخرى بشكل أساسي.

ولعل من أهمّ المسائل التي تواجه أصحاب هذا الاتجاه التقريبي هي كيفية وضع الحلول العلمية لبعض المشكلات التي تعترض الطريق الواصل بين أدلّة الوحدة وأدلّة سائر الأحكام الفردية أو الاجتماعية الأخرى.

ونجد مثل هذا الاهتمام في كلمات العلامة الأمين، حيث يتعرض إلى مسألة التولّي والتبرّي من منظور فقهي، ويحاول معالجة صلة قضية التقريب بهذه المسألة، فيقول:

(يقول البعض: انّ هذا الامر يتنافى مع مافي الدين من أمر واجب وهو التولّي والتبرّي وإنكار المنكر بالقلب واليد واللسان، لأنّ المقصود منهما أن يصدرا من العبد بنيّة خالصة لله تعالى.. ولذا فانّ من قام بعمل قبيح علينا أن نشعره بعدم الارتياح من ذلك، وأن نسعى لمنعه منه، ولا يجوز لنا إلحاق الأذى به خارج إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعامل معه بخشونة، وانّما علينا ان نتعامل معه برأفة، وننهاه عن المنكر ونأمره بالمعروف باللين والنصيحة)[1].

ج ـ الاكثار من رفع شعار الوحدة: عندما يصل الفقيه من خلال استنباطه الى

(١) راجع مقال: حق اليقين.

وجوب الوحدة فسوف يكون له في شعار الوحدة طعم خاص ومتميز. فالوحدة من الشعارات المحببة والخطيرة. محببة لأنه يوجد شعوراً عاماً بأهمية قضية الوحدة، إذ أن المسلمين قاطبة يشعرون أن نقطة الضعف في مواقفهم إنما هو التشتت والفرقة المستشرية فيهم. وكونه خطيراً فلأنّ الفكر ـ أيّ فكر ـ لو كان تجريدياً محضاً، لا يعنى بواقع الناس ولا يعيش همومهم ينزوي لا محالة ولو بعد حين، بعكس ما لو كان يؤثر في حياة الناس ويتفاعل معهم فإنّه سيشكل منعطفاً تاريخياً فيخلد.

فقضية الوحدة الاسلامية قضية مهمة وخطيرة حيثما يوجد واقع يشغله مسلمون، ويكفي أن يلقي المرء نظرة على خارطة العالم، ومقدار ما يشغله المسلمون منها من مواقع استراتيجية، ليدرك جيداً اهمية موقفهم الحضاري.

د ـ السعي لرفض الخرافات: إن أصحاب النظرة الفقهية الى التقريب يدركون قبل الآخرين ما تتركه الخرافات من آثار سلبية في المجتمع ومن هذا المنطلق فقد تصدّى لها العلاّمة المرحوم السيد الأمين بشجاعة كبيرة رغم العقبات التي واجهها، وما خلّفته من متاعب جمّة، وليس هذا بجديد على الفقيه والباحث والمصلح والمحقق، حيث اكتسح الخرافات ورمى بها عرض الحائط. وأسّس مكانها مواقع عمل مشتركة جعلت تملأ الفراغات الحاصلة جرّاء قمع الخرافات والأساطير التي كانت قد عشعشت في اذهان الكثير من الناس. كتبت جريدة (العصر الجديد) ضمن مقال في مقام إطراء منزلته، والثناء على شخصيته:

(لقد حمل البسطاء من الجعفريين أن يتركوا الخرافات التي جاءت من الخارج وأدخلتها على مذاهب السنّة ومذاهب الشيعة مجتمعة) (أعيان الشيعة ٤٣٣/١٠).

ويمكن القول بأن الاتجاهين يتكاملان في خدمة قضية التقريب.

التقريب ومنهجه الاجتهادي

ليس كل منهج بسيط في الاجتهاد متمكناً من العمل في ميدان هذا الاتجاه العظيم

الفقهي فالاجتهاد في هذا المجال إنما هو بالعمل على استيحاء روح الاسلام من خلال مفاهيمه العامة، ولا موجب للوقوف على دقائق نصوصه للبحث عن أدلّة الوحدة ومثل هذا الاتجاه يرى في حركة الفقه المعاصر امتداداً لحركة الانبياء والأئمة (ع) الشاملة لكل شؤون الحياة الانسانية، العامة والخاصة، والتي تركّز على اهتمام الشارع بكلّ حوادث الحياة البشرية، والعمل علىتصحيح مسارها الخاطئ.

فيرى هذا الاتجاه ضرورة تقنين الحركة التقريبية وفق الشريعة السمحاء، وايجاد السبل الصالحة لتطوير وسائل انتشاره، وبيان وجهة نظر الشارع المقدّس في مقرراته وأهدافه وبرنامج اعماله، ووضع الحلول والاجوبة لكافة المسائل والمشكلات التي تواجه الواقع الوحدوي.

إننا نعتقد بضرورة تحرك الاجتهاد في هذا الطريق، لمواجهة الحالات المستحدثة والوقائع الكثيرة التي يزخر بها الواقع، على أساس شريعة الله تعالى النازلة على لسان نبيّنا محمد (ص) وما تسالم عليه المسلمون من أدلّة وأحكام واستدلالات شرعية وعقلية بما يوافق الكتاب والسنّة المطهّرة الصحيحة. دون الخضوع للضغوط المختلفة، وتجاوز العراقيل النفسية والاجتماعية، والتي تعمل على تكريس الآراء السابقة، وعدم الاصغاء الى البعض الذي ذهب بعيداً عن واقع التقريب.

إنّ حركة الاجتهاد الفقهي المطلوب اتخاذها لمعالجة مشكلة (تقنين) التقريب على أساس الشريعة الغرّاء، يجب أن تنهض بالمستوى المطلوب، وذلك من خلال مواجهة الحاجات المطروحة في الساحة بحلول عميقة ومناسبة في هذا العصر، لكي يشعر الإنسان المسلم بوجود أجوبة لكل تساؤلاته العملية من هذه الناحية، قد هيّأها فقهاء اعلام معروفون بالورع والنزاهة، فتطمئن لها نفسه، وتبرأ ذمته من كل إيهام او إشكال قد ينقدح بذهنه، فلا يحسّ بالحرج وهو يرافق أخاه المسلم ـ على غير مذهبه ـ في بعض الامتثالات، كأن يكون في الصلاة او الصيام او الجهاد او الحج او الزكاة ...

ويمكن مشاهدة هذا المنهج في حركة العلامة الأمين الفقهية، إذ يقول:

(... فإن شريعتنا سهلة سمحة تدعو الى العدل والاحسان وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والتجاوز على حقوق الآخرين ولا يعتبر هذا الأمر خاصاً بمجموعة او فرقة من الناس فقد أمرت الشريعة الجميع بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحتى بالنسبة الى أهل الذمّة والمعاهدين مع المسلمين)[1].

ولا يخفى إن من أهم العناصر الفاعلة في هذا المنهج الاستفادة من المباني الكلامية فإن طرح المباني الكلامية شيء مهم في تتبع المسائل ودراستها وخصوصاً إذا كانت الدراسة مقارنة وكلما كانت مسائلنا الكلامية منقحة تحسنت استنباطاتنا وازدادت وارتقت أفكارنا الاصولية. وانطلاقاً من هذا الأمر يحاول الفقهاء التقريبيون تنقيح المباني الكلامية للتقريب، وإعداد الأدلّة الفقهية اللازمة لها في ضوء تلك المباني.

فهذا الاتجاه الفقهي في التقريب ينبغي أن ينطوي على كافة الأحكام التي تمسّ الإنسان المسلم في أي مكان من أطراف الأرض المعمورة، وتجيب على المسائل التي هي محلّ ابتلائه، وترفع عنه حرجه، وتيسّر له الأمور.

لذا فإنّه ينبغي أن يشتمل مشروع التقنين التقريبي على:

١ ـ الأجوبة الشافية لجمع تساؤلات الانسان المسلم.

٢ـ النظرة الشاملة لجميع أطراف الواقع الوحدوي، والتي تضع في حسابها عنصرين أساسيين: الإنسان المسلم والمجتمع الاسلامي.

٣ـ مباحث فقهية تعنى بشؤون المسائل التقريبية والواقع الوحدوي المنشود، وتقديم خلاصة الدراسات على هذا الصعيد، وصياغتها بصورة أحكام فقهية مستقلة.. على أن تشمل ما يلي:

---

(١) حق اليقين ص ٧.

أ ـ الأدب الفقهي الخاصّ بالتقريب، واللغة الفقهية ـ التقريبية الموجهة.

ب ـ الاستدلالات الفقهية المشتركة.

ج ـ بيان أدلّة الوحدة فقهياً ـ من الكتاب والسنّة الصحيحة ـ وبراهينها النقلية والعقلية.

د ـ الشواهد التاريخية من الأخبار والآثار.

هـ ـ آراء علماء السلف وأقوالهم في هذا الجانب.

و ـ بيان فلسفة الوحدة وأخلاقيات التقريب.

ز ـ تصوير تحديات الوحدة الاسلامية وسبل معالجتها على مستوى الأمة.

ح ـ تعزيز المباحث بالاقتراحات القيّمة على هذا الصعيد، وتوجيه سبل تطبيقها.

ولا غرو في ذلك، فقد انجب الاسلام فحولاً كانوا بمثابة منارات تنير درب التقريب الوعر، وأعمدة تقام عليها خيمة الوحدة الاسلامية، انطلقوا ببُعد نظرهم ورجحان عقولهم باتّجاه التصدّي لتحقيق الواقع الوحدوي الذي تنشده أجيال المسلمين.

لقد كان المرحوم الأمين فقيهاً واعياً لواقع المسلمين، مدركاً لاضرار التشتت الذي أصاب الأمة ومازالت اضراره وآثاره السيئة يعاني منها الملايين من مسلمي هذا الزمان، فلذلك دعا الى التحصّن بثقافة متينة مطبوعة بطابع وحدوي، لا تشوبها أية خرافات، ولا ما يثير حفيظة طوائف المسلمين، تستند على دعائم علمية قوية، تستشفّ شرعيتها من جملة قواسم مشتركة بين جميع المسلمين، كتب رحمه الله يقول:

(إن المسلمين ـ مع وجود قدر من الخطأ والاشتباه في اعتقادهم ـ لا يخطئون في الأصول).

وأخيراً فإننا نرفع يد الضراعة للباري جلّ وعلا كي يتغمد الفقيد العلاّمة السيد محسن الأمين برحمته وينزل عليه شآبيب لطفه.. كما نسأله تعالى أن يمطر روح نجله

الراحل قريباً السيد حسن الأمين بالرحمة والمغفرة؛ فقد سار على منهج أبيه وأحيا سيرته وقدم للمكتبة الإسلامية فكراً نيراً بكل مثابرة قد يقل نظيرها.

آية الله السيد محمد تقي الحكيم

قدوة فكرية في مجال التقريب(*)

المقدمة

لقد كانت لحظات تتلمذي على آية الله السيد محمد تقي الحكيم من امتع ايام حياتي العلمية حيث توسمت في سماحته الاستاذ الوقور، والعالم الكفء، والقدوة المطمئنة في الرد والاقناع، والمثابرة الدؤوب في التحقيق، والوعي الاجتماعي الفريد.

واستطيع ان اؤكد انه كان يشكل الى جانب اخوته من العلماء كالمرحوم العالم المظفر والمرحوم الشهيد العظيم الصدر احد اعمدة النهضة العلمية والاجتماعية للحوزة العلمية الرائدة في النجف الاشرف.

ولحسن الحظ فقد وفقت للاستماع والاستفادة منه من خلال بحوثه في كلية الفقه كما وفقني الله تعالى للحضور في بحثه الاكاديمي (الخارج) وكان من امتع البحوث واعمقها والذي اود التركيز عليه هنا هو جانب التعادل العلمي الذي امتاز به واعني به (تحقيق التوازن بين الأصالة الاصولية والفقهية والعقيدية لمدرسة اهل البيت (ع) وبين الانفتاح العلمي على مختلف المدارس الاسلامية الاخرى وبمحاولة الاستفادة منها والتقريب بين وجهات النظر المطروحة لدى المدرستين الشيعية والسنية) الامر الذي يستمد واقعه من واقع استفادة كلتا المدرستين من معين واحد هو (القرآن

(*) قدم الى الندوة المنعقدة في لندن لتكريمه، قبل أن يتوفاه الله الى جواره في شهر صفر من عام ١٤٢٣ هـ .. وكان رحمه الله العميد الأسبق لكلية الفقه بالنجف الأشرف، وعضواً في المجمع العلمي العراقي.

الكريم والسنة النبوية الشريفة) بل واعتمادهما معاً على فكر اهل البيت (ع) ورواياتهم في كثير من المجالات. وحسبنا ان نعرف ان الفقه الاسلامي بمجموعه يعتمد على عمل الامام علي (ع) ـ مثلاً ـ في مسألة البغي والبغاة، وكذلك فان كل الفقه الاسلامي في كيفية الحج يقوم على روايات أهل البيت (ع)، ويكفينا ان نتذكر ان أئمة المذاهب الاربعة قد تتلمذوا إما مباشرة أو بشكل غير مباشر على يد الامام الصادق (ع).

وسيكون تركيزي على الجانب الفكري الاصولي ومن خلال كتاب السيد الاستاذ في اصول الفقه المقارن فقط، والا فهناك مجالات كثيرة للبحث لا أجد مجالاً للتعرض لها.

والكتاب المذكور في مجمله محاولة تقريبية فكرية يقل نظيرها بل يكاد ينعدم وكم كنا نود لو اقتفى العلماء الاخرون أثرها وراحوا يتوسعون فيها، الامر الذي لم يحدث بعد.

لكننا سوف نقتبس نماذج من بحوثه لنتبين ما ذكرناه من التوازن بين الاصالة والانفتاح ونعرف آثاره التقريبية من خلال هذه النماذج.

أولاً:

في مطلع البحوث يفصح عن هدفه من هذه البحوث حينما يذكر فوائد الفقه المقارن وتتلخص في الامور التالية:

أ ـ محاولة البلوغ الى واقع الفقه الاسلامي.

ب ـ العمل على تطوير الدراسات الفقهية والاصولية.

ج ـ اشاعة الروح الرياضية بين الباحثين ومحاولة القضاء على مختلف النزعات العاطفية.

د ـ تقريب شقة الخلاف بين المسلمين والحد من تأثير العوامل المفرّقة التي كان

من أهمها واقواها جهل علماء بعض المذاهب بأسس وركائز البعض الآخر مما ترك المجال مفتوحا امام تسرب الدعوات المغرضة في تشويه مفاهيم بعضهم والتقول عليهم بما لا يؤمنون به.[١]

وهكذا نلاحظ روحاً تقريبية عالية هدفها الانفتاح على مختلف الآراء، والمنطقية في العرض، والعلمية في البحث والاستدلال، والسعي لتضييق الخلاف بين المسلمين ويتجلى هذا المعنى ايضا حين يتحدث عن اصول المقارنة فيركز على الروح الموضوعية (ونقصد منها هنا ان يكون المقارن مهيئاً من وجهة نفسية للتحلل من تأثير رواسبه والخضوع لما تدعو اليه الحجة عند المقارنة سواء وافق ما تدعو اليه ما يملكه من مسبقات ام خالفها) ويضيف (فاذا كان بهذا المستوى من القدرة على التحكم بعواطفه... كان اهلاً لأن يخوض الحديث)[٢].

ثانيا: دراسة اسباب الخلاف

وهي الاصل الثاني من اصول المقارنة، فبعد ان ارجع ابن رشد في مقدمة كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد)[٣] الخلاف الى الصغريات أي الى الاختلاف في تنقيح الصغريات لحجية الظهور (اعني ظهور الكتاب والسنة) او لحجية القياس يؤكد السيد الحكيم ان الخلاف في الكبريات اكبر اثرا من الخلاف في الصغريات، ويقصد به الخلاف في اصول الفقه ليكشف عن هدفه العام في الكتاب وهو تضييق شقة هذا الخلاف تحقيقاً لما ذكره من قبل في التقريب بين المذاهب الفقهية.

واذا كان لنا ان نضيف شيئاً هنا قلنا ان هناك منشأ آخر لاختلاف نتائج البحوث الفقهية وهو الاختلاف في ترتيب الادلة وكيفية الرجوع اليها إذ يجد الباحث في

---

(١) اصول الفقه المقارن ص١٤.

(٢) ن، م ص ١٦.

(٣) بداية المجتهد ص ٥ ـ ٦ ج١.

بطون الكتب الفقهية الاختلاف الكثير بين الفقهاء فيها مع ان الواقع يقتضي الترتيب بينها. وهذه النقطة بالضبط درسها السيد الحكيم في موضوع آخر بعد الحديث عن مصطلحي (الورود والحكومة) وهما مصطلحان يختص بهما الفقه الامامي دون غيره وعلى ضوئهما يتم ترتيب الادلة على النحو التالي:

أ ـ ادلة الطرق والامارات (ادلة الواقع).

ب ـ ادلة الواقع التنزيلي كالاستصحاب.

ج ـ ادلة الوظيفة الشرعية.

د ـ ادلة الوظيفة العقلية[1]

ومتى ضمّنا وحدة الترتيب في الرجوع الى الادلة ضمناً التقارب الكبير في النتائج.

ثالثاً: موضوع التحريف

وشبهة التحريف في القرآن الكريم تعد من أكبر الشبهات التي تثار لا في وجه حجية الظواهر القرآنية فحسب بل تستعمل كأداة ضخمة لضرب المذهب الامامي باعتباره يقول بها وكتب الهمز واللمز هذه تزخر بتوجيه الاتهام والكلام المطول ضده.

ومن هنا نجد السيد الحكيم (رحمه الله) يولي أكبر الاهتمام لهذه الشبهة ويعالجها أروع علاج فيبحث أولاً عن منشئها في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث وما ورد في أصول الكافي من روايات مؤكداً على أن المنشأ انما هو في كتب الفريقين معاً ومعقباً على ما قاله الشيخ أبو زهرة من أن ماجاء في الكافي هي وثيقة تكفير المرحوم الكليني، مؤكداً إن اسلوب التكفير اسلوب مرفوض خصوصاً إذا كان من قبل

---

(١) اصول الفقه المقارن ٩٢/٩١.

العلماء موضحاً ان مجرد التشكيك في هذا الموضوع لا يعد تشكيكاً في ضرورة من ضروريات الدين حتى يؤدي الى الكفر، على أن مجرد رواية احاديث النقص وعدم التعقيب عليها لا يدل على الوثوق بصدورها، بل لعل رواية الكليني لها في النوادر دليل على انكارها بعد ما جاء في الرواية المرفوعة عنهم: من قوله (عليه السلام): (ودع الشاذ النادر).

على أن الكليني نفسه روى الروايات العلاجية والتي تأمر بعرض الروايات على كتاب الله (عز وجل) (فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فردوه)[١] وروايات النقص لا تنسجم مطلقاً مع الآية الشريفه (إننا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). [٢]

وهكذا يستمر في رد الشبهة منافحاً ومدافعاً بقوة ليقول:

(فرواية هذه الأحاديث في الشواذ النوادر من كتابه وتعارضها في مروياته ولزوم طرحها بالنسبة الى منهجه الذي رسمه وعدم التلازم بين الايمان بالصدور ـ لو آمن بصدورها ـ وبين الإيمان بمضمونها، كل ذلك مما يوجب القطع بطرحه لهذه الأخبار وإيمانه بعدم التحريف).[٣]

وبعد أن يكمل دفاعه عن المرحوم الكليني ـ وهو من أجلة العلماء والغيارى على الدين ـ يعود الى نفس الشبهة ليؤكد أنها واردة على كتب الصحاح والمسانيد ومستدرك الحاكم وكنز العمال وأمثالها، وان رفع هذه الشبهة بمسألة نسخ التلاوة لا يجدي نفعاً بل إن بعض المرويات لا ينسجم حتى مع نسخ التلاوة.

وهنا يؤكد الأستاذ الحكيم ان نقل الروايات هي من طبيعة أي عمل موسوعي

---

(١) اصول الكافي هامش مرآة العقول ج١ ص ٦.

(٢) الحجر آية ٩.

(٣) اصول الفقه المقارن، ص ٢١١.

وان على المجتهدين بعد ذلك ان يفحصوا ويمحصوا.

ثم يركز على نفس الشبهة معتبراً اياها شبهة في مقابل البديهة وان اخبار التحريف ـ مع تضارب مفاهيمها ـ لا تزيد على كونها اخبار آحاد وهي لا تنهض على الوقوف أمام التواتر الموجب للقطع بأن هذا القرآن الذي بأيدينا هو القرآن الذي نزل على النبي (ص) دون ان يزاد او ينقص فيه ـ وهكذا يمضي في الاستدلال القوي القويم لينقل بعد ذلك أقوال العلماء كالشيخ الطوسي (رحمه الله) والسيد المرتضى مما يؤكد أنها شبهة لا غير.

وهكذا نجده (رحمه الله) يبذل قصارى جهده وعلمه ليرفع عائقاً كبيراً امام وحدة المسلمين وتقارب آرائهم وتحقيق التقارب بينها.

رابعاً: سنة أهل البيت (عليهم السلام)

وهذا الموضوع ايضاً يتصوره الكثيرون العائق الأكبر امام تقارب المسلمين باعتباره يعني ايجاد منبع آخر للشريعة في مقابل السنة النبوية وحينئذ فمن الطبيعي أن يؤدي اختلاف المنابع الى اختلاف النتائج.

إلا أن السيد الحكيم بمقتضى طول باعه يثبت العكس ويؤكد أن الايمان بسنة أهل البيت (عليهم السلام) يعني تحكيم السنة النبوية وتجليتها في المسيرة مما يقلب الاستنتاج الآنف رأساً على عقب.

فقبل كل شيء يشير الى الحوار الذي تم بين المرحوم السيد شرف الدين والمرحوم الشيخ البشري ـ شيخ الأزهر الشريف ـ حيث تم دفع الدور المتصور والقائل بأن كلام الأئمة لا يشكل حجة على غيرهم إلا إذا ثبتت حجيته وانه من السنة وكونه من السنة أول الكلام وقد دفع هذه الشبهة بأن ثبوت كونهم من الرواة الموثوقين يرفع شبهة الدور.

ثم راح يستدل على عصمتهم وحجية أقوالهم من الكتاب كما جاء في آية

التطهير، ومن السنة كما جاء في حديث الثقلين، ويدفع كل الشبهات المطروحة في البين بأقوى الحجج والبراهين بما لا مزيد عليه أحياناً.

وينتهي الى أن حجية سنة أهل البيت (عليهم السلام) إنما هو في الواقع تحكيم للسنة النبوية وتطبيق لأوامرها خصوصاً وأن السنة النبوية نفسها لم تجمع على عصره (ص) وفيها الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، ثم إن المشكلة تتعقد بعده (ص) عند تكثر الفتوح وانتشار الوضع.

يقول (رحمه الله): (وما دمنا نعلم أن السنة لم تدون على عهد الرسول(ص) وان النبي (ص) منزه عن التفريط برسالته فلابد أن نفترض جعل مرجع تحدد لديه السنة بكل خصائصها، وبهذا تتضح اهمية حديث الثقلين وقيمة ارجاع الأمة الى أهل البيت (ع) فيه لأخذ الأحكام عنهم كما تتضح اسرار تأكيده على الاقتداء بهم وجعلهم (سفن النجاة) تارة و(أماناً للامة) اخرى و(باب حطة) ثالثة وهكذا.[1]

ومما ينبغي ذكره هنا لتأكيد ما ذكره السيد الحكيم هو أن الرجوع الى سنة أهل البيت (ع) هو في الواقع رجوع الى سنة رسول الله (ص) لأنهم تلامذة الرسول والمحكمون لشرعته، وحديثهم حديثه ونقلهم عنه (ص)، وحينئذ يعود هذا الفارق الموهوم جسراً للتفاهم والرجوع الى الواقع والتقارب بين المسلمين.

ولا أدل على ذلك من سعة المساحة المشتركة بين الفقه الإمامي والفقه السني حتى تصل الى أكثر من ٩٠ بالمائة من الفقه بمجموعه، بل إن الروايات المشتركة بين الفريقين تشكل اروع صورة للتقارب بين المضامين بحيث تعود الروايات المختلفة قليلة الحجم وضعيفة الأثر خصوصاً على الصعيد الفقهي ولهذا مجال مطول من الحديث.

خامساً: حول الاصول المختلف فيها (القياس ...).

---

(١) اصول الفقه المقارن، ١٧٤.

ومن موارد الاختلاف الكبرى، الاختلاف حول القياس والاستحسان والمصالح المرسلة وأمثالها، وقد تعرض لها السيد الاستاذ بكل حكمة وموضوعية ودرسها بكل عمق، واستطاع من خلال دراسته أن يثبت حقيقتين كبيرتين:

الأولى: اصالة الموقف الإمامي.

الثانية: ان الهوة بين الموقفين ليست بهذا البعد الذي يتصوره البعض بل قد تضيق هذه الهوة الى الحد الذي يعود النزاع فيها لفظياً ولو على مستوى بعض الاتجاهات.

وهذا ما سنلاحظه فيما يلي:

أ. القياس

وقد انتهى الى ان تعريفه هو (مساواة فرع لأصله في علة حكمه الشرعي) وقد أكد ان هذا التعريف ليس محل الاعتراض المعروف على القياس، وانما ينصب الاعتراض على تعريف آخر تم هجره. وهو (التماس العلل الواقعية للاحكام الشرعية من طريق العقل).

وقد أكد على انهم اضافوا شروطاً في تعريف العلة كأن تكون وصفاً ظاهراً، ومنضبطاً ومناسباً وان لا يكون الوصف قاصراً على الأصل، وبهذه الشروط قد تضيق شقة الخلاف.

ومن هنا فهو لا يصدر حكمه السريع على القياس وانما يؤكد على أن الحديث (حول حجية القياس متشعب جداً بتشعب اقوالهم وتباينها وطبيعة البحث تدعونا الى ان نقف منها موقفاً لا يخلو من صبر وأناة).[1]

وهو يؤكد على ان المنع عن العمل انما ينصب على قسم من اقسام القياس لا

---

(١) اصول الفقه المقارن، ص ٣٢٠.

غير، فإن المسالك لمعرفة العلة ان كانت مقطوعة او قام على اعتبارها دليل قطعي فلا شك في الحجية، أما إذا كانت المسالك غير مقطوعة فهي التي يخالفها الشيعة ولم تثبت الادلة المطروحة عليها للنقد، وقد ناقشها دليلاً دليلاً لينتهي الى أن جميع ما ذكره مثبتو القياس من الأدلة لا تنهض باثبات الحجية له فنبقى نحن والشك في حجيته، والشك في الحجية كاف للقطع بعدمها.

ب. الاستحسان

والبحث هنا يكاد يكون من امتع البحوث التقريبية، إذ يثبت فيه الاستاذ إن الخلاف فيه يكاد ينعدم فبعد استعراض تعاريفه يصل الى أنها ترجع الى اصول اربعة هي:

الاول: ان الاستحسان هو العمل بأقوى الدليلين ولا خلاف فيه بين المذاهب.

الثاني: ان الاستحسان هو العمل بما يقتضيه العرف وحينئذ يكون من صغريات مسألة العرف، وهو لا يكون حجة إلا إذا امتد الى عصر المعصوم، وأقر من قبله وحينئذ يكون من تطبيقات كبرى حجية السنة.

الثالث: الاستحسان الذي يرجع الى الاستصلاح ويأخذ حينئذ حكمه.

الرابع: الاستحسان كحالة نفسية لبعض المجتهدين، وحجيته مقصورة على من يدعون القطع ولا يشكل قاعدة محددة واصلاً كسائر الأصول وقد ناقش الأدلة المذكورة لحجية هذا القسم الرابع وأبطلها جميعاً.

ج. المصالح المرسلة

وقد اختلف في حجيتها، فذهب مالك وأحمد الى ان الاستصلاح طريق شرعي لاستنباط الحكم فيما لا نص فيه ولا اجماع، وغالى فيه الطوفي فاعتبره دليلاً اساسياً في السياسات الدنيوية والمعاملات وقدمه على ما يعارضه من النصوص عند تعذر

الجمع بينما ذهب الشافعي الى أن من استصلح فقد شرع كمن استحسن والاستصلاح كالاستحسان متابعة للهوى.[١]

وبعد استعراض الأقوال والأدلة يخلص الاستاذ الى نتيجة مهمة هي:

(ان تعاريف المصالح المرسلة مختلفة بعضها ينص على استفادة المصلحة من النصوص والقواعد العامة ... ومقتضى هذا النوع من التعاريف الحاقها بالسنة ... وأما على تعاريفها الآخر فينحصر ادراكها بالعقل والذي ينبغي أن يقال عنها انها تختلف من حيث الحجية باختلاف ذلك الادراك ... وبهذا يتضح ان الشيعة لا يقولون بالمصالح المرسلة إلا ما رجع منها الى العقل على سبيل الجزم).[٢]

وهكذا نجد ـ على هذا المستوى من البحث ان التلاقي بين الفريقين يتم في هذه المرحلة ايضاً وان كان الاختلاف يتحقق احياناً في تشخيص المصاديق.

والذي أود أن اضيفه هنا هو أن العمل بالمصالح المرسلة امر طبيعي في حدوده الطبيعية وان الذي تم تطبيقه في الدولة الاسلامية مثال على ذلك، ذلك ان المصالح المنظورة هنا هي المصالح العامة او المصالح التي تعود الى عموم الافراد وهي التي ينظر اليها القائلون بالمصلحة المرسلة ومع ذلك فإن الأمر يعود الى الحاكم الشرعي الولي الذي اوكلت اليه رعاية مصالح الأمة. والحاكم بدوره عادة ما يشكل مجالس لتشخيص المصالح المذكورة.

والفرق بين هذا وما يبحث عنه في بحث المصالح المرسلة يتلخص في امرين:

الأول: ايكال الأمر الى الولي وأهل الخبرة العملية الذين يستشيرهم وعدم الاقتصار على النظرة الفردية لهذا الفقيه او ذاك.

الثاني: ان الاحكام القائمة على المصلحة تبقى مؤقتة بمقدار قيام المصلحة، ولا

---

(١) مصادر التشريع لخلاف، ص ٨١.

(٢) اصول الفقه المقارن، ص ٤٠٤.

تشكل فتوى دائمة كما هو الحال لدى الفقهاء ـ عادة ـ.

وقد نص الدستور الاسلامي في ايران على ايجاد مجلس لتشخيص المصلحة يقوم على حل الخلاف بين مجلس الشورى الاسلامي ومجلس صيانة الدستور كما يقوم ابتداء بتشخيص المصالح العامة وتقديم المشورة للقائد الولي في مجال ادارة شؤون الأمة.

د. فتح الذرائع وسدها

والذريعة هي (الوسيلة المفضية الى الاحكام الخمسة) كما ينتهي اليه الاستاذ وهذا البحث ليس من مختصات مذهب دون آخر.

فالفقه الامامي يبحث عن مقدمة الواجب ومقدمة الحرام ورغم الاختلاف في النتائج فإن البحث لا يعد غريباً على أي مذهب اسلامي ولذا يقول: (والخلاصة ان جل من تعرفنا عليهم من الأصوليين ـ شيعة وسنة ـ باستثناء بعض محققيهم من المتأخرين هم من القائلين بفتح الذرائع وسدها وان لم يتفقوا في حدود ما يأخذون منها وما يتركون).[1] وإن كان السيد الأستاذ يأخذ عليهم اعتبار ذلك اصلاً في مقابل بقية الأصول مع انها لا تعدو كونها من صغريات السنة او العقل.

هـ. العرف

عندما يتم تشخيص مجالات العرف وهي:

١ـ ما يستكشف منه حكم شرعي فيما لا نص فيه مثل الاستصناع، بل ما يستكشف منه أصل من أصول الفقه كالاستصحاب،

٢ـ ما يرجع اليه لتشخيص بعض المفاهيم التي أوكل الشارع للعرف تحديدها كالإسراف،

---

(١) ن. م ص ٤١٥.

٣ـ ما يستكشف منه مراد المتكلمين،

عندما يتم التشخيص يتوضح ان العرف لا يشكل اصلاً من الأصول لانه يرجع الى السنة اما بالإقرار كما في المجال الأول او بتشخيص المصاديق كما في المجالين الآخرين وبهذا التوضيح لا يبقى مجال للخلاف المعتد به.

هذه بعض الأمثلة سقناها من ما كتبه السيد الاستاذ الحكيم لنبرز الدور الرائع الذي لعبته بحوثه في مسألة التقريب بين المذاهب، وهناك أمثلة أخرى ـ سواء في هذا الكتاب او في غيره ـ تؤكد هذه الحقيقة.

والواقع: ان فكرة التقريب بين المذاهب وإن كانت قد طرحت مؤخراً كشعار اجتماعي لتحقيق قدر جيد من الوحدة الاسلامية، إلا إنه في الواقع يشكل واجباً شرعياً على كل الفقهاء لتقصي الواقع والوصول الى الحقيقة بروح موضوعية والتخلص من كثير من سوء الفهم، والتهم التي تطلق على عواهنها لتضعيف هذا او ذاك او حتى لتكفير بعض المسلمين وهو أمر خطير.

إستراتيجية المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

تنويه

أقدم المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وفي إطار تحقيق أهدافه وتطلعاته على إعداد "مشروع جامع للخطة الستراتيجية ".. وقدمه الى المجلس الأعلى الدولي في اجتماعه بطهران في الفترة ١٨ و١٩ شوال ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٣ و٢٠٠٢/١٢/٢٤م، فتمت مناقشته بالتفصيل وتعديله والموافقة عليه:

وللمشروع قسمان:

أما القسم الأول فيشكل مقدمة للاستراتيجية وهو يشمل مواضيع متنوعة منها:

أ ـ التعريفات الضرورية.

ب ـ موجز عن كيفية تشكل المذاهب.

ج ـ موجز عن أسباب اختلاف الفقهاء وغيرهم.

د ـ لمحة تاريخية عن تعامل الأئمة فيما بينهم.

هـ ـ لمحة تاريخية عن دور الحكام والمصالح الشخصية في تأجيج النزاع بين المسلمين وتحويل المذهبية الى طائفية مقيتة.

و ـ دور بعض الحكام وبعض العلماء في تحقيق التقارب.

ز ـ التقريب في العصر الحديث ودور دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة.

ح ـ كيفية انشاء المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ط ـ نقاط الضعف ونقاط القوة في حركة المجمع والتقريب.

ي ـ الآفاق والتوقعات حول مستقبل حركة التقريب.

وسيتم اعداده لاحقاً.

وأما القسم الثاني فهو يركز على الاستراتيجية نفسها والمتمثلة في الفصول التالية:

الفصل الأول: المفاهيم التخصصية

١. التقريب

يعني التقريب حسب وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية بغية تعرف بعضهم على البعض الآخر على طريق تحقيق التآلف والأخوّة الدينية على أساس المبادئ الإسلامية المشتركة الثابتة والأكيدة.

٢. الوحدة الإسلامية

الوحدة الإسلامية عبارة عن:

التعاون بين أتباع المذاهب الإسلامية على أساس المبادئ الإسلامية المشتركة الثابتة والأكيدة واتخاذ موقف موحد من أجل تحقيق الأهداف والمصالح العليا للأمة الإسلامية والموقف الموحد تجاه اعدائها مع احترام التزامات كل مسلم تجاه مذهبه عقيدة وعملاً.

٣. المذاهب الإسلامية

المقصود من المذاهب الإسلامية هو تلك المدارس الفقهية الإسلامية المعروفة التي تتمتع بنظام اجتهادي منسجم ومستند إلى الكتاب والسنة.. وإن المدارس الفقهية المعترف بها حسب وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية هي

عبارة عن:

المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي من أهل السنة، والمذهب الإثني عشري والزيدي والبهرة من الشيعة والمذهب الأباضي.

(على أن هناك مدارس أخرى إمّا أنها لا أتباع لها أو أنها تنضم لأحد المذاهب المذكورة، أو أنها تعبر عن آراء فردية لا تتقيد في عملها بمذهب معين).

الفصل الثاني: أسس التقريب

تقوم مسيرة التقريب بين المذاهب الإسلامية على مبادئ عامة من أهمها ما يلي:

١ـ إن الكتاب الكريم والسنّة النبوية الشريفة هما المصدران الأساسيان للشريعة، والمذاهب الإسلامية كلها تشترك في هذين المصدرين، وحجية المصادر الأخرى رهن بكونها مستمدة منهما.

٢ـ يعد الإيمان بالأصول والأركان التالية ضابطاً للصبغة الإسلامية:

أ: الإيمان بوحدانية الله تعالى (التوحيد).

ب: الإيمان بنبوة وخاتمية الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن سنّته تمثل أحد مصدري الدين الرئيسين.

ج: الإيمان بالقرآن الكريم ومفاهيمه وأحكامه باعتباره المصدر الأول لدين الإسلام.

د: الإيمان بالمعاد.

هـ: عدم إنكار ضرورات الدين والتسليم بأركان الإسلام كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد و..

٣ـ شرعية الإجتهاد وحرية البحث: لقد اعترف الإسلام الحنيف بالإختلافات الفكرية عبر اعترافه بشرعية الإجتهاد في إطار المصادر الإسلامية الرئيسة، ولذا على

المسلمين أن يعتبروا الإختلاف في الإجتهادات أمراً طبيعياً ويحترموا الرأي الآخر.

٤ـ إن الوحدة الإسلامية هي خصيصة قرآنية للأمة الاسلامية وهي مبدأ يمتلك أهمية كبرى فيقدم في موارد التزاحم على غيره من الأحكام التي تقل عنه أهمية.

٥ـ إن مبدأ الأخوة الإسلامية يشكل أساساً عاماً لنوعية التعامل بين المسلمين.

الفصل الثالث: رسالة المجمع وتطلعاته

تتلخص رسالة المجمع العالمي للتقريب في:

"النهوض بمستوى التعارف والوعي وتعميق التفاهم بين أتباع المذاهب الإسلامية وتعزيز الإحترام المتبادل وتوطيد أواصر الأخوة الإسلامية بين المسلمين مع تجنب التمييز بشأن انتماءاتهم المذهبية أو القومية أو الوطنية بغية تحقيق الأمة الإسلامية الواحدة".

تطلعات المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

يعد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الذي يضم بين صفوفه العشرات من علماء المذاهب الإسلامية من مختلف دول العالم ؛ أحد المراكز المهمة التي عرفت بدعوتها للتقريب والوحدة في العالم الإسلامي ومهدت للتعامل البناء بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة. في هذا السياق، ينوي المجمع تحقيق النقاط التالية على مدى السنوات العشر القادمة:

١ـ السعي الى جعل الوضع الذي يعيشه المجتمع الإسلامي المعاصر أقرب ما يكون إلى ظروف ووضع عصر الرسول الأكرم (ص) من حيث التأسي بجوانب الأخوة الدينية والقضاء على أجواء العداوة والعصبية الطائفية بين أتباع المذاهب الإسلامية.

٢ـ توسيع نطاق التضامن القائم فعلاً بين بعض المذاهب الإسلامية ليشمل كافة

المسلمين وسائر المذاهب الإسلامية.

٣ـ تقبل عامة المسلمين للخلافات بين المذاهب والمنبثقة عن الإجتهاد المنضبط.

٤ـ إقتداء الأتباع بسلوك أئمة المذاهب الإسلامية بعضهم مع بعض وتوسيع نطاق العمل به بين أتباع المذاهب اليوم.

الفصل الرابع: مجالات التقارب

تشمل مجالات التقريب الاسلامي بين المذاهب جوانب حياة أتباع هذه المذاهب كافة حيث يمكن الإشارة إلى الجوانب التالية:

العقائد

للمذاهب الإسلامية كافة رؤية مشتركة واحدة حول الأصول العقائدية والأركان الاسلامية والخلاف في فروعها لا يخل بأصل الإسلام والأخوة الإسلامية.

الفقه وقواعده

وفقاً لوجهة نظر محققي فقهاء المذاهب، فإن الأبواب الفقهية تتضمن نسبة عالية من النقاط المشتركة، والإختلاف في بعض المسائل الفقهية أمر طبيعي مردّه إلى فهم الفقهاء واجتهاداتهم.

الأخلاق والثقافة الإسلامية:

ليس للمذاهب الإسلامية خلاف في الأصول الاخلاقية والثقافة الاسلامية على الصعيد الفردي والاجتماعي، والرسول الأكرم أسوة الأخلاق لدى المسلمين كافة.

التاريخ:

ولا ريب أن المسلمين يتفقون على وحدة المسيرة التاريخية في مفاصلها الرئيسة.

والاختلافات الفرعية والتفصيلية يمكن طرحها في جو هادئ والوصول الى موارد كثيرة للاتفاق، وعلى أي حال فيجب أن لا تترك الخلافات آثارها السلبية على المسيرة الحاضرة للامة.

المواقف السياسية للأمة الإسلامية:

لا شك أن المسلمين كافة لهم عدو مشترك، ينبغي لهم الوقوف بوجهه في صف واحد كأنهم بنيان مرصوص. علماً أن سمات وميزات الأمة الإسلامية تحتم هذه الضرورة فضلاً عن أنه لم يرد منع في أي من المذاهب الإسلامية في هذا المجال، ولذا ينبغي لقادة وعلماء الإسلام والمفكرين الإسلاميين تبني سياسة موحدة تجاه الأعداء.

الفصل الخامس: المبادئ والقيم

يتمسك المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في منهجه الإصلاحي وتنفيذ برامجه انطلاقاً مما سبق بالمبادئ والقيم أدناه:

١ـ ضرورة التعاون الكامل في الموارد التي يتفق المسلمون عليها.

٢ـ ضرورة اتخاذ موقف منسق وواحد في مواجهة أعداء الإسلام.

٣ـ تجنب تكفير وتفسيق المسلمين الآخرين ورميهم بتهمة البدعة: علينا كمسلمين يقبلون بمشروعية الإجتهاد في إطار المصادر الإسلامية الرئيسة، أن نقبل مستلزمات هذا المبدأ وتبعاته حتى لو كان الرأي الإجتهادي خطأ في نظرنا. لذا ينبغي الهبوط بمرتبة الإختلافات من الكفر والإيمان إلى مرتبة الخطأ والصواب.

كما لا ينبغي لأحد من جانب آخر أن يكفر الآخر بسبب أن لوازم حديثه أو رأيه تقود حسب رأينا إلى إنكار أصول الدين، فقد يكون غير ملتزم بهذه اللوازم.

٤ـ التعامل باحترام عند الإختلاف: حينما يوصي الإسلام بنوع من التحمل الديني في علاقاته مع باقي الأديان، ويطلب من المسلمين أن لا يسيئوا للمقدسات الفكرية والعقائدية الباطلة للآخرين؛ فإن من الأولى أن يؤكد في إطار العلاقات بين المسلمين على مبدأ تجنب الإساءة لمقدسات أتباع المذاهب الإسلامية وأن يعذر بعضهم الآخر فيما يختلفون فيه.

٥ـ حرية اختيار المذهب: إن مبدأ حرية اختيار المذهب مبدأ عام في العلاقات الفردية، فكل شخص حر في اختيار مذهبه الاسلامي، ولا ينبغي للمنظمات والحكومات أن تفرض على أحد مذهباً دون غيره بل تعترف بالمذاهب الاسلامية جميعاً.

٦ـ حرية العمل بالأحكام الشخصية: فيما يتعلق بالمسائل الخاصة بالأمور الشخصية، فإن أتباع المذاهب الإسلامية يتبع كل منهم الأحكام المتعلقة بمذهبه، سوى ما كان مرتبطاً بالنظام العام حيث تكون كلمة الفصل للقوانين المنصوص عليها في بلادهم التي تديرها حكومة شرعية.

٧ـ إستناداً لما ورد في سورة الزمر المباركة " فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه "، دعا القرآن الكريم المسلمين إلى اعتماد مبدأ الحوار السلمي مع الكفار وأهل الكتاب بعيداً عن التهويل والضوضاء وذلك من أجل بلوغ الحقيقة. من أجل ذلك وجب على المسلمين من باب أولى أن يتم حل اختلافاتهم عن طريق الحوار السلمي ومراعاة آدابه فيما بينهم.

٨ـ لزوم اهتمام جميع المسلمين بالجانب العملي للتقريب وتجسيد هذه القيم في حياتهم والسعي الشامل لتطبيق الشريعة الإسلامية في كل جوانب الحياة.

الفصل السادس: الأهداف الرسمية والتنظيمية

الهدف الرسمي ١: المساعدة في أمر إحياء ونشر الثقافة والتعاليم الإسلامية والدفاع عن ساحة القرآن وسنة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

الهدف الرسمي ٢: السعي في سبيل تحقيق التعارف والتفاهم الأكثر بين العلماء والمفكرين والقادة الدينيين للعالم الإسلامي في المجالات العقائدية والفقهية والاجتماعية والسياسية.

الهدف الرسمي ٣: إشاعة فكرة التقريب بين المفكرين والشخصيات النخبوية في العالم الإسلامي ونقله إلى الجماهير المسلمة وتوعيتها بمؤامرات الأعداءالمفرقة للأمة.

الهدف الرسمي ٤: السعي لتحكيم وإشاعة مبدأ الاجتهاد والاستنباط في المذاهب الإسلامية.

الهدف الرسمي ٥: السعي لإيجاد التنسيق وتشكيل الجبهة الواحدة في قبال التآمر الإعلامي والهجوم الثقافي لأعداء الإسلام وذلك وفقاً للمبادئ الإسلامية المسلّم بها.

الهدف الرسمي ٦: نفي موارد سوء الظن والشبهات بين أتباع المذاهب الإسلامية.

الفهرست

- مقدمة الناشر ٥
- المقدمة ٧
- تطور فكرة الوحدة في الجمهورية الاسلامية ٨
- **الفصل الاول** – الاسلام والوحدة ١٣
- عوامل الانتصار الأول ١٥
- اهمية الانتصار الاول ١٥
- الوحدة الحقيقية ١٧
- محور الوحدة الاسلامية ١٩
- الواقع الممزق ٢٣
- عوامل التمزق اليوم ٢٤
- وحدة المسيرة المؤمنة عبر التاريخ ٢٧
- والشيء الآخر ٣٢
- صلاة الجمعة.. مجتمع إسلامي مصغر ٣٣
- من معالم المجتمع الاسلامي ٣٣
- صلاة الجمعة.. مجتمع اسلامي مصغر ٣٤
- صلاة الجمعة في مدرسة اهل البيت عليهم السلام ٣٩
- دور الحج في تنشيط الوحدة الاسلامية ٤١
- **الفصل الثاني** – محاور الوحدة ٤٩
- المحور الاول: القرآن الكريم ٥١
- منابع التشكيك في الحجية ٥٤
- المحور الثاني للوحدة : السنة النبوية ٥٧
- اتباع السنة والعمل بالحديث من الضرورة ٥٨
- دوافع المشككين ٥٩
- بعض الشبهات المطروحة واجوبتها ٦٠
- نقطتان مهمتان ٦٤
- المحور الثالث: المرجعية العلمية والتفسيرية لاهل البيت(ع) ٦٨
- مدخل ٦٨
- المرجعية العلمية للمسلمين في القرآن والسنة ٦٩

- المكانة العلمية لأهل البيت(ع) في الواقع الاسلامي ٧٧
- اسلوب المناظرة يكشف عن علم اهل البيت(ع) ٨٢
- الانتاج العلمي لأهل البيت(ع) ٨٧
- علم اهل البيت(ع) في خدمة مصالح الامة ٩٠
- النتائج ٩٣
- النتيجة ٩٥
- ملاحظة اخيرة ٩٦
- **الفصل الثالث** – الثورة الاسلامية والوحدة ٩٧
- صراع الثورة الاسلامية واعدائها حول قضية الوحدة الاسلامية ٩٨
- الوحدة الاسلامية كما توحي بها ذكرى ولادة الرسول(ص) ١٠٣
- التآمر الاستعماري على الثورة والوحدة ١١٠
- شذرات من كلمات الامام الخميني حول وحدة المسلمين ١١٥
- **الفصل الرابع** – التقريب طريق الوحدة ١٢٥
- التقريب والتفاهم منهجه واخلاقياته ١٢٦
- المقدمة ١٢٦
- الاسلام والاجتهاد ١٢٨
- القرآن وشروط الحوار واخلاقياته ١٣٠
- حول التقريب والتفاهم ١٣٧
- شبهات في البين ١٣٧
- التفاهم حول اصول الفقه سبيل للتقريب ١٤٢
- المدخل ١٤٢
- اسباب الاختلاف ١٤٤
- ثلاثة مواضيع لها اهميتها في هذا المجال ١٤٧
- الموضوع الاول: ضرورة التحديد في منهج الاستدلال وملاحظة الترتيب المنطقي ١٤٧
- الموضوع الثاني: ضرورة التركيز على محل الخلاف وتنقيحه ١٥١
- الموضوع الثالث: ضرورة اخراج بعض ما ادعي كونه من الاصول من دائرتها ١٥٦
- التقريب بين مراتب الادلة في الاجتهاد ١٥٧
- مبادىء لابد من الاتفاق عليها اولا ١٥٨
- الترتيب المنطقي ١٦٠
- رأي الامام الجويني في ترتيب اصول الفقه ١٦٥

- السيد محسن الأمين علم التقريب ١٧١
- اتجاهان تقريبيان ١٧٧
- اتجاه الفقه التقريبي ١٧٨
- اتجاه التقريب الفقهي ١٧٩
- التقريب ومنهجه الاجتهادي ١٨٢
- آية الله السيد محمد تقي الحكيم قدوة فكرية في مجال التقريب ١٨٦
- استراتيجية المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ١٩٨
- الفصل الاول: المفاهيم التخصصية ١٩٩
- الفصل الثاني: اسس التقريب ٢٠٠
- الفصل الثالث: رسالة المجمع وتطلعاته ٢٠١
- الفصل الرابع: مجالات التقارب ٢٠٢
- الفصل الخامس: المبادىء والقيم ٢٠٣
- الفصل السادس: الاهداف الرسمية والتنظيمية ٢٠٥